موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب باوي

الطَّبيعة والجوهر والقوة الأقنومية لأقانيم الثالوث الواحد

www.coptology.com

Coptology

الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية لأقانيم الثالوث الواحد

ردُّ أباء الكنيسة الجامعة علي تعليم الأنبا بيشوي مطران دمياط
والسكرتير السابق للمجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

بقلم

د. جورج حبيب بباوي

ديسمبر ٢٠١٤

www.coptology.org

جدول المحتويات

الباب الأول :الأصول الهرطوقية لتعليم الأنبا بيشوي ٤

الفصل الأول: فصل اللاهوت عن التاريخ الكنسي، وما سلَّمه الآباء ٥

الفصل الثاني: هرطقة أنوميوس Eunomius ١٣

الفصل الثالث: لماذا يجب علينا مقاومة فصل الجوهر عن الطاقة؟ ٢٢

الفصل الرابع: لماذا التمييز بين الجوهر والطاقة؟ ٣١

ملاحق الباب الأول ٤٥

أولاً: تأليــــه الإنســــان وتفســـير عبـــارة القــــديس بطــــرس الرســــول "شركاء الطبيعة الإلهية"٢(بط ١: ٤) ٤٦

ثانياً: نزول الرب يسوع إلى الجحيم ٥٥

ثالثاً: رسالة القديس باسيليوس ٢٣٤ – باللغة الإنجليزية ٥٨

رابعاً: مقالة الأب جورج فلورفسكي عن بالاماس (باللغة الإنجليزية) ٦١

الباب الثاني: ردُّ أباء الكنيسة الجامعة، وصلوات الليتورجية علي تعليم الأنبا بيشوي ٧١

الفصل الأول: الطبيعة والجوهر ٧٢

الفصل الثاني: زوبعة حروف الجرّ في فنجان التعليم المعاصر ٨٥

الفصل الثالث: الجوهر ٩٧

الفصل الرابع: الرب يسوع المسيح" "قوة وحكمة الله" (١كور ١: ٢٤) ١٠٠

الفصل الخامس: رد القديس غريغوريوس النيسي على بدعة أنوميوس ١١٧

الفصل السادس: القوة والطاقة، هذيانُ محمومٍ، أم غريقٍ يتعلق بقشةٍ؟ ١٢٦

الفصل السابع: قواعد تمييز هرطقة الفصل بين الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية ١٣٧

ملحق الباب الثاني ١٥٣

الخداع اللغوي، السبيل إلى فقدان الإيمان والحياة الأبدية "الرد على تُرَّهات الأنبا بيشوي مطران دمياط" ١٥٣

لماذا هذه الدراسة؟ ١٥٤

القسم الأول: ما هو جوهر الخلاف، ولماذا ترك هو وغيره عقيدة الثالوث؟ ١٥٨

آدم والمسيح والفرق الجوهري فيما بينهما ١٧٥

القسم الثاني: يسوع والروح القدس ١٨١

القسم الثالث: الجوهر – الأقنوم – القوة والطاقة فصل من فصول اللاهوت البيزنطي الأرثوذكسي ١٩٤

الباب الأول

الأصول الهرطوقية لتعليم الأنبا بيشوي

الفصل الأول

فصل اللاهوت

عن التاريخ الكنسي، وما سلَّمه الآباء

إن فصل العقيدة الأرثوذكسية عن التاريخ وما سلَّمه الآباء، يعتبر أفدح أخطاء عصر الأنبا شنودة، ففي محاولة يائسة كتب الأنبا شنودة نفسه مجموعة مقالات تحوَّلت فيما بعد إلى كتاب "بدع حديثة" قام فيها بمفرده بمحاكمة ما تصور أنه بدعة، وأصدر ما تصور أنه قرار لاهوتي، في حين أن كل ما جاء في هذه المقالات يفتقر إلى:

١– الأساس الذي يجب أن يرتكز عليه من الكتاب المقدس.

٢– وشرح الآباء.

٣– بل وحتى التسليم الرسولي نفسه الذي حُفظ في الحياة الليتورجية.

٤– ناهيك عن أنه لم يحدث في التاريخ الكنسي أن حُوكمت هرطقات أو بدع في مقالات أو كتب، وإنما تم ذلك في المجامع.

٥– بل إن كل ما كتب يتعارض بشكل واضح مع صلوات الكنيسة القبطية التي حفظت الليتورجيات كل تراثها اللاهوتي.

وغني عن الذكر أن فصل اللاهوت عن التاريخ وتسليم الآباء، يخلق فجوة كبيرة يكون لها القدرة على تدمير ما تبقى من الأرثوذكسية.

وفضلاً عن ذلك، يشيع الأنبا شنودة نفسه في الإعلام أن كل من يختلف معه، إنما هو يحارب ويهاجم الكنيسة القبطية، وهو أمر لم يحدث لا من كاتب هذه السطور ولا من غيره. بل بكل جرأة الحق أقول: "أتحدى مَن يقدم لي سطراً واحداً أكون فيه قد هاجمت الكنيسة القبطية". ولكن لعل الفجوة التي خلقها الأنبا شنودة نفسه بفصل اللاهوت عن التاريخ وتسليم الآباء هي التي جعلته يتخيل أنه يمكنه أن يختزل الكنيسة القبطية في شخصه، فتخيَّل أن من يختلف معه، إنما هو يختلف مع الكنيسة، تلك الكنيسة التي يمتد عمرها إلى أكثر من ١٩٠٠ سنة عبرت فيها الأهوال، وبالرغم من ذلك، فقد وقفت شامخة طاهرة؛ لأنها تمسكت بتاريخها وطقوسها وحياتها الليتورجية.

ولأن عصر الأنبا شنودة تميَّز أيضاً بفصل القانون الكنسي عن الحياة الكنسية، فقد ظلم الأنبا شنودة، الأنبا بيشوي عندما رسمه أسقفاً دون السن القانونية التي حددها القانون الكنسي.

وقد ظُلم الأنبا بيشوي مرةً أخرى عندما عُيِّن في مناصب أكبر منه بكثير، فأُسقط في يده، عندما وجد نفسه يتصدى لموضوعات عقائدية لم يدرسها؛ لأنه اكتفى بما يطفو على السطح الثقافي القبطي الذي لا يظهر عليه إلاَّ القليل جداً من الأدبيات الأرثوذكسية الأصيلة، أمَّا أغلب ما يظهر على هذا السطح، فهو من الأدب الشعبي الراسب في قاع الثقافة "المتأسلمة" التي هي ثقافة أغلبية المصريين.

وهؤلاء أيضاً ظُلموا -أقصد المصريين-؛ لأن مشروعات الثقافة الإنسانية الرفيعة قد انحسرت، وعادت "الأسلمة" بكل قوتها من اتجاهات "وهابية" و"طالبانية" إلخ.

ولذلك لم يكن غريباً أن نجد الأنبا بيشوي -في أحد مقالاته[1] على موقعه

---

(١) أنظر مقال: تأليه الإنسان وتفسير عبارة القديس بطرس الرسول "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٤). ومن الجدير بالملاحظة أن الأنبا بيشوي رفع هذا المقال من على موقعه الرسمي على شبكة المعلومات الدولية (دون إبداء أسباب)، ونشرته رابطة حماة الأيمان على موقعها، وسوف تجد عزيزي القارئ هذا المقال ضمن ملاحق هذا الباب.

الرسمي على شبكة المعلومات الدولية- يردد تعليم أستاذه الأنبا شنودة في موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية، وإن كان هناك فارق جوهري يمثل خطوة هامة إلى الأمام بالنسبة له، وهي قوله إننا نشترك في القدرة أو الطاقة *energy* الإلهية، ولا نشترك في جوهر اللاهوت. وعاد يكرر نفس التعليم في مؤتمر الفيوم ٢٠٠٧ ويستعين على شرح ذلك بإضافات شبه علمية من علم الميكانيكا، وكأن الثالوث آلة تولِّد وتعطي طاقات أو قوى، لا ثلاثة أقانيم لهم حياة واحدة وقوة واحدة وطاقة واحدة !!!!

وهنا يكون الأنبا بيشوي قد سبق أستاذه في تأكيد "الشركة في الطاقة"، ولكن نجده يتراجع مثل أستاذه نحو "شيطنة" النعمة، عندما يقول إن خطيئة آدم هي اشتهاء الإلوهة[١].

وعندما تتحول نعمة الشركة في الله إلى ذات خطية آدم، فتلك هي الطامة الكبرى، وكأن الرب يسوع أعادنا إلى ما كنا عليه، بل وجعلنا "شياطين"؛ لأن السقطة كانت -حسب أستاذ الأنبا بيشوي- هي "اشتهاء الإلوهة".

أمَّا اشتهاء الإلوهة، فهو فكر الأنبا شنودة الخاص الذي يجب تحليله وعرضه على تسليم الآباء للوقوف على مدى اتفاقه وهذا التسليم.

١- لقد خُلق آدم على صورة الله ومثاله أو حسب الصورة، وخلق لكي يكون "إلهاً" حسب تعبير معلمنا أثناسيوس نفسه:

"الإنسان فانٍ بطبيعته لأنه خُلق من العدم

إلاَّ أنه بسبب خلقه على صورة الله الكائن،

---

(١) حيث يقول في المرجع السابق: "لأنهم يتماحكون بالكلام ناسين أن الخطية التي أسقطت آدم وحواء هو أنهما أرادا أن يصيرا مثل الله في المعرفة. والتي أسقطت إبليس نفسه هو أنه أراد أن يصير مثل العلى قائلاً...".

كان ممكناً أن يقاوم الفناء الطبيعي

ويبقى في عدم فساد لو أنه أبقى الله في معرفته .." (سفر الحكمة ٦: ١٩)،

وبوجوده في حالة عدم الفساد (الخلود)،

كان ممكناً أن يعيش منذ ذلك الحين كالله

كما يشير الكتاب المقدس إلى ذلك فيما يقول: أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم .. (مزمور ٨٢: ٦ – ٧)" (تجسد الكلمة فصل ٤: ص ١١ – ١٢ الترجمة العربية – القاهرة ٢٠٠٢ د. جوزيف موريس).

وهنا يحق لنا أن نسأل: أين ورد عند الآباء جميعاً أن سقوط آدم كان هو اشتهاء الإلوهة؟

كيف يشتهي آدم ما كان قد أُعطي له من الله، أي ما كان يملكه؟

لم يكن اشتهاء الإلوهة هو سبب سقوط آدم، بل كان اشتهاء أن يكون مثل الله بدون الله، أي بانقطاع الشركة، وهو ما يؤكده القديس أثناسيوس نفسه في عبارة دقيقة موجزة في الفصل الثاني من الرسالة إلى الوثنيين، حيث يقول:

"ولكن بسبب إلحاح الحية ترك تأمله في الله، وبدأ يحدد كيانه، فسقط كلاهما في الإحساس الجسداني ... وأدرك كلاهما أنهما لم يتعريا من ملابسهما، بل من تأمل الأمور الإلهية لأنهما أدارا *turned* عقليهما إلى الاتجاه المضاد" (راجع الأصل اليوناني – جامعة اوكسفورد ١٩٧١ – الرسالة ضد الوثنيين وتجسد الكلمة تحقيق *R.W. Thomson* صفحات ٨ – ٩).

لقد جاء المسيح له المجد لكي يعيدنا إلى الله الآب، لا أنْ يُعيدنا إلى حالتنا الأولى، أو لكي يخدعنا ويدعونا إلى شركة مزيَّفة لا نحصل فيها على الحياة الأبدية كعطية

من الله، وهي شركتنا في اللاهوت نفسه؛ لأن أبسط مبادئ الأرثوذكسية هي أن الله وحده هو: "العظيم الأبدي" حسب الاعتراف الأرثوذكسي في صلاة الصلح، وحسب الإنجيل: "الله وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه" (١ تيمو ٦: ١٦)، ولكنه لم يبقَ في مجده الإلهي بعيداً عنا، بل جاء لكي يخلصنا، واتحد ابنه الوحيد بجسد مثل جسدنا وبطبيعة قابلة للموت –حسب تعبير القديس أثناسيوس الرسولي (تجسد الكلمة خلال كل فصول ٥ – ١٦)؛ لكي يبيد الموت ويعطي لنا الحياة الأبدية التي هي حياة الثالوث.

وشركتنا في حياة الله هي شركة مخلوق في الخالق لا لكي يصبح الإنسان خالقاً –حسب تصور الأنبا شنودة وحده– بل لكي يصل الإنسان إلى غاية خلقه، وهي أن يعيش إلى الأبد كصورة الله.

٢– إذن، لقد تم تخطي كل هذه العقائد:

– خلق الإنسان على صورة الله.

– تنازل الابن وتجسده.

– الاتحاد الأقنومي، أي اتحاد أقنوم الابن بالناسوت.

– سكنى الروح القدس فينا.

–تناول جسد ودم عمانوئيل كشركة في الحياة الإلهية.

– الكنيسة جسد المسيح الحي.

– عمل الابن كخالق ووسيط العهد الجديد وكفادي ومخلِّص.

٣– وهكذا تم إفراغ الأرثوذكسية تماماً من جوهرها الأصيل الرسولي، وذلك

بإنكار شركتنا في الثالوث بواسطة رأس الكنيسة الرب يسوع المسيح نفسه.

والسبب في كل ذلك، ومركز كل هذا هو موضوع واحد هو:

إنكار الشركة في الله، وبالتالي بقاء الإنسان في حالة انفصال أبدي بدون صلة بالله.

ويمكننا أن نقرر أن فصل الإنسان عن الله الثالوث ظاهر تماماً –عند الأنبا شنودة– في الآتي:

أولاً: في التأكيد على أننا نتناول الناسوت وحده في سر الإفخارستيا.

ثانياً: في التأكيد على أن الروح القدس لا يسكن فينا، بل ننال مواهبه فقط.

ثالثاً: في أن موت الرب يسوع على الصليب لم يكن لتجديد الطبيعة الإنسانية، بل لدفع ثمن خطايا الإنسان لله الآب، فجاء هذا تعليمٌ يؤكد حتى انفصال الابن عن الآب، وانفصال الابن عن إعلانات الخلاص في السرائر الكنسية، لا سيما الإفخارستيا.

رابعاً: في إنكار تألُّه ناسوت رأس الكنيسة، يسوع المسيح ربنا. وبقاء هذا الناسوت في صورته الطبيعية كما كان قبل القيامة هو الذي يؤكد تعليم الأنبا شنودة بأننا نتناول الناسوت وحده، بل إن ما هو أفظع، هو ما يقال من إن المسيح يسوع نفسه لم يُعطِ لناسوته الحياة الجديدة الناهضة من الموت ... وهكذا يكون الأنبا شنودة قد سقط في هرطقة نسطور وصار تحت حكم المجمع المسكوني الثالث ٤٣١م لأنه يردد تعليم نسطور.

وجاء الأنبا بيشوي الذي تزعَّم مقاومة تعليم "الشركة في الطبيعة الإلهية" –وهو كغيره من جيل أساقفة رُسموا بدون أية مؤهلات لاهوتية– لكي يقع هو بدوره في هرطقة أنوميوس التي فصلت قوة وطاقة وعمل اللاهوت عن جوهر اللاهوت، وحُكِم عليها في

المجمع المسكوني الثاني ٣٨١م الذي قطع أتباع أنوميوس من شركة الكنيسة الجامعة حسب نص القانون السابع الذي اعتبر أتباع هذه الهرطقة غير مسيحيين "لأنهم يعمِّدون بغطسةٍ واحدة"؛ لأن الله هو الآب وحده، أمَّا الابن والروح القدس حيث أُعلِنا معاً في الزمان وفي التاريخ، فهما معاً قوة من قوى اللاهوت وطاقة من طاقات اللاهوت خُلقت لكي تعمل في الزمان والتاريخ، ولذلك أُعيدت معمودية الأنوميين حسب نص القانون السابع من قوانين المجمع الثاني ٣٨١م[١].

ويمتد خط الفصل بين الله والإنسان بهذه الصورة البشعة لكي:

١- يفصل الصورة الآدمية الأولى عن الصورة الجديدة التي لنا في آدم الجديد أو الثاني، الرب يسوع المسيح نفسه.

٢- يفصل اللاهوت عن الناسوت، الأمر الذي يترتب عليه أن نأخذ الناسوت وحده في صورته الآدمية كما كان آدم بعد السقوط قابلاً للموت، لا في صورته الجديدة الحية للأبد والواهبة الحياة، وغالبة الموت والدينونة.

٣- يفصل المواهب عن أقنوم الروح القدس، الأمر الذي لا يبقى معه في الكنيسة سُكنى لله نفسه، بل تصبح الكنيسة جماعة تسير حسب أهواء القيادة.

٤- يفصل التجسد والصلب والقيامة عن الأسرار، كأن ما فعله الرب يسوع عائد إليه هو أو للآب، أو لكي يبقى في ذاكرة البشر، وهو منهج حركة الإصلاح الذي ساد لاهوت هذه الحركة منذ القرن السادس عشر، وبذلك ينعدم الاتحاد السري حتى في السرائر ذاتها.

وأخيراً تعود هرطقة أنوميوس تطل برأسها من جديد في محاولة التستر على فصل

---

(١) راجع الموسوعة القانونية The Rudder page ص ٢١٧.

الإنسان عن الله بالقول بأن الجوهر الإلهي يختلف تماماً عن الطاقة الإلهية.

وهكذا يتضح لنا بجلاء أن فصل اللاهوت عن التاريخ الكنسي يقع خلف كل هذا السقوط الذي أدى إلى فصل الجوهر عن الطاقة، أو عن القوة الإلهية.

ولكي نزيد الأمر إيضاحاً نستعرض معاً في عجالة هرطقة أنوميوس.

الفصل الثاني

هرطقة أنوميوس Eunomius

وُلد أنوميوس حوالي ٣٣٠م في قرية من قرى كبادوكية. تعلم المنطق، تعرَّف على جورجيوس الكبادوكي الأسقف الأريوسي الذي حاول أن يصبح أسقفاً للإسكندرية. رُسِم شماساً بواسطة أسقف إنطاكية Eudoxius (تاريخ الكنيسة – ثيؤدوريت ٢: ٢٧ – ٢٩)، ثم رسم أخيراً أسقفاً على Cyzicus. مات سنة ٣٦٠م. يذكر ثيؤدوريت المؤرخ (٢: ٢٩) أنه قدَّم قانون إيمان خاص به. أنكر الإيمان النيقاوي حسب شهادة القديس اثناسيوس Desynodis: 30 وسقراط المؤرخ (تاريخ الكنيسة ٢: ٤٥).

كتب دفاعاً عن إيمانه، ورد عليه القديس باسيليوس، ثم أكمل الرد القديس غريغوريوس النيسي.

حسب قانون إيمان أنوميوس نلمح الارتباط الكامل بالأريوسية. وهذا هو النص كما ورد في رد القديس باسيليوس على انوميوس ١: ٤: "ربنا يسوع المسيح الذي به جاءت كل الكائنات إلى الوجود، هو صورة وختم قوة الآب وطاقته. ليس شبيهاً بجوهر الآب الذي ولده، ولا بالروح القدس ..".

ويبدو خداع الأريوسية والأنومية في استعمال مفردات صحيحة، ولكن في إطار الهرطقة مثل: الرب – المخلص – قوة الآب – خالق كل الأشياء .... وغيرها. ولكن الابن رغم كل هذه الألقاب، ليس من ذات جوهر الآب. وعبارة انوميوس صريحة وقاطعة: "الآب غير مولود، والابن مولود من الآب، لكن ما هي هذه الولادة؟ هي خلق. لا يمكن للآب أن يعطي جوهره لمن يولد، لأن ما هو مولود هو مختلف تماماً عن

الآب" (الدفاع ٨).

يقول أنوميوس أيضاً مثل أستاذه أريوس: "جاء الابن إلى الوجود بقوة الله الآب".

وكانت كلمة جوهر *ousia* تعني عند انوميوس الآب وحده، لأن اختلاف اسم الآب عن اسم الابن يعني أن لكل منهما جوهره الخاص.

وترتكز هرطقة أنوميوس على أن اختلاف أسماء الأقانيم يعني اختلاف جوهر كل أقنوم؛ لأن كل أقنوم يحمل اسماً مختلفاً، ولذلك فجوهر هذا الأقنوم لابد وأن يختلف عن جوهر الأقنوم الآخر الذي يحمل اسماً آخر. فتطابق الاسم مع الجوهر أمر حتمي عند انوميوس، واختلاف الاسم يعني أن لكل من الآب والابن جوهر خاص به مختلف عن جوهر الآخر، والسبب في ذلك هو اختلاف الاسم، في حين أن اسم الآب يصبح اسماً غير حقيقي إذا لم يكن له ابنٌ، فلا آب بدون ابن، وهو رد الآباء الذين عاصروا الأريوسية مثل العظيم أثناسيوس الرسولي.

ثم تطور فكره إلى فصل الطاقة عن الجوهر، وقد كتب في ذلك فصلاً كاملاً في كتاب الدفاع ٢٢: ١٠[١].

وكانت حجة أنوميوس كما عرضها في الفقرة ٦٢ – ٦٣ كالآتي: "إذا كانت الطاقة من الجوهر أو في الجوهر، فإن الطاقة توجد مع الجوهر. وفي الخطاب الخاص بالله، فالله أزلي لكن طاقات جوهر الله زمنية لأنها لم تعمل إلّا في الزمان ..".

ويقول أيضاً: "نحن نعترف بأن الجوهر الإلهي بلا بداية، بسيط، بلا نهاية، ولكن نحن نعترف أن القوة الفاعلة لها بداية لأن أعمال الله أو جوهره، أي القوة الفاعلة للجوهر

---

(١) راجع الأصل اليوناني مع الترجمة الفرنسية في Sources Chretinnes مجلد ٣٠٥ فقرات ٦٢ – ٦٣.

تتم في الزمان، ولذلك لا يمكن أن تكون الطاقة بلا بداية" (الدفاع ٢٣: ٥٨).

وعندما يطبق هذا الكلام على الثالوث يقول: "الآب غير مولود، وهذا هو جوهره. الابن مولود، وهذا هو جوهره. واستخدام أسماء مختلفة يشهد باختلاف الجوهر" (الدفاع ١٨: ١٢).

وجاء رد الآباء حاسماً:

١– إن اختلاف الأسماء هو تثليث الأقانيم، وهو ما يؤكد الجوهر الواحد؛ لأن هذه الأسماء هي علاقة في ذات الجوهر الواحد.

٢– عندما يقول الرسول في رو ١: ٢٠ "قوته الأزلية ولاهوته"، فإن الرسول لا يفصل بين قوة الله والألوهة.

الجوهر والقوة الفاعلة Energeia

في رد القديس غريغوريوس النيسي على انوميوس نلمح الخطر، أو البئر الذي سوف يسقط فيه الأنبا بيشوي. لقد رفض أنوميوس وحدة الجوهر والطاقة = *energy* *energeia* واعتبر أن هذا يعني أن العالم أو الكون يجب أن يكون أزلياً، ولذلك فالجوهر *ousia* والطاقة *energeia* ليسا معاً ولا يوجد بينهما أية علاقة حتى يمكن أن يقال إن العالم مخلوق من العدم لأن طاقة الخلق خاصة بالابن المخلوق بإرادة الله الآب[1].

وكان سؤال أنوميوس الذي رد عليه القديس باسيليوس وغيره هو: هل يمكن معرفة جوهر اللاهوت؟

---

(1) T. Kopecek. A History of Neo-Arianism 1979, p338-339.

والمعرفة هنا ليست كالمعرفة الآتية نتيجة قراءة كتاب أو الاطلاع على موضوع أو مقال. المعرفة المقصودة هي شركة، ولذلك من يشترك في جوهر اللاهوت يشترك في معرفة الله نفسه بكيانه. وهنا يجب أن ندقق تماماً في اختيار الكلمات: مَن يشترك يعرف سر وجود الله نفسه، أي يشترك في كل ما يعرفه الله نفسه، وهذا مستحيل على أي مخلوق. والعودة إلى رسالة القديس باسيليوس ٢٣٤ تؤكد ذلك[١].

يؤكد القديس باسيليوس أنه لا يتحدث عن ولا يشرح موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية، بل يجيب على السؤال الذي وُضع في أول سطر في الرسالة: "هل تعبد ما تعرف أم تعبد ما لا تعرف؟"، هذا سؤال انوميوس. وإذا أجاب المؤمن حسب عبارات القديس باسيليوس:

> "إذا أجبت، أنا أعبد مَن أعرف، قالوا لي على الفور، ما هو جوهر الذي تعبده؟ عند ذلك، إذا اعترفت وقلت أنا أجهل الجوهر يقولون لي إذن أنت تعبد مَن لا تعرف. وأنا أجيب بأن فعل يعرف له عدة معاني: نحن نعرف عظمة الله وقوته وحكمته، وصلاحه وعنايته بنا وعدل أحكامه، ولكن ليس جوهره .. الخ".

وبالطبع -كما يلاحظ القديس باسيليوس- إن صفات الله هي صفات لجوهر الله، وهنا يصبح سؤال الأنوميين سؤال سفسطائي، عبارة عن لغوٍ فارغ.

وعبارة القديس باسيليوس التالية هامة جداً وهي خاصة بالهرطقة:

> For they confess themselves that there is a distinction between the essence of each of the

---

(١) راجع النص الانجليزي في ملحق هذا الباب، ولاحظ أننا وضعنا خطوطاً تحت كلمات: Know – Knowledge – essence – ignorant.

attributes enumerated.

هم يعترفون بأنه يوجد اختلاف أو فرق بين الجوهر وكل من هذه الصفات.

ويضيف القديس باسيليوس موضحاً جوهر الهرطقة:

The operations are various, and the essence simple.

وهكذا هو الإيمان المسيحي الذي لا يقبل أي تركيب في جوهر اللاهوت.

We say that we know our God from his operations

نحن نعرف الله من أعماله أو طاقاته

but we are not undertake to approach near his essence

ولكننا لا نسعى لأن نقترب من جوهره

ثم يضيف:

His operations come down to us, but His essence remains beyond our reach.

"أعماله أو طاقاته تصل إلينا، ولكن جوهره يظل بعيداً عن إدراكنا".

والخلاصة هي أن فصل الطاقة عن الجوهر تنكر علينا معرفة الله نفسه.

لا أدري ما هو سبب التدليس الدائم الذي يحاول به الأنبا بيشوي ستر الأخطاء اللاهوتية القاتلة التي وقع فيها الأنبا شنودة والتي يدافع هو عنها بحرارة وعناد.

نريد أن نسمع منه رداً على هذا السؤال:

إذا كانت طاقة اللاهوت غير جوهر اللاهوت وتختلف عنه تماماً، فهل هي مخلوقة أم غير مخلوقة؟

إذا قال إنها مخلوقة، فهذا تعليم الأريوسية — الأنومية.

وإذا قال إنها غير مخلوقة، فقد قبل تحديد المجامع الأرثوذكسية التي دعَّمت رد القديس غريغوريوس بالاماس، وأصل دفاع غريغوريوس بالاماس نجده في كتابات الآباء باسيليوس وغريغوريوس النيسي، وهنا عليه أن يتراجع عما قاله.

ما هو مركز الموضوع كله؟

إن أحد مصادر التهوّر في الرد والدفاع عن أخطاء لاهوتية قاتلة هو الجهل التام بالتاريخ الكنسي، ويضاف إليه الجهل التام بالتطور اللغوي الذي أراد به الآباء عبر ما لا يقل عن ٨٠٠ سنة من حوار –حادٍ أحياناً– وضع مصطلحات لاهوتية ثابتة وواضحة لكي:

١– تغلق الباب تماماً في وجه الهرطقات.

٢– تعلن وتؤكد التعليم المسيحي الأرثوذكسي الذي أُعلِن من أجل خلاص الإنسان.

مثال:

كانت كلمة "الجوهر" *Ousia* معروفة قبل انتشار الإنجيل، واستُخدمت في مؤلفات فلاسفة اليونان. وفي مقالة القديس أثناسيوس: "الدفاع عن مجمع نيقية"، يشرح لنا أن مراوغة الأريوسيين لم تكن كلمة "جوهر"، ولا حتى "الواحد مع الآب"، أو "من ذات جوهر الآب"[١].

أُكرر، لم تنقذ كلمة *Homoousios* –والتي تعني من ذات جوهر الآب– التعليم، ولا حتى إضافة حرف "اليوتا I" لكي تفصل بين *Homo* و *Ousios* وتصبح *Homoiousios* أي مشابه للآب، الحد الفاصل، فقد ظل أمام الأريوسيين أربع عقائد أساسية تعذَّر عليهم تدميرها:

الأولى: المصير الأبدي للإنسان الذي لم ينل لا التبني ولا الخلاص ولا الحياة الأبدية من الله؛ لأن المخلص يسوع المسيح ليس إلهاً حقيقياً، بل هو "إلهاً مخلوقاً" نال إلوهيته من الآب، ولذلك يعجز عن أن يعطي الحياة الأبدية لمن يؤمنون به.

الثانية: المعمودية، وهي سر الانضمام إلى جسد المسيح الكنيسة الجامعة، والتي لا يمكن أن يعطي فيها مخلوق أي نعمة؛ لأنها سر بنوة المؤمنين لله الآب.

الثالثة: الإفخارستيا؛ لأن تناول جسد مخلوق مثلنا، أو جسد إله مخلوق ليس فقط خدعة وكذبة، بل هو لا يفيد، مما يقضي على عظمة وجلال السر، وفاعليته التي تعطي لنا القيامة من الأموات، والحياة الأبدية، بل وغفران الخطايا.

الرابعة: حلول الروح القدس في المؤمنين؛ لأن الروح القدس هو العطية الأبدية

---

(١) المساوي للآب في الجوهر ترجمة غير دقيقة وتفتح الباب أمام تصور وجود جوهر للآب وجوهر للابن وهما معاً متساويان وهذا ليس تعليماً مسيحياً.

التي أعطاها الآب لنا في ابنه يسوع المسيح؛ لأننا بدون الروح القدس لا علاقة شركة حقيقية لنا مع الآب، ولا مع الابن نفسه.

الطاقة Energy

كانت هرطقة انوميوس هي أول هرطقة فصلت بين الجوهر والطاقة. وكانت حجة انوميوس أن العالم أو الكون المخلوق من العدم لا يمكن أن يكون قد خُلق في الزمان بواسطة طاقة إلهية أزلية؛ لأن أزلية الطاقة الإلهية تفترض أزلية العالم أو الكون. هذه الحجة لم تكن من أجل الله، بل كانت لتقويض إلوهية اللوغوس *Logos* الكلمة الخالق (يوحنا ١: ١). وخلف هذه الحجة تختفي أحد ملامح الفكر الوثني القديم، وهو أن الله له طبيعة، وأن لهذه الطبيعة قوانين تحكمها، وأن الله والعالم كلاهما أزلي، ومن هنا جاء التعليم بأزلية المادة[١].

لكن الله ليس طبيعة بالمعنى الوثني السائد قبل المسيحية، بل الله هو أقانيم لها إرادة حرة، ولا تخضع هذه الإرادة لطبيعة، لأن خضوع الإرادة لطبيعة هو الكينونة الإنسانية، بل كينونة كل الكائنات التي لا تملك وجودها؛ لأن هذا الوجود جاء من العدم، وما جاء من العدم مقيَّدٌ بحدود طبيعة خلقه.

لكن الله يعلو على حدود كل طبيعة، ولذلك كان التعليم العام عند كل آباء القرون الأولى هو أن الطبيعة مُعلَنة وتعمل في الأقانيم، والأقانيم تُعلَن ليس كطبيعة، بل كأقانيم، لا سيما في إعلان المحبة والفداء والشركة؛ لأن هذه الإعلانات هي العلاقة الأقنومية بين الثالوث والبشر، أو ما نصفه بـ "العلاقة الشخصية". لقد كانت ولا تزال عقيدة الثالوث، وعقيدة التجسد، وباقي العقائد الأرثوذكسية النابعة من الثالوث، والمتصلة بالثالوث، والتي تعلن الثالوث، هي اكبر تحدٍّ للوثنية، بل للفكر الحديث نفسه

---

(١) راجع كتاب الوجود شركة للمطران يوحنا زيزيولاس – تعريب د. جورج حبيب بباوي، عدة طبعات.

الذي أصبح فيه الإنسان طبيعة خاضعة لتفاعلات كيميائية + هرمونات + تعليم + عادات موروثة + عادات مكتسبة ... الخ. ولم يعد الإنسان يرى نفسه أمام آلات التقدم التكنولوجي على أنه "شخص"، بل تحاصَر إرادة الإنسان وحريته بالإعلام والنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وقبل أن نُتهم بأننا ننكر أن الثالوث له طبيعة، نقول إن الكلام عن الطبيعة أو الجوهر بدون أقانيم هو كلام أو خطاب فلسفي يفتقر إلى غنى الإنجيل، بل ويعود بنا إلى الوثنية التي لا تعرف أقانيم الجوهر الإلهي، ولذلك من العبارات الخالدة للقديس غريغوريوس بالاماس:

> "إن الله عندما أعلن عن نفسه لموسى لم يقل "أنا الجوهر، بل قال أنا الكائن" (خروج ٣: ١٤)، وبالتالي فالذي هو كائن (الله) لا يصدر من الجوهر، بل الجوهر هو الذي يصدر من الذي هو الكائن. لأن الذي هو الكائن يحوي في ذاته الكيان بكامله" (راجع الثلاثية الثالثة ١٢: ٣ ص ٧٢ تعريب دير القديس جاورجيوس – دير الحرف منشورات التراث الآبائي ١٩٩٦).

وعبارة القديس غريغوريوس بالاماس هي ذات عبارة القديس غريغوريوس النزينزي مقالة ٤٥: ٣ مجلد ٣٦: ٦٢٥.

وفصل الجوهر عن الطاقة، دفع ثمنه القديس مكسيموس المعترف (ولد عام٥٨٠)، الذي قُطع لسانه ويده لكي لا يكتب ولا يتكلم في الأمور اللاهوتية بقرار من بطريرك القسطنطينية ٦٢٢م ورقد في الرب في ١٣ أغسطس ٦٦٢م – فقد قاوم مكسيموس المعترف ذلك التعليم رغم النفي والتشريد[١].

---

(١) راجع مقدمة

- Lars Thunberg and A.M.Allchin, Microcosm and Mediator: The Theological Anthropology of Maximus the Confessor.

الفصل الثالث

لماذا يجب علينا مقاومة فصل الجوهر عن الطاقة؟

قد يبدو أن الموضوع بأكمله موضوعاً فلسفياً أمام عقول مثقلة بهموم الحياة، والأسعار، والأولاد، والجامعات، والصحة، ... الخ.

لكن الأمر ليس كذلك بالمرة؛ لأن في قلب هذا الجدل السفسطائي ثلاث عطايا إلهية المصدر، إلهية العمل، إلهية الديمومة، بل أبدية:

الأولى: القيامة من الأموات.

الثانية: الخلود في السماء والحياة الأبدية.

الثالثة: رؤية ومعاينة الله كأبناء.

لقد حصرنا الكلام هنا على ثلاثة فقط من أجل ردٍّ حاسمٍ وسريع على الأنبا بيشوي الذي أدرك خطورة إنكار التعليم بالشركة في الله، أو الطبيعة الإلهية، وحاول أن يعود إليه، لا من باب الأرثوذكسية الواضح، بل بإضافة غموض وضباب عقلي ناتج عن اعتبار أن القوة أو الطاقة هي كل ما يؤخذ من الله الثالوث، في حين أن القوة أو الطاقة لا تتبنى الإنسان كشخص (أي أقنوم).

ومن المثير للضحك أن أضاف الأنبا بيشوي إلى قائمة الاتهامات التي ألصقوها

- Andrew Louth, Maximus The Confessor(Early Church Fathers).

بي أنني أُعلِّم بأن البشر أقانيم، وأضاف هو من عنده كعادته في التزوير (أقانيم مثل الثالوث).

والحاصل أن البشر أقانيم فعلاً؛ لأنهم صورة الله الذي هو أقانيم الثالوث، ولكن لا يمكن لعاقل أن يقول مثل أقانيم الثالوث؛ لأن الصورة لن تكون مثل الأصل، فقد خُلِقَت كصورة، وستظل إلى الأبد صورة.

هذه العطايا الثلاثة لم تُعطَ لنا من الخليقة، ولا من ناسوت الرب وحده، ولا من اللاهوت وحده، بل من الابن الذي له ذات جوهر الآب، وله ذات حياة ومجد الآب وبواسطة الروح القدس.

لقد خاض هذا الصراع عظماء اللاهوت الشرقي: مكسيموس المعترف – يوحنا الدمشقي – غريغوريوس بالاماس. وهؤلاء هم أخلص من جدَّد لاهوت القديس كيرلس الكبير وأعاده إلى حظيرة الأرثوذكسية بعد محاولات الأوطاخيين الذين نشروا فكرهم تحت عنوان "طبيعة واحدة" لإخفاء الأوطاخية تحت رداء القديس كيرلس السكندري، وهؤلاء بكل أسف عادوا إلى الظهور مرة ثانية عبر تاريخ الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وإلى عهد قريب جداً كان الحديث عن ناسوت المسيح حديثاً غير مرغوب فيه لدى بعض قيادات الأقباط. فعندما نُشر كتاب القديس أثناسيوس "الرد على أبوليناريوس" حاول البعض منعه؛ لأن الكتاب يؤكد أن جسد المسيح مخلوق مثل سائر الأجساد الإنسانية[1].

---

(1) راجع رد القديس أثناسيوس الرسولي على أبوليناريوس، تجسد ربنا يسوع المسيح، تعريب وتعليقات د. جورج حبيب بباوي، يناير ١٩٨٣، نشرته مؤسسة القديس أنطونيوس، سلسلة كتابات الآباء. راجع أيضاً: ظهور المسيح المحيي، وهو الجزء الثاني لرد أثناسيوس على أبوليناريوس، والذي نشرته مؤسسة القديس أنطونيوس في يناير ١٩٨٤.

تمايز الجوهر والطاقة، أي energy, essence

ما نقدمه هنا هو لأستاذ التاريخ الكنسي سابقاً الأب الأرثوذكسي مايندورف عن كتاب *Byzantine Theology: Historical Trends and Doctrinal Themes* وقد شغل الأب *Meyendorff* منصب أستاذ التاريخ الكنسي في معهد القديس فلاديمير حتى وفاته.

النص: "التمايز بين الجوهر والطاقة الإلهية كان لا يمكن تجنبه في مجال عقيدة التألُّه، لأن التألُّه يتضمن شركة الإنسان المخلوق في حياة الله غير المخلوق الذي يظل "جوهره" عالياً (سامياً) ولا يمكن الشركة فيه مطلقاً. وكل جوانب العقيدة الخاصة بالله سوف تبرز بشكل تلقائي خلال الجدل بين غريغوريوس بالاماس ومعارضيه في القرن الرابع عشر. و(تعليم بالاماس) هو أن "العناصر الثلاثة": الجوهر – الطاقة – والأقانيم الإلهية –بالضرورة– خاصة بالله" (ص ١٨٦ — طبعة ١٩٧٤م).

ثم بعد أن يذكر الفرق الخاص بعقيدة الثالوث بين الآباء وأوغسطينوس –وهذه نقطة لا تخصنا هنا رغم أهميتها– يقول الأب مايندورف:

"إذا كانت الأقانيم (في الثالوث) تتمايز في الجوهر، رغم أن الجوهر واحد ويشترك فيه الأقانيم، يصبح الجوهر يعلو ولا يصل إليه الإنسان، وإذا كان الإنسان في المسيح يقابل الله "وجهاً لوجه"، وهذه هي شركة حقيقية في الوجود الإلهي، فهذا الوجود الإلهي المشترَك فيه لا يمكن أن يكون سوى عطية من الله، وهذا يصون طبيعة الجوهر الذي يعلو ويصون الله نفسه. هذا عطاءُ الله لذاته، هو الطاقة الإلهية لأن الله الحي والشخص هو حقاً إلهٌ عطَّاء" (ص ١٨٧).

ما هو الأصل الآبائي للتمايز بين الجوهر والطاقة؟

يجيب الأب مايندورف:

"على أساس وحدانية (جوهر الله)، فإن أعمال الله أو الطاقات *energies* – عند الآباء اليونان: باسيليوس وغريغوريوس النيسي– يؤكدون حقيقية وحدانية جوهر الله. وبرهان باسيليوس المشهور في دفاعه عن إلوهية الروح القدس هو أن الروح القدس له ذات الطاقة الإلهية التي للآب والابن. ونفس التعليم يستخدمه القديس غريغوريوس النيسي لكي يؤكد وحدانية جوهر الآب والابن والروح القدس بسبب وحدانية عملهم" (المرجع السابق ص ١٨٥).

ويذكر بعد ذلك الأب مايندورف أن تمايز الجوهر عن الطاقة هو "رفضٌ لإنزال كينونة الله إلى موضوع فلسفي هو الجوهر البسيط" (ص ١٨٧)؛ لأن الجوهر فكرة فلسفية. ثم يعود ويؤكد أيضاً:

"The Triple distinction – essence, hypostasis, energies is not a division of God's being.

أن التمايُز الثلاثي بين الجوهر، والأقانيم، والطاقة ليس انقساماً في كيان الله" (ص ١٨٧).

ورغم أن الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية قد حسمت ذلك في مجمع ١٣٤١[١] في القسطنطينية، إلاَّ أنه يبدو أن ذلك غير معروفٍ عند الأنبا بيشوي وغيره من الذين فصلوا دراسة اللاهوت عن التاريخ.

---

(1) J. Meyendorff, A Study of Gregory Plalams pp 4276.

نص من القديس غريغوريوس بالاماس:

"تجلي الرب على جبل طابور كان مقدمةً لتجلِّيه المنظور في المجد المقبل (الآتي). وما دام الرسل أُهِّلوا لمعاينته بعيون أجسادهم، لماذا لا يعاين أيضاً أنقياء القلوب بعيون نفوسهم مقدمة ظهوره بالروح وعربونه؟ ولكن ما دام ابن الله، في محبته للبشر التي لا مثيل لها، لم يقتصر على اتحاد أقنومه الإلهي بطبيعتنا، باتخاذه جسداً حياً ونفساً ذات ذهن، بل اتحد –ويا له من عجب غزير فريد– بالأقانيم البشرية نفسها ممتزجاً مع كل المؤمنين بمناولة جسده المقدس، إذ يصبح معنا جسداً واحداً ويجعلنا هياكل للإلوهة بكاملها؛ لأنه في جسد المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩) ...." (القديس غريغوريوس بالاماس — الدفاع عن القديسين الهدوئيين - الثلاثية الأولى — منشورات التراث الآبائي ١٩٩٦م تعريب دير مار جرجس الحرف ص ١١١).

وبالطبع إذا كان التعليم السائد عن الإفخارستيا هو أننا نتناول جسد المسيح وحده بدون اللاهوت، فإننا لا يجب أن نندهش من رسالة الكترونية بتوقيع "الناسكة الصغيرة" تدافع فيها عن تعليم الأنبا شنودة وتقول: "إننا نتحد بإرادة الله الآب لأن الابن نفسه قال: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني ...". فإذا كان الابن متحداً بالآب إرادياً، فنحن نتحد بنفس الإرادة دون أن نشترك في الطبيعة الإلهية!!!

وهنا نرى ذات فصل الإرادة عن الأقنوم، وكأنه يوجد شيء اسمه إرادة موجودة بلا أقنوم أو أن الأقنوم بلا طبيعة.

لا يمكن أن نعلِّق على هذا الكلام ألَّا بأنه دعوة لا أساس لها في المسيحية، بل هي فكر متأسلم يقوم أصلاً على فصل الثالوث عن الإنسان.

ما يؤكده القديس غريغوريوس بالاماس:

"إن القوة الإلهية السماوية التي يقتنيها السالكون بصورة تليق بالله مشتركين في حياة الروح القدس غير المنفصلة عنه، كما كان يعيش بولس "أيضاً" حياةً إلهيةً أبديةً، حياة من جاء ليسكن فيه حسب قول مكسيموس الإلهي. إن مثل هذه الحياة لا تزال موجودة في طبيعة الروح القدس عينها التي هي –منذ الأزل– أن يؤلِّه. وهي التي يسميها القديسون عن حق "روحاً" و"إلوهة" بوصفها عطية مؤلهّة، لا تنفصل أبداً عن الروح القدس الذي يهبها" (المرجع السابق ص ٢٦).

وهنا يقف القديس غريغوريوس بالاماس على طرفي نقيض من بدعة انوميوس:

١– إن الجوهر – الطاقة – القوة، هي استعلانات عمل الأقانيم، فلا طاقة بلا جوهر، ولا قوة بلا أقنوم؛ لأن انفصال الطاقة أو القوة عن الأقانيم يعني أن للطاقة أو القوة كيانٌ خاص بها غير الكيان أو الجوهر الإلهي، وعندئذٍ تكون إمَّا مساوية لله، وهذا هو الشرك بعينه وتعدد الآلهة، وإمَّا أنها غير الله، وهذا يعني أن الذي خلَّصنا وأعطانا المصير الأبدي والقيامة هو آخر غير الله الثالوث، وهو ما يهدم كل ما جاءت به بشارة الإنجيل.

ليت السكارى بالكلمات ينالون يقظةً من روح الآب.

٢– إن جوهر الله فوق الإدراك ويعلو على معرفة الإنسان، بينما المعلَن لنا ليس جوهر الله أي الكينونة الإلهية، بل الأبوة في الآب، والبنوة في الابن، والانبثاق في الروح القدس الذي نعرفه من التقديس.

ما الذي يحاول الأنبا بيشوي إنكاره باستخدامه نص القديس باسيليوس؟[١]

يستخدم الأنبا بيشوي هذا النص لكي يفصل الطاقة عن الجوهر الإلهي، دون أن يعرف أن هذا الفصل يخلق إلهاً آخر اسمه "الطاقة" يعطي الخلود والحياة الأبدية. هذا الاتهام نراه في ثلاثية القديس غريغوريوس بالاماس؛ لأن انفصال الطاقة الإلهية عن الجوهر الإلهي، وقدرة هذه الطاقة على أن تعطي الحياة الأبدية يعني وجود إلهين[٢].

الطاقة هي قوة الأقنوم:

ويعود القديس غريغوريوس بالاماس إلى السؤال القديم الذي لا تزال إجابته بعيدة عن إدراك الأنبا شنودة والأنبا بيشوي: هل الخلود حالة طبيعية، أي طبيعة في الإنسان، أم هي عطية؟

يجيب غريغوريوس بالاماس: "إذا كان التألُّه متعلقاً بقدرة طبيعية وكان معدوداً بالطبع بين سنن الطبيعة، فالإنسان المؤلَّه يكون عند ذلك بالضرورة الله بالطبع"[٣]. بل ويصبح

---

(١) استشهد الأنبا بيشوي في المقال المشار إليه بنص من عند القديس باسيليوس –قام نيافته بترجمته– يقول فيه: "نحن نقول أننا نعرف عظمة الله، وسلطانه، وحكمته، وصلاحه، وعنايته بنا، وعدالة حكمه، لكن ليس جوهره ذاته... إن الطاقات تتنوع أما الجوهر فبسيط، لكننا نقول أننا نعرف الله من طاقاته، على أننا لا نشرع في الاقتراب من جوهره... إن طاقاته تأتى إلينا من فوق أما جوهره فيظل بعيداً عن منالنا.. إذن معرفة الجوهر الإلهى تتضمن إدراك أنه لا يسبر غوره، وموضوع عبادتنا ليس هو أن نفهم الجوهر لكن أن نفهم أن هذا الجوهر كائن (موجود)." (الرسالة إلى أمفيلوخيوس الفقرة ١ و٢ مجموعة آباء ما بعد نيقية المجلد الثامن). ولعل القارئ يدرك أن ما قاله القديس باسيليوس، ليس هو ما فهمه، وأراد الأنبا بيشوي أن يستخلصه.

(٢) الثلاثية الثالثة – تعريب دير القديس جاورجيوس – الحرف – ١٩٩٦ ص ٤٠ - ٤١.

(٣) المرجع السابق ص٤٢.

الإنسان الخالد بالطبيعة –حسب عبارة غريغوريوس بالاماس– "الله بالمعنى الحقيقي"[١].

الخلود هو الإلوهة، وهو النعمة أيضاً:

والسقوط في الشِّركِ بالله هو خطية كلٍّ من الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، وليس خطية الآباء أو خطية الذين شرحوا الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن الخلود هو تألُّه كل المؤمنين، وليس تألُّه شخصٍ واحدٍ أو أكثر، مما يدحض تهمة الشِّرك من أساسها؛ لأننا لن ننال عبادةً من أحد بسبب الخلود، بل لأننا كلنا خالدون بالنعمة.

وهنا يقدم القديس غريغوريوس بالاماس خلاصة تعليم الآباء:

> "التألُّه عند الآباء هو قوة جوهرية من قوى الله. والجوهر الذي تكون قواه الجوهرية مخلوقة يكون بالضرورة مخلوقاً. تلك هي الحماقة التي وقع فيها (برلعام) *Barlaam* هذا الشقي، بأشكالٍ مختلفة ومراتٍ كثيرة"[٢].

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧. وبرلعام هذا كان يحارب تعليم الآباء وتصدى له القديس غريغوريوس بالاماس.

الخلاصة:

أولاً: إن فصل الطاقة عن الأقانيم والجوهر الإلهي هو ضلالٌ؛ لأن الطاقة صادرة من جوهر الله وليست مخلوقة، ولهذا السبب يعمل الثالوث فينا، بل ويعطينا الثالوث من خلوده الإلهي عطية الخلود.

ثانياً: إن فصل الطاقة عن الجوهر، يعني أنه توجد طاقة قادرة على أن تعطي الخلود والحياة الأبدية، وهذا يعني أنها إلهٌ آخر غير الثالوث.

ثالثاً: إن فصل الطاقة عن الجوهر، يعني أننا قد نلنا التبني من مصدر آخر غير الآب والابن والروح القدس، وأننا أصبحنا أبناء لهذا المصدر.

الفصل الرابع

لماذا التمييز بين الجوهر والطاقة؟

لماذا ميَّز الآباء، لا سيما بالاماس، بين الجوهر والطاقة؟

والجواب هو؛ لأن الشركة هي معرفة، ومعرفة جوهر الله تعني أننا قادرون على استيعاب حقيقة الوجود والكيان الإلهي، وهذا مستحيل، بل كما يذكر البروفسور كارميرس *Karmiris* أستاذ اللاهوت بجامعة أثينا إن معاينة ورؤية جوهر الله تجديف[1].

فالإنسان لا يرقى إلى ذات كينونة أو جوهر الله لأنه اشترك في حياة الله، ولكنه يحيا كمخلوق ينال الخلود والحياة الأبدية والبنوة وعدم الفساد لكي يحيا في عمق الشركة الإلهية دون تحوُّلٍ في كيانه المخلوق. وكان الأنبا شنودة هو أول من قال إن الشركة في الطبيعة الإلهية تعني أن الإنسان يصبح مثل الله قادراً على كل شيء، عالماً بكل شيء، بلا خطية وموجوداً في كل مكان.

وهنا نضع أمام القارئ بعض الكلمات الخالدة للقديس غريغوريوس بالاماس من الثلاثية الثالثة تعريب دير القديس جاورجيوس – دير الحرف:

"سمعنا القديس باسيليوس الكبير يقول إن ما ينسكب علينا بالابن هو غير

---

(1) أنظر كتابة اللاهوت العقيدي طبعة أثينا ١٩٥٣م صفحات ٢٩٤ – ٣٤٩، وراجع أيضاً ص ١٠٥ – ١٠٧ من الفصل الرابع من كتاب الأب:

John S. Romanides, The Ancestral Sin, ISBN: 0- 9707303-1-4.

مخلوق" (الثلاثية الثالثة ص ٢٥). وهو نص من مقالة القديس باسيليوس ضد أنوميوس (مجلد ٢٩: ٧٧٢).

"هذه القوة الإلهية والسماوية التي يقتنيها السالكون بصورة تليق بالله، مشتركين في حياة الروح القدس غير المنفصلة عنه، كما كان يعيش بولس أيضاً حياةً إلهيةً أبدية، حياة من جاء ليسكن فيه –حسب قول مكسيموس الإلهي (المعترف)– إن مثل هذه الحياة لا تزال موجودة. إنها موجودة في طبيعة الروح القدس عينها التي هي، منذ الأزل، (أي لا يوجد لها بداية)" (الثلاثية الثالثة ص ٢٦).

وعن ديونيسيوس الأريوباغي ينقل غريغوريوس بالاماس، ويقول:

"إن ديونيسيوس العظيم –الذي إلى جانب ذلك– يسمي ذلك النور "شعاعاً فائق الضياء وإلهياً بالفعل"، يسميه أيضاً "عطيةً مؤلِّهةً ومبدأ الإلوهة"، أي مبدأ التألُّه ... إن الله يدع ذاته يُرى عياناً لا بألغاز (عدد ١٢: ٨) وإنه يلتصق بالخليقين به (المستحقين) التصاق النفس بالجسد والتصاقه بأعضائه، وإنه يتَّحد بهم حتى أنه يأتي ويسكن كله فيهم كلهم، وإنه بالابن ينسكب الروح علينا بغزارة (تيطس ٣: ٦)". (الثلاثية الثالثة ص ٤٥).

وهنا يعود بالاماس إلى المبدأ الأساسي في التمييز بين الجوهر والقوة ويخاطب برلعام:

"فالتألُّه عند الآباء هو قوة جوهرية من قوى الله. والجوهر الذي قواه الجوهرية مخلوقة يكون بالضرورة مخلوقاً. تلك هي الحماقة التي وقع فيها هذا الشقي (برلعام) بأشكال مختلفة ومرات كثيرة كما هو بيِّنٌ، فإنه لا يخجل من قوله إن سائر قدرات الله وقواه الطبيعية هي مخلوقة" (الثلاثية الثالثة ص ٤٧ – ٤٨).

"الحياة الأبدية قد حلَّت في الإنسان المؤلَّه دون أن تنفصل عن الله. هكذا كان بولس يقول "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠) (الثلاثية الثالثة ص ٥٥).

وإذا كان الأنبا بيشوي قد سمح لنفسه أن يقبل ما حددته مجامع الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية –وهو ما يجب علينا أن نشجعه على السير فيه، إلاَّ أن ذلك جاء خارج إطار الفهم التاريخي واللغوي واللاهوتي الصحيح، ولذلك راح –عن غير علم– يدافع عن ضلال فصل الإنسان عن الله.

وحتى لا يقول أحدٌ بأننا اعتمدنا على كتابات بالاماس وحده، رغم أنه هو أكثر من درس تعليم الآباء، فإننا هنا نقدم أهم ملاحظة للقديس كيرلس السكندري الذي لم يدرس الفيزياء والميكانيكا وغيرها، بل درس اللاهوت:

"نفس القوة التي تقدِّس والتي تنبثق من جوهر الآب تكمِّل كل غير الكاملين. هذه نعترف بأنها الروح القدس ... وإذا لم يعمل فينا بنفسه، وإذا لم يكن هو الله بالطبيعة، وإذا كان الروح القدس نفسه ينال التقديس ويمتلئ بالقداسة بالشركة من الجوهر الإلهي، وإذا كان هو يساعدنا فقط على أن يعطي النعمة التي أُعطيت له، فالنتيجة الواضحة هي أن نعمة الروح القدس تقدَّم بواسطة مخلوق، وهذا غير صحيح ... إنه بواسطة نفسه يعمل فينا الروح، وحقاً يقدِّسنا ويُتحِدنا *uniting* بذاته بالشركة لكي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية" (فقرة ٣٣ من كتاب الكنز مجلد ٧٥: ٥٩٧).

وفي الحوار السابع من كتاب الثالوث وفي رده على بعض الأسئلة يشرح القديس كيرلس أنه لا توجد نعمة بدون الأقنوم:

كيرلس: هل نحن نؤمن ونقول بأن الجنس البشري الكائن على الأرض هو صورة الله.

السائل: حقاً.

كيرلس: ألا يطبع فينا الروح هذه الصورة الإلهية مثل ختم *Seal* ويطبع بذلك الجمال السماوي الفائق فينا.

السائل: ولكنه لا يعمل ذلك لأنه الله، بل كخادم للنعمة الإلهية.

كيرلس: إذا كان هذا صحيحاً، فنحن لا ننال الله نفسه، بل نحن ننال مجرد نعمة تعطى لنا بواسطته.

السائل: هذا ما يبدو لي.

وهنا يقدم القديس كيرلس التعليم الرسولي الآبائي:

كيرلس: إذن كان يجب أن ندعو الجنس البشري صورة النعمة وليس صورة الله ... ولكن عندما خُلقنا وأُعطينا البقاء، فقد خُلِقَ البشر "مثل الله" ونفخ الله فيهم نسمة الحياة، ولكن بعد أن فقدوا القداسة أُعيدوا مرةً ثانيةً إلى الكيان الأصلي والجمال القديم. وحقاً نفخ المسيح على الرسل القديسين وقال أقبلوا الروح القدس (يوحنا ٢٠: ٢٢). فإذا كانت النعمة التي أُعطيت لهم منفصلة عن جوهر الروح، فلماذا لم يذكر موسى المبارك ذلك ... ولماذا لم يقل المسيح لنا: اقبلوا نعمة بواسطة خدمة الروح القدس؟ لكن موسى كتب "نسمة الحياة" (تك ١: ٢٦)، وهذا يعني أن طبيعة الله هي حقاً حياة ... وعندما نسمع صوت المخلص يقول: الروح القدس، فإنه حقاً يعني الروح القدس نفسه الذي يجعله يسكن فينا، وهو الذي يقدمه إلى نفوس المؤمنين لأنه بواسطته وفيه يجددهم إلى الصورة الأصلية، أي إلى ذاته وإلى مثال كيانه بواسطة التقديس ... لأنه يجددنا حسب هذه الصورة إلى الأصل والمثال أي طبيعة الآب والابن ... لأننا نتكون (من جديد) إلى ذات صورة الله. وهذا

ما يعلِّمنا إياه الرسول "يا أبنائي الذين ألدهم مرةً ثانيةً حتى يتكوَّن المسيح فيهم". والآن هو (المسيح) يتكوَّن فينا بالروح لأنه من خلاله يجددنا ويعيدنا إلى الله. لأننا تجددنا حسب المسيح الذي طَبَعَ وأعطانا من جديد الروح.

السائل: ليس لديَّ أي تصحيح لما ذكرته.

كيرلس: لقد دعينا –ونحن حقاً– هياكل الله، بل آلهة. وعلينا أن نسأل المقاومين (المعارضين): هل نحن حقاً نشترك فقط في نعمة عارية وخالية من الأقنوم؟ ولكن هذا عير صحيح؛ لأننا هياكل الروح الكائن، وبسبب كيانه الإلهي دُعينا نحن آلهة، وبسبب الاتحاد دخلنا الشركة **في** الطبيعة الإلهية الفائقة ..." (الحوار السابع مجلد ٧٥: ١٠٨٨ – ١٠٨٩)(١).

إن ما ذكره الأنبا بيشوي في مؤتمر الفيوم ٢٠٠٧م لا يمكن أن يمر دون رد، ولكننا سوف نكتفي بعبارة حاسمة للقديس غريغوريوس بالاماس:

"قد يتساءل أحدٌ ماذا عمل (برلعام) حتى سقط في هوة عميقة كهذه؟ لقد فحص بالعقل والفلسفة الطبيعية ما يتجاوز العقل والطبيعة" (الثلاثية الثالثة ص ٩١).

وينقل بالاماس شرح الآباء كما سجَّله مكسيموس قائلاً:

"ولكن كيف نعرف أن هذا النور هو أيضاً تأليه؟ اسمع الأب نفسه، فإنه بعد تعبيره قدر المستطاع عن كيفية اتحاد المؤلَّهين بالله –اتحاداً شبيهاً باتحاد النفس بالجسد لكي يؤلَّه الإنسان كله بنعمة الله المتأنس– يختم قائلاً: إنه يظل كله إنساناً بالطبع في نفسه وجسده، ويصبح كله إلهاً في نفسه وجسده بالنعمة

---

(١) لاحظ عزيزي القارئ حرف الجر "في" الوارد في السطر الأخير.

والإشراق الإلهي الذي للمجد السعيد الذي يزيّنه برمته" (المرجع السابق ص ١٠٣).

وليس الأمر قاصراً على بالاماس، بل حتى في العصر الوسيط الأوربي نفسه نجد:

كل من *Meister Echart*[١] و *Hadewijch*[٢] وفي الذروة نجد *Angelus Silesius*[٣] وفي مصر نجد الأب بولس البوشي أسقف مصر ١٢٤٠م[٤] الذي يُعد أخر معاقل الآباء، والذي تفضَّل الأب المستشرق سمير خليل اليسوعي بنشر مقالة "في التثليث والتجسد وصحة الديانة المسيحية" – التراث العربي المسيحي مجلد ٤ – ١٩٨٣م.

وهذه بعض عبارات بولس البوشي:

"إن الله لما خلق أبانا آدم وجعله في الفردوس، نهاه أن يأكل من عود المعصية ... قائلاً في اليوم الذي تأكل منه موتاً تموت ... وقول الله لا يكون باطلاً، بل كما أن الموت المحسوس هو افتراق النفس من الجسم؛ لأنه بافتراق الأفضل من الأدنى يكون الموت واقعاً بالأدنى، هكذا نفهم عن الموت المعقول أنه افتراق روح الله من نفس الإنسان، وهو أشد الموت وأشنعه ... فعند أكله من الشجرة نزع الله منه في ذلك الوقت روح قدسه ونزعها من نفسه التي بها كان سبب حياته المؤبدة (الأبدية) مع الله ... فمات بحق، ذلك اليوم، الموت المعقول ... وهكذا نسله من بعده صائرون إلى التراب مثله". (في التثليث والتجسد وصحة الديانة المسيحية ص ٢١٠ – ٢١٣).

---

(1) http:// en. Wikipedia.org/wiki/Meister_Eckhart

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Hadewijch

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Angelus

(4) http://www.st-mina.com/main/Coptic-Stories/saint/460.asp–

وهنا نلحظ ملاحظةً هامة، وهي أن الأنبا بولس البوشي يتفق مع كيرلس الكبير وغيره من الآباء؛ لأنه يؤكد أن مفارقة الروح القدس هي (الموت الروحي) أو (العقلي).

ورداً على سؤال خاص بموت النفس من عند الأنبا بولس البوشي ومن عند القديس كيرلس الكبير[1] ندرك أن الموت حدث فعلاً للنفس، وظهر ذلك في الآتي:

١- فقدان رؤية الله ومعرفته معرفةً حقيقيةً.

٢- انقطاع الصلاة والتسبيح مع القوات السمائية.

٣- عدم نمو الإنسان نمواً روحياً وهو ما أثَّر على الجسد، وجعله في وضع أضعف بكثير من النفس حسب عبارة الرب: "أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مت ٢٦: ٤١).

لماذا لم يعُد الإنسان إلى الفناء أو العدم؟

والجواب الصحيح هو: صلاح الله، والإبقاء على الجنس البشري حتى يجيء المخلص ويرد الحياة الأبدية للبشر. وبهذه المناسبة نلفت النظر إلى أنه من الموضوعات التي لم نرَ فيها بحثاً كاملاً أو دقيقاً هو موضوع "نزول المسيح إلى الجحيم" الذي تعلنه صلوات كل الكنائس الأرثوذكسية؛ لأنه هدم قوات الجحيم، فقد قال رسول الرب إنه سبى الجحيم (أف ٤: ٦).

الأنبا بولس البوشي وتعليم الآباء

يشرح الأنبا بولس هذا التعليم هكذا:

---

(١) راجع د. جورج حبيب بباوي، الخلاص كما شرحه القديس كيرلس – القاهرة – ٢٠٠٧. والكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

"وكل من أتى من نسل آدم ... لم يقدر أحدٌ منهم بالجملة أن يوصِّل إلينا الحياة المؤبدة (الأبدية)" (المرجع السابق ص ٢١٤).

لماذا هذه الدقة؟

يجيب الأنبا بولس البوشي:

"لكونها لم تكن في جوهره ...

لأن الحياة التي بها انتهاء لم تكن إلَّا للذي بلا ابتداء

... ولم يكن كذلك إلَّا الله الكلمة" (المرجع السابق ص ٢١٤).

وهنا يجيب الأنبا بولس البوشى علي سؤال عاصفة الحرب علي الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية:

"فلم يكن كذلك إلَّا الله الكلمة

ولم يوصلها إلينا بلاهوته؛

لأننا لسنا من ذلك الجوهر الخالق الأزلي،

ولا نلائمه بشيء (نشبهه في شيء)" (المرجع السابق ص ١٢٥).

ماذا حدث إذن؟

"فشاء بتحننه أن يتجسد

واتحد بالجسد مع لاهوته

وأوصل الحياة المؤبدة (الأبدية) إلى ذلك الجسد

ثم أوصلها إلينا كافة المؤمنين به

بالنسبة لذلك الجسد المأخوذ منا

...

وهكذا خلَّص النفوس المعتقلة منذ البدء

التي تسلط عليها الشيطان بالمخالفة

فخلصها بالعدل لا بالقهر" (المرجع السابق ص ٢١٦ – ٢١٧).

ولذلك لم يكن أحد يحارب العدل الإلهي -كما تخيَّل البعض- عندما كتب د. هاني مينا ميخائيل أن أحد صفات العدل الإلهي هو أنه يخلِّص[١].

كيف جاءت الحياة الأبدية إلينا؟

يجيب القديس بولس البوشى:

"ثم أوصل الحياة الأبدية للجسد المتَّحد به من البشرية بقيامته من الأموات

وأوصل إلينا، نحن، تلك الحياة

بالنسبة التي لنا مع الجسد المأخوذ من جنسنا ...

ثم زاد ... بتفضله وشاء أن يجعل لنا الشركة

(١) راجع د. هاني مينا ميخائيل: العدالة الإلهية حياة لا موت، مغفرة لا عقوبة. تقديم ومراجعة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف المتنيح، القاهرة ٢٠٠٩.

والصلة مع ذلك الجسد المقدس ...

حتى تكون تلك الحياة المؤبدة التي صارت لذلك الجسد

تصير فينا بالكمال والحق، طبيعة،

فأعطانا أولاً روح (الروح) القدس بالمعمودية ...

ثم بعد ذلك زادنا تفضلاً ...

فأعطانا جسده المحي (يوحنا ٦: ٥١ — ٥٢)

ثم عرفنا ما هو الخبز فقال:

والخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي،

حتى أنه زاد ذلك أعلاناً قائلاً

إن لم تأكلوا جسد ابن البشر

وتشربوا دمه ليس لكم حياة أبدية فيكم

وقوله فيكم يعني

أنها تصير في جوهركم

لا تكون خارجة عنكم ولا غريبة منكم.

ولِما ذلك فقال: لأن جسدي مأكل حق ...

وقوله مأكل حق لان لاهوته المتحد بجسده

هو قد اتَّحد بهذا الخبز المقدس وصيَّره بحقٍ لا بشبه،

ثم قال ما هو أعظم ... وكما أرسلني الآب الحق

وأنا حيٌّ من أجل الآب، كذلك مَن يأكلني يحيا من أجلي" (يوحنا ٦: ٥٧ الترجمة القبطية)

... فقال أولاً الخبز المحيي (يوحنا ٦: ٥١)

وعرفنا أن ذلك الخبز هو جسده بحق،

ثم قال ثالثاً مَن يأكلني يعني أنه إله متجسد،

ولم يفترق لاهوته من ناسوته

فمن ينال باستحقاق وإيمان

فهو يحل فيه،

ويعطيه الحياة التي أعطاها للجسد المتَّحد به" (المرجع السابق ص ٢١٧ – ٢٢٤).

ويؤكد الأنبا بولس البوشى بعد ذلك حقيقة قيامتنا بسبب قيامة الرب يسوع، لا بسبب ما يسمى بـ "قيامة عامة" حسب التعليم السائد الآن، فلا توجد إلَّا قيامة بالمسيح، وذلك بحسب عبارة الرسول بولس:

"قال الرسول: إنه عتيد أن يغيِّر جسد ضعفنا

ويُغيِّره شبيهاً بجسد مجده، كفعل يده القوية

الذي له يتعبد كل شيء (راجع فيلبى ٣: ٢١)،

فإن لم يحل في الإنسان ما هو أشرف منه،

وهو الروح القدس والسراير (الأسرار) المحيية للإله الكلمة ...

فليس له نصيب ولا ميراث في تلك الملكوت المؤبدة" (المرجع السابق ص ٢٢٥ – ٢٢٦).

الذين يتناولون الناسوت فقط

هم ليسوا فقط نساطرة حسب عبارة أشهر نساطرة هذا الزمان "يُؤكَل ولا يُؤكَل" لكي ينفي اتحاد اللاهوت بنا ظناً منه أنه يوجد عاقل واحد يقول إن اللاهوت يُؤكَل، وعبارة الأنبا بولس البوشى عن كلمة الرب يسوع "جسدي مأكل حق"، تكفي؛ "لأن لاهوته المتحد بجسده هو قد اتحد بهذا الخبز المقدس وصيَّره بحقٍ لا بشبه ..."

وفي نص جميل، ربما يعود إلى ما قبل القرن العاشر، يقول الأب صفرونيوس في أحد رسائله القصيرة عن تحول الخبز والخمر:

"نستدعي الروح القدس الذي كوَّن ذات الناسوت في رَحِم البتول والدة الإله، لا لكي يكون ناسوتاً جديداً لأن للرب الواحد ناسوتاً واحداً، بل لكي ينقل قوة حياة الله الكلمة إلى الخبز والخمر، وهي ذات قوة القيامة، وهي نفسها قوة الرب الذي تجلَّى علي جبل طابور والتي لم تكن نوراً مخلوقاً، بل نورُ اللاهوت؛ لأن النور كان أكثر بهاءٍ من نور الشمس حسب شهادة الأناجيل. وأما الأكل، فهو شجرة الحياة لأنه لا توجد وسيلة أخرى تُعطي لنا يقين التناول إلَّا الأكل، فهو تنازل إلهي عظيم مثل تنازل الثالوث لكي يغسلنا في مياه الحميم الثاني الجديد، أي المعمودية المقدسة. ونحن نُقسِّم

الجسد لا كي نفصله، بل لكي يوزَّع، ليس كأعضاء متفرقة مثل ذبائح العهد القديم، بل لكي يوزَّع جسداً كاملاً يعطي لنا الحياة الأبدية وغفران الخطايا والشركة في الطبيعة الإلهية، أي انتقال الطبيعة المخلوقة من العدم إلى نعمة الحياة الأبدية التي من الله الآب والتي لا تُعطى إلَّا بواسطة الابن وبالروح القدس؛ لأن الروح القدس يفتح لنا كنوز التجديد وقوة الخليقة الجديدة التي نالت ميراث الحياة الأبدية في المسيح ..."

الذين لا يعرفون إلَّا الشتائم

أحيانا أُعيد رسالة الشتائم إلى مصدرها. لا ردَّ علي إنسان تجاوز أبسط وصايا المسيح. ولأن ما نكتبه هو للمسيح ومن أجل المسيح، فلا مجال للشتائم بالمرة. ولكنني أقول لأكثر من إنسان ولا داعٍ لذكر الأسماء، إنني أتحدى أن ينسب ليَ أيُّ شخصٍ عبارةً واحدةً تمس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ولكن، للتاريخ، لم أكن أنا الذي بدأ الهجوم علي الأنبا شنودة، بل هو من وضع قائمة اتهامات كثيرة منها الجهل، وعدم معرفة اللغة اليونانية التي لا يعرفها هو، وعدم دراسة الآباء، ومحاربة لاهوت المسيح ... الخ.

لقد استمرت هذه الحملة ٢٥ سنة دون ردٍّ من جانبي حتى ظهر اسمي في مجلة الكرازة كواحد من الذين انضموا لماكس ميشيل (الأنبا مكسيموس) وأرسلت تكذيباً ولم تنشره الكرازة، بل نشر وطني الدولي هذا التكذيب، ثم أُعيدت الاتهامات من جديد في كتب اللاهوت المقارن، ثم أُعيد نشرها بعد ذلك في كتاب "بدع حديثة" للأنبا شنودة. وهكذا عشنا لنرى "البدعَ" تُحاكَم في الكتب لا في مجامع، وعشنا لنرى حكماً يصدر من جانب واحد دون حق الدفاع عن التعليم، ودون أية فرصة للحوار.

ومع ذلك لم أذكر كلمة واحدة عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بل كان كلامي كله موجهاً للأنبا شنودة، ولم أتهمه بالكفر كما أشاع الأنبا بيشوي، وكما رتبت بعض وسائل الإعلام في مصر لكي تقودنا جميعاً مثل قطيع من الغنم إلى مجزرة الاقتتال الداخلي.

وتبقي رسائل من يطلب ليَ الموت أو يصفني بالإلحاد ... الخ، تعبيراً يؤكد أننا لا نسعى وراء المسيح .... غفر الله للكل ... وإن كانت رسائل واتهامات هؤلاء تشهد بأنهم فقراء "عقلياً" وفارغون "روحياً" ولا يملكون إلَّا اللسان يحركون به ضعاف العقول.

ملاحق الباب الأول

١- مقال الأنبا بيشوي بعنوان: "تأليه الإنسان وتفسير عبارة القديس بطرس الرسول "شركاء الطبيعة الإلهية"٢(بط ١: ٤).

٢- "نزول الرب يسوع إلى الجحيم" من أناشيد القديس مار إفرام السرياني.

٣- رسالة القديس باسيليوس ٢٣٤ - باللغة الإنجليزية.

٤- مقالة الأب جورج فلورفسكي عن بالاماس - باللغة الإنجليزية.

أولاً

تأليه الإنسان وتفسير عبارة القديس بطرس الرسول "شركاء الطبيعة الإلهية"٢(بط ١: ٤)

المؤلف: الأنبا بيشوي مطران دمياط

المصدر: موقع رابطة حماة الايمان.

قال السيد المسيح: "أنا هو القيامة والحياة" (يو١١: ٢٥)، فما معنى هذه الكلمات الإلهية؟

إن الحياة الأبدية هي في المسيح؛ الخلاص من الخطية الأصلية، وصلب الإنسان العتيق هو في المعمودية التي نتحد فيها مع المسيح بشبه موته، لكى نصير أيضاً بقيامته (انظر رو٦).

مغفرة الخطايا الفعلية هو بدم المسيح في سر المعمودية ومن بعدها في سرى **التوبة والتناول** (**الإفخارستيا**).

يقول الأب الكاهن في القداس الإلهي في الاعتراف الأخير عن جسد الرب ودمه {يعطى عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه}

التناول من جسد الرب ودمه هو عربون للحياة الأبدية، نستعد له بالتوبة والاعتراف لأن القدسات للقديسين، والقداسة "بدونها لن يرى أحد الرب" كقول الكتاب في (عب١٢: ١٤)٠

في القداس الإلهي نقيم تذكار موت السيد المسيح وقيامته وصعوده، وكذلك

نتذكر مجيئه الثاني الآتي من السماوات المخوف المملوء مجداً

إن الاشتراك مع الله في الحياة الأبدية هو العطية الثمينة والعظمى التي طلب السيد المسيح من أجلها قبل صلبه حينما خاطب الله الآب قائلاً بشأن تلاميذه ""أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم"" (يو١٧: ٢٤)٠

إن اشتراكنا مع الله في الخلود وفى الحياة الأبدية هو العطية التي ننالها في المسيح وبالمسيح، بقوة دم صليبه المحيي الذى نقلنا من الموت إلى الحياة ""لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"" (يو٣: ١٦)٠

وقد شرح معلمنا بطرس الرسول إن اشتراكنا في الحياة الأبدية يستلزم أن نهرب من الفساد الذى في العالم بالشهوة مقدرين قيمة الخلاص الثمين، ومتمسكين بالمواعيد الإلهية فقال ""سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله، إلى الذين نالوا معنا إيماناً مساوياً لنا، ببر إلهنا والمخلّص يسوع المسيح؛ لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة، الذين بهما قد وهب لنا المواعيد العُظمى، والثمينة، لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذى في العالم بالشهوة"" (٢بط١: ١-٤)٠

إن معلمنا بطرس الرسول يقصد أن حياة القداسة ضرورية لننال الوعد بميراث ملكوت الله. وهذا يقتضى الهروب من الفساد الذى في العالم بالشهوة، والسلوك في حياة المجد والفضائل الروحية

وقد أكّد الرسول بطرس نفسه هذا المعنى في رسالته الأولى بقوله ""فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح كأولاد الطاعة. لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم، بل نظير القدوس الذى دعاكم، كونوا أنتم أيضاً

قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأنى أنا قدوس'' (١بط١: ١٣-١٦).

الخروج على النص الكتابي

هذه العبارة وردت في النص اليوناني الذى كتبت به رسالة بطرس الثانية أصلاً ''ثياس كينونى فيسيوس'' وفي الترجمة الإنجليزية: partakers of the divine nature (N.K.J) وفى الترجمة العربية ''شركاء الطبيعة الإلهية''. ولم يرد إطلاقاً في أي لغة سواء اللغة الأصلية أو الترجمة حرف ''فى'' وهو (إن) باليوناني و in بالإنجليزي

ولكن للأسف فإن البعض مثل الدكتور جورج حبيب بباوي ورهبان دير أبي مقار يحرّفون هذه الآية عند تعرّضهم لها، ويقولون ''شركاء في الطبيعة الإلهية''.. هذا لم يقله الرسول بطرس لأنه لا يمكن إطلاقاً أن يشترك أي مخلوق في طبيعة الله، أو في كينونته، أو في جوهره. ومن يدّعى ذلك يكون قد دخل في خطأ لاهوتي خطير ضد الإيمان بالله، وبسمو جوهره وطبيعته فوق كل الخليقة. كما أن هذا الادعاء هو لون من الكبرياء سقط فيه الشيطان من قبل حينما قال ''أصير مثل العلى''.. الرب يحمينا من هذا الكبرياء المهلك

أما قول معلمنا بطرس الرسول ''لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية'' فهو بمنتهى البساطة يقصد أن نشترك مع الله في ملكوته الأبدي من خلال اشتراكنا في قداسته حسب الوصية ''كونوا قديسين لأنى أنا قدوس'' وحتى الاشتراك في قداسة الله هو مسألة نسبية، ليست مطلقة. فكمال الخليقة هو كمال نسبى، أما كمال الله فهو كمال مطلق. وقداسة الله قداسة طبيعية غير مكتسبة، أما قداسة القديسين فهي قداسة مكتسبة

وقد كتب القديس باسيليوس الكبير ما يلى

"نحن نقول أننا نعرف عظمة الله، وسلطانه، وحكمته، وصلاحه، وعنايته بنا، وعدالة حكمه، لكن ليس جوهره ذاته... إن الطاقات تتنوع أما الجوهر فبسيط، لكننا نقول أننا نعرف الله من طاقاته، على أننا لا نشرع في الاقتراب من جوهره... إن طاقاته تأتى إلينا من فوق أما جوهره فيظل بعيداً عن منالنا.. إذن معرفة الجوهر الإلهي تتضمن إدراك أنه لا يسبر غوره، وموضوع عبادتنا ليس هو أن نفهم الجوهر لكن أن نفهم أن هذا الجوهر كائن (موجود)." (الرسالة إلى أمفيلوخيوس الفقرة ١ و٢ مجموعة آباء ما بعد نيقية المجلد الثامن).

النص الإنجليزي

"We say that we know the greatness of God, His power, His wisdom, His goodness, His providence over us, and the justness of His judgment, but not His very essence… The energies are diversified, and the essence simple, but we say that we know our God from His energies, but do not undertake to approach near to His essence. His energies come down to us, but His essence remains beyond our reach… So knowledge of the divine essence involves perception of His incomprehensibility, and the object of our worship is not that of which we comprehend the essence, but of which we comprehend that the essence exists." (Letter 234, to Amphilochius par. 1,2 N.&P.N. Fathers, 2nd series, Vol. VIII p. 274).

إن الرسول بطرس يتكلم عن الاشتراك في الحياة الأبدية مثل ميراث القديسين في الحياة الأبدية. فقال "بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذى في العالم بالشهوة" (٢بط١: ١-٤).

إننا نشترك مع الله في العمل مثلما قال معلمنا بولس الرسول عن نفسه وعن أبلوس ""نحن عاملان مع الله"" (١كو٣: ٩) نشترك مع الله في الحياة الروحية مثل البركة الرسولية التي يُقال فيها {شركة وموهبة وعطية الروح القدس تكون مع جميعكم}.

""شركاء الطبيعة الإلهية"" في العمل، في الإدارة، في الخلود، في القداسة، في الملكوت، في السعادة الأبدية، في الحب الذى قال عنه السيد المسيح للآب ""أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك. وهؤلاء قد عرفوا أنك أنت أرسلتني. وقد عرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتني به وأكون أنا فيهم"" (يو١٧: ٢٦).

إن السيد المسيح يقول للآب إن الحب الذى بينهما؛ من الممكن أن يكون في التلاميذ. والمقصود نوع الحب وليس مقداره. لأن الآب غير محدود والابن غير محدود، فالحب الذى بينهما غير محدود. أما نحن فمحدودين، وننال من الحب الإلهي على قدر استطاعتنا. وبهذا توجد شركة المحبة بيننا وبين الله. ونصير شركاء الطبيعة الإلهية.. ولكن ليس شركاء في الطبيعة الإلهية كما يتجاسر البعض ويقولون

من أقوال الآباء الأخرى التي تنفي تأليه الإنسان

كعربون لأقوال الآباء التي تدل على أننا لا نتأله بالمعنى الحرفي للكلمة نقدم الفقرة رقم (١٢) من الرسالة رقم (٥٠) للقديس كيرلس الكبير وقد أرسلها إلى فالريان أسقف أيقونية

وهو في هذه الفقرة إلى جانب أنه يشرح فكرة موت السيد المسيح الذى كان مساوياً لموت الجميع أي جميع من افتداهم. ولكنه من جانب آخر قد أوضح أن تجسد الكلمة وصيرورته إنساناً لم ينتج عنها إلغاء الفارق بين الكلمة المتجسد والبشر المؤمنين به حتى القديسين منهم. فهو يقول عن موت السيد المسيح أنه ""ليس موت إنسان مثلنا"" وذلك لأنه ""هو وحده"".."" إله بالطبيعة"" وذلك حتى بالرغم من أنه صار مثلنا من

حيث أنه قد تأنس

فمن يستطيع أن يدّعى الألوهة في ضوء كلام مثل كلام القديس كيرلس هذا الذى نورده بنصه باللغتين العربية والإنجليزية لئلا يعترض أحد على الترجمة ولا مانع لدينا من وضع النص باللغة اليونانية أيضاً؛ لأنهم يتماحكون بالكلام ناسين أن الخطية التي أسقطت آدم وحواء هو أنهما أرادا أن يصيرا مثل الله في المعرفة. والتي أسقطت إبليس نفسه هو أنه أراد أن يصير مثل العلى قائلاً ''أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشِّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ'' (اش ١٤: ١٣-١٤). نحن قد خلقنا على صورة الله ومثاله بمعنى محدود يفهمه المتواضعون فقط

النص العربي

'' لذلك، سيقودهم مظهر التقوى (الذى يتظاهرون به) بعيداً عن الحق، لأنهم لم يفهموا أن عدم القابلية للألم Impassiblity قد حُفظت لأن له وجوده الإلهي ولأنه إله، لكن التألم من أجلنا بحسب الجسد يُنسب أيضاً إليه لأنه – إذ هو إله بالطبيعة – صار جسداً، أي صار إنساناً كاملاً

لأنه من هو ذاك الذى قال لله الآب الذى في السموات: ''ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً (بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر) ثم قلت هأنذا ... أجئ لأفعل مشيئتك يا الله'' (قارن عب ١٠ : ٥ -٧ + مز ٤٠ : ٧-٩) لأن ذاك الذى كان بدون جسد كإله، يقول إن الجسد هُيئ له كي يستطيع – عندما يبذله لأجلنا – أن يشفينا جميعاً '' بحبره (بجلداته) '' (أش ٥٣ : ٥) بحسب قول النبي، لكن كيف يكون ''واحد قد مات لأجل الجميع'' (٢كو ٥: ١٤) ، واحد مساو للجميع كلهم، إذا اعتبرنا ببساطة أن الألم خاص بإنسان ما؟ وإذ تألم بحسب طبيعته الناسوتية، لأنه جعل آلام جسده آلامه هو، لذا نقول، وبصواب تام، أن موته هو وحده، بحسب الجسد، يُعد مُساوياً لحياة الجميع، فهو ليس موت إنسان مثلنا، حتى بالرغم من أنه صار مثلنا، بل

نقول أنه – لكونه إله بالطبيعة –تجسد وتأنس بحسب اعتراف الآباء.''

النص الإنجليزي

"Therefore, an appearance of piety leads them away from the truth, because they do not perceive that his impassibility has been preserved insofar as he has divine existence and is God, but the suffering for us according to his flesh is also attributed to him insofar as, being God by nature, he became flesh, that is a complete man. For who was he who said to God the Father in heaven, "Sacrifice and oblation you would not, but a body you have fitted to me. [In holocausts and sin-offerings you have had no pleasure. Then said I, 'Behold, I come to do your will, O God." For he who as God was without a body says that the body was fitted to him so that, when he offered this for us, he might cure us all "by his stripes" according to the saying of the prophet. But how is it that "one died for all," one who is worth all others, if the suffering is considered simply that of some man? If he suffered according to his human nature, since he made the sufferings of his body his own, then, indeed, we say, and very rightly, that the death of him alone according to the flesh is known to be worth the life of all, not the death of one who is as we are, even though he became like unto us, but we say that he, being God by nature, became flesh and was made man according to the confession of the Fathers".

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي في المقال الأول ضد الأريوسيين ما يلى

النص العربي

٣٩– ''...فلو أنه حينما صار إنساناً حينئذ فقط دعي ابن وإله، ولكن قبل أن يصير هو إنساناً دعي الله الناس القدماء أبناء وجعل موسى إلهاً لفرعون (والأسفار تقول عن كثيرين ''الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة'' (مز ٨٢: ١)، فمن الواضح أنه دعي

ابن وإله بعدهم. فكيف يكون كل شيء من خلاله وهو قبل الكل؟ أو كيف يكون هو "بكر كل خليقة" (كو ١: ١٥)، إن كان هناك آخرون قبله يدعون أبناء وإلهه. وكيف أن هؤلاء الشركاء الأولين لا يشاركون "الكلمة"؟ هذا الرأي غير صحيح؛ وهو حيلة للمهودين الحاليين. لأنه كيف يقدر أحد في هذه الحالة أن يعرف الله كآب له؟ لأنه لا يمكن أن يكون هناك تبنى بدون الابن الحقيقي، الذى قال "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له". وكيف يكون هناك تأله بدون الكلمة وقبله؟ ولكن، هو قال لإخوتهم اليهود "قال آلهة لأولئك الذى صارت إليهم كلمة الله" (يو ١٠: ٣٥). وإن كان كل ما دعوا أبناء وآلهة إما في السماء أو على الأرض، تم لهم التبني والتأله من خلال الكلمة، والابن نفسه هو الكلمة، فمن الواضح أنه من خلاله هم جميعهم، وهو نفسه قبل الكل، أو بالأحرى هو نفسه وحده الابن الحقيقي، وهو الوحيد إله حق من الإله الحق، ولم ينل هذه كمكافأة على بره ولا لكونه آخر معها، ولكن بسبب أنه كل هذه بالطبيعة ووفقاً للجوهر."

النص الإنجليزي

"39 ... –Since, if when He became man, only then He was called Son and God, but before He became man, God called the ancient people sons, and made Moses a god of Pharaoh (and Scripture says of many, 'God standeth in the congregation of Gods') , it is plain that He is called Son and God later than they. How then are all things through Him, and He before all? or how is He 'first-born of the whole creation,' if He has others before Him who are called sons and gods? And how is it that those first partakers do not partake of the Word? This opinion is not true; it is a device of our present Judaizers. For how in that case can any at all know God as their Father? For adoption there could not be apart from the real Son, who says, 'No one knoweth the Father, save the Son, and he to whomsoever the Son will reveal Him.' And how can there be deifying apart from the Word and before Him? Yet, saith He to their brethren the Jews,

‘If He called them gods, unto whom the Word of God came.’ And if all that are called sons and gods, whether in earth or in heaven, were adopted and deified through the Word, and the Son Himself is the Word, it is plain that through Him are they all, and He Himself before all, or rather He Himself only in very Son, and He alone is very God from the very God, not receiving these prerogatives as a reward for His virtue, nor being another beside them, but being all these by nature and according to essence”.

فالقديس أثناسيوس هنا يؤكد أن الابن هو الوحيد الذى يدعى ابن حقيقي وهو وحده إله حق من الإله الحق بالطبيعة وبحسب الجوهر، أما الخلائق فحتى وإن دعوا بنين أو آلهة فإن هذا التبني هو فقط من خلال الكلمة، فبنوة الخلائق ليست بنوة بالطبيعة ولا بحسب الجوهر

وقد ميز القديس أثناسيوس تميزاً واضحاً بين وضع المسيح الفريد وبين باقي البشر والملائكة كأولاد لله. وهذا تماماً مثلما ميز القديس يوحنا الإنجيلي السيد المسيح فقال أنه هو الابن الوحيد الجنس (أو مونوجينيس أيوس) أو الإله الوحيد الجنس (أو مونوجينيس ثيؤس) (انظر يو ١: ١٨)٠

ولا يخفى على القارئ حكمة الوحى الكتابي في تعبير ‘‘الوحيد’’ إشارة إلى طبيعة المسيح باعتباره من الجنس الإلهي وفى الإشارة إلى بنوته الوحيدة والفريدة بحيث يكون الحديث عن الشركة في طبيعته الإلهية هو لون من التجديف على الله.

فليرحمنا الرب لكى نشعر بضعفاتنا وخطايانا فلا نسقط في الكبرياء[١].

---

(١) هناك نصٌّ مطوَّل لهذه المقالة منشور على موقع نيافة الأنبا بيشوي، يزيد عن هذه المقالة بحوالي عشر صفحات يورد فيها ما يتصور أنها أقوال الآباء التي تنفي بدعة تأليه الإنسان.

ثانياً

نزول الرب يسوع إلى الجحيم

قصيدة رقم ٣٨ من أناشيد مار إفرام السرياني

(مجلد ١٣ آباء ما بعد نيقية ص ١٩٩)

أعددتُ عرشي في الجحيم

قام الميِّت وحطَّم عرشي

يخافني كل إنسان، وأنا لا أخاف أحداً

الرعب والرعدة تأخذ الأحياء بسببي

السكون والسلام عند الأموات

ذُبِحَ إنسانٌ ونزل إلى الجحيم

فأخذها أسيرةً

لقد كنت أأسر كل البشر

أمَّا ابن الأسر الذي حاولت أسره

فقد أسرني

الذي أسرته قد تحرر

عاد إلى الفردوس

القرار

مباركٌ الذي أقام الأموات من الجحيم بالصليب

قرار نشيد ٤٤ ص ٢٠٨

لك المجد يا من باتضاعك تمجَّد آدم

وبموته قام آدم من الموت وعاد إلى الفردوس

قرار نشيد ٤٦ ص ٢٠٩ – ٢١٠

المجد لك يا من بانتصارك أخذنا قوةً

وبقيامته نتحدَّى الموت

المجد لك يا من بتواضعك قهرت الشيطان

وبتنازلك مجَّدت آدم الذي سقط

قرار نشيد ٤٨ ص ٢١١

المجد لك يا من بصليبك غلبت الشرير

وبقيامتك تمت لك الغلبة على الموت

قرار نشيد ٦٥ ص ٢١٦

(بعد مراجعته على الأصل السرياني)

المجد لك يا من نزلت إلى العمق حيث آدم
وأصعدته من عمق الجحيم وأتيت به إلى عدن

قرار نشيد ٦٧ ص ٢١٨

المجد لك يا من بذبيحتك فديتنا من اللعنة

وصار موته بدل كل موت
لكي يقيم الكل.

ولعل أهم ما يجب أن نردده مع مار إفرام هو قرار نشيد ٣٧

مباركٌ الذي كسر شوكة الموت بصليبه

(ولغة ما إفرام والرؤية اللاهوتية ليس لها علاقة بلاهوت العصر الوسيط السائد في كتابات قيادات كنسية معاصرة).

قرار نشيد ٣٩ ص ٢٠٢

مباركٌ الذي جاء وحلَّ رباطات الخطية

(لأن الرب يسوع لم يمت موت الخطاة، ولا دفع للآب فديةً، ولا قدَّم ترضيةً، بل خلَّص الأسرى، وفدى النفوس، وغلب الموت، هزم الجحيم، أعطانا الخلود).

(راجع دراسة الدكتور: Thomas Bucnan: Blessed He Who Has Brought Adam From Sheol .ISBN 1- 59333- 228- 9.

ثالثاً

رسالة القديس باسيليوس ٢٣٤ – باللغة الإنجليزية

ST. BASIL OF CAESAREA

To the same, in answer to another question.

1- Do you worship what you know or what you do not know? If I answer, I worship what I know, they immediately reply, What is the essence of the object of worship? Then, if I confess that I am ignorant of the essence, they turn on me again and say, So you worship you know not what. I answer that the word to know has many meanings. We say that we know the greatness of God, His power, His wisdom, His goodness, His providence over us, and the justness of His judgment; but not His very essence. The question is, therefore, only put for the sake of dispute. For he who denies that he knows the essence does not confess himself to be ignorant of God, because our idea of God is gathered from all the attributes which I have enumerated. But God, he says, is simple, and whatever attribute of Him you have reckoned as knowable is of His essence. But the absurdities involved in this sophism are innumerable. When all these high attributes have been enumerated, are they all names of one essence? And is there the same mutual force in His awfulness and

His loving-kindness, His justice and His creative power, His providence and His foreknowledge, and His bestowal of rewards and punishments, His majesty and His providence? In mentioning any one of these do we declare His essence? If they say, yes, let them not ask if we know the essence of God, but let them enquire of us whether we know God to be awful, or just, or merciful. These we confess that we know. If they say that essence is something distinct, let them not put us in the wrong on the score of simplicity. For they confess themselves that there is a distinction between the essence and each one of the attributes enumerated. The operations are various, and the essence simple, but we say that we know our God from His operations, but do not undertake to approach near to His essence. His operations come down to us, but His essence remains beyond our reach.

2- But, it is replied, if you are ignorant of the essence, you are ignorant of Himself. Retort, If you say that you know His essence, you are ignorant of Himself. A man who has been bitten by a mad dog, and sees a dog in a dish, does not really see any more than is seen by people in good health; he is to be pitied because he thinks he sees what he does not see. Do not then admire him for his announcement, but pity him for his insanity. Recognise that the voice is the voice of mockers, when they say, if you are ignorant of the essence of God, you worship what you do not know. I do know that He exists; what His essence is, I look at as beyond intelligence. How then am I saved? Through faith. It is faith sufficient to know that God exists, without knowing what He is; and "He

is a rewarder of them that seek Him." Hebrews 11:6 So knowledge of the divine essence involves perception of His incomprehensibility, and the object of our worship is not that of which we comprehend the essence, but of which we comprehend that the essence exists.

3- And the following counter question may also be put to them. "No man has seen God at any time, the Only-begotten which is in the bosom has declared him." John 1:18 What of the Father did the Only-begotten Son declare? His essence or His power? If His power, we know so much as He declared to us. If His essence, tell me where He said that His essence was the being unbegotten? When did Abraham worship? Was it not when he believed? And when did he believe? Was it not when he was called? Where in this place is there any testimony in Scripture to Abraham's comprehending? When did the disciples worship Him? Was it not when they saw creation subject to Him? It was from the obedience of sea and winds to Him that they recognised His Godhead. Therefore the knowledge came from the operations, and the worship from the knowledge. "Believest thou that I am able to do this?" "I believe, Lord;" and he worshipped Him. So worship follows faith, and faith is confirmed by power. But if you say that the believer also knows, he knows from what he believes; and vice versa he believes from what he knows. We know God from His power. We, therefore, believe in Him who is known, and we worship Him who is believed in.

رابعاً

مقالة الأب جورج فلورفسكي عن بالاماس

(باللغة الإنجليزية)

Gregory Palamas and Theosis

All these preliminary considerations are highly relevant for our immediate purpose. What is the theological legacy of St. Gregory Palamas? St. Gregory was not a speculative theologian. He was a monk and a bishop. He was not concerned about abstract problems of philosophy, although he was well trained in this field too. He was concerned solely with problems of Christian existence. As a theologian, he was simply an interpreter of the spiritual experience of the Church. Almost all his writings, except probably his homilies, were occasional writings. He was wrestling with the problems of his own time. And it was a critical time, an age of controversy and anxiety. Indeed, it was also an age of spiritual renewal.

St. Gregory was suspected of subversive innovations by his enemies in his own time. This charge is still maintained against him in

the West. In fact, however, St. Gregory was deeply rooted in tradition. It is not difficult to trace most of his views and motives back to the Cappadocian Fathers and to St. Maximus the Confessor, who was, by the way, one of the most popular masters of Byzantine thought and devotion. Indeed, St. Gregory was also intimately acquainted with the writings of Pseudo-Dionysius. He was rooted in the tradition. Yet, in no sense was his theology just a "theology of repetition." It was a creative extension of ancient tradition. Its starting point was Life in Christ.

Of all themes of St. Gregory's theology let us single out but one, the crucial one, and the most controversial. What is the basic character of Christian existence? The ultimate aim and purpose of human life was defined in the Patristic tradition as theosis [divinization]. The term is rather offensive for the modern ear. It cannot be adequately rendered in any modern language, nor even in Latin. Even in Greek it is rather heavy and pretentious. Indeed, it is a daring word. The meaning of the word is, however, simple and lucid. It was one of the crucial terms in the Patristic vocabulary. It would suffice to quote at this point but St. Athanasius. Gegonen gar anthropos, hin hemas en heauto theopoiese. [He became man in order to divinize us in Himself (Ad Adelphium 4)]. Autos gar enenthropesen, hina hemeis theopoiethomen. [He became man in order that we might be divinized (De Incarnatione 54)]. St. Athanasius actually resumes here the favourite idea of St. Irenaeus: qui propter immensam dilectionem suam factus est quod sumus nos, uti nos perficeret esse quod est ipse. [Who, through his immense love became what we are, that He

might bring us to be even what He is Himself (Adv. Haeres. V, Praefatio)]. It was the common conviction of the Greek Fathers. One can quote at length St. Gregory of Nazianzus. St. Gregory of Nyssa, St. Cyril of Alexandria, St. Maximus, and indeed St. Symeon the New Theologian. Man ever remains what he is, that is, creature. But he is promised and granted, in Christ Jesus, the Word become man, an intimate sharing in what is Divine: Life Everlasting and incorruptible. The main characteristic of theosis is, according to the Fathers, precisely "immortality" or "incorruption." For God alone "has immortality"—ho monos echon athanasian (I Tim. 6:16). But man now is admitted into an intimate "communion" with God, through Christ and by the power of the Holy Spirit. And this is much more than just a 'moral" communion, and much more than just a human perfection. Only the word theosis can render adequately the uniqueness of the promise and offer. The term theosis is indeed quite embarrassing, if we would think in "ontological" categories. Indeed, man simply cannot "become" god. But the Fathers were thinking in "personal" terms, and the mystery of personal communion was involved at this point. Theosis meant a personal encounter. It is that intimate intercourse of man with God, in which the whole of human existence is, as it were, permeated by the Divine Presence. (5)

Yet, the problem remains: How can even this intercourse be compatible with the Divine Transcendance? And this is the crucial point. Does man really encounter God, in this present life on earth? Does man

encounter God, truly and verily, in his present life of prayer? Or, is there no more than an actio in distans? The common claim of the Eastern Fathers was that in his devotional ascent man actually encounters God and beholds His eternal Glory. Now, how is it possible, if God "abides in the light unapproachable"? The paradox was especially sharp in the Eastern theology, which has been always committed to the belief that God was absolutely "incomprehensible"—akataleptos—and unknowable in His nature or essence. This conviction was powerfully expressed by the Cappadocian Fathers, especially in their struggle against Eunomius, and also by St. John Chrysostom, in his magnificent discourses Peri Akataleptou. Thus, if God is absolutely "unapproachable" in His essence, and accordingly His essence simply cannot be "communicated," how can theosis be possible at all? "One insults God who seeks to apprehend His essential being," says Chrysostom. Already in St. Athanasius we find a clear distinction between God's very "essence" and His powers and bounty: Kai en pasi men esti kata ten heautou agathoteta, exo de ton panton palin esti kata ten idian physin. [He is in everything by his love, but outside of everything by his own nature (De Decretis II)]. The same conception was carefully elaborated by the Cappadocians. The "essence of God" is absolutely inaccessible to man, says St. Basil (Adv. Eunomium 1:14). We know God only in His actions, and by His actions: Hemeis de ek men ton energeion gnorizein legomen ton Theon hemon, te de ousia prosengizein ouch hypischnoumetha hai men gar energeiai autou pros hemas katabainousin, he de ousia autou menei aprositos. [We say that we know our God from his energies (activities), but we do not

profess to approach his essence—for his energies descend to us, but his essence remains inaccessible (Epist. 234, ad Amphilochium)]. Yet, it is a true knowledge, not just a conjecture or deduction: hai energeiai autou pros hemas katabainousin. In the phrase of St. John of Damascus, these actions or "energies" of God are the true revelation of God Himself: he theia ellampsis kai energeia (De Fide Orth. 1: 14). It is a real presence, and not merely a certain praesentia operativa, sicut agens adest ei in quod agit [as the actor is present in the thing in which he acts]. This mysterious mode of Divine Presence, in spite of the absolute transcendence of the Divine Essence, passes all understanding. But it is no less certain for that reason.

St. Gregory Palamas stands in an ancient tradition at this point. In His "energies" the Unapproachable God mysteriously approaches man. And this Divine move effects encounter: proodos eis ta exo, in the phrase of St. Maximus (Scholia in De Div. Nom., 1: 5).

St. Gregory begins with the distinction between "grace" and "essence": he theia kai theopoios ellampsis kai charis ouk ousia, all' energeia esti Theou [the Divine and Divinizing illumination and grace is not the essence, but the energy of God; Capita Phys., Theol., etc., 68-9]. This basic distinction was formally accepted and elaborated at the Great Councils in Constantinople, 1341 and 1351. Those who would deny this distinction were anathematized and excommunicated. The anathematisms of the council of 651 were included in the rite for the Sunday of Orthodoxy, in the Triodion. Orthodox theologians are bound by this

decision. The essence of God is absolutely amethekte [incommunicable]. The source and the power of human theosis is not the Divine essence, but the "Grace of God": theopoios energeia, hes ta metechonta theountai, theia tis esti charis, all’ ouch he physis tou theou [the divinizing energy, by participation of which one is divinized, is a divine grace, but in no way the essence of God; ibid. 92-3]. Charis is not identical with the ousia. It is theia kai aktistos charis kai energeia [Divine and uncreated Grace and Energy; ibid., 69]. This distinction, however, does not imply or effect division or separation. Nor is it just an "accident," oute symbebekotos (ibid., 127). Energies "proceed" from God and manifest His own Being. The term proienai [proceed] simply suggests diakrisin [distinction], but not a division: ei kai dienenoche tes physeos, ou diaspatai he tou Pneumatos charis [the grace of the Spirit is different from the Substance, and yet not separated from it; Theophan, p. 940.

Actually the whole teaching of St. Gregory presupposes the action of the Personal God. God moves toward man and embraces him by His own "grace" and action, without leaving that phos aprositon [light unapproachable], in which He eternally abides. The ultimate purpose of St. Gregory's theological teaching was to defend the reality of Christian experience. Salvation is more than forgiveness. It is a genuine renewal of man. And this renewal is effected not by the discharge, or release, of certain natural energies implied in man's own creaturely being, but by the "energies" of God Himself, who thereby encounters and encompasses man, and admits him into communion with Himself. In fact, the teaching

of St. Gregory affects the whole system of theology, the whole body of Christian doctrine. It starts with the clear distinction between "nature" and "will" of God. This distinction was also characteristic of the Eastern tradition, at least since St. Athanasius. It may be asked at this point: Is this distinction compatible with the "simplicity" of God? Should we not rather regard all these distinctions as merely logical conjectures, necessary for us, but ultimately without any ontological significance? As a matter of fact, St. Gregory Palamas was attacked by his opponents precisely from that point of view. God's Being is simple, and in Him even all attributes coincide. Already St. Augustine diverged at this point from the Eastern tradition. Under Augustinian presuppositions the teaching of St. Gregory is unacceptable and absurd. St. Gregory himself anticipated the width of implications of his basic distinction. If one does not accept it, he argued, then it would be impossible to discern clearly between the "generation" of the Son and "creation" of the world, both being the acts of essence, and this would lead to utter confusion in the Trinitarian doctrine. St. Gregory was quite formal at that point.

If according to the delirious opponents and those who agree with them, the Divine energy in no way differs from the Divine essence, then the act of creating, which belongs to the will, will in no way differ from generation (gennan) and procession (ekporeuein), which belong to the essence. If to create is no different from generation and procession, then the creatures will in no way differ from the Begotten (gennematos) and the Projected (problematos). If such is the case according to them, then

both the Son of God and the Holy Spirit will be no different from creatures, and the creatures will all be both the begotten (gennemata) and the projected (problemata) of God the Father, and creation will be deified and God will be arrayed with the creatures. For this reason the venerable Cyril, showing the difference between God's essence and energy, says that to generate belongs to the Divine nature, whereas to create belongs to His Divine energy. This he shows clearly saying, "nature and energy are not the same." If the Divine essence in no way differs from the Divine energy, then to beget (gennan) and to project (ekporeuein) will in no way differ from creating (poiein). God the Father creates by the Son and in the Holy Spirit. Thus He also begets and projects by the Son and in the Holy Spirit, according to the opinion of the opponents and those who agree with them. (Capita 96 and 97).

St. Gregory quotes St. Cyril of Alexandria. But St. Cyril at this point was simply repeating St. Athanasius. St. Athanasius, in his refutation of Arianism, formally stressed the ultimate difference between ousia [essence] or physis [substance], on the one hand, and the boulesis [will], on the other. God exists, and then He also acts. There is a certain "necessity" in the Divine Being, indeed not a necessity of compulsion, and no fatum, but a necessity of being itself. God simply is what He is. But God's will is eminently free. He in no sense is necessitated to do what He does. Thus gennesis [generation] is always kata physin [according to essence], but creation is a bouleseos ergon [energy of the will] (Contra Arianos III. 64-6). These two dimensions, that of being and

that of acting, are different, and must be clearly distinguished. Of course, this distinction in no way compromises the "Divine simplicity." Yet, it is a real distinction, and not just a logical device. St. Gregory was fully aware of the crucial importance of this distinction. At this point he was a true successor of the great Athanasius and of the Cappadocian hierarchs.

It has been recently suggested that the theology of St. Gregory, should be described in modern terms as an "existentialist theology." Indeed, it differed radically from modern conceptions which are currently denoted by this label. Yet, in any case, St. Gregory was definitely opposed to all kinds of "essentialist theologies" which fail to account for God's freedom, for the dynamism of God's will, for the reality of Divine action. St. Gregory would trace this trend back to Origen. It was the predicament of the Greek impersonalist metaphysics. If there is any room for Christian metaphysics at all, it must be a metaphysics of persons. The starting point of St. Gregory's theology was the history of salvation: on the larger scale, the Biblical story, which consisted of Divine acts, culminating in the Incarnation of the Word and His glorification through the Cross and Resurrection; on the smaller scale, the story of the Christian man, striving after perfection, and ascending step by step, till he encounters God in the vision of His glory. It was usual to describe the theology of St. Irenaeus as a "theology of facts." With no lesser justification we may describe also the theology of St. Gregory Palamas as a "theology of facts".

In our own time, we are coming more and more to the conviction

that "theology of facts" is the only sound Orthodox theology. It is Biblical. It is Patristic. It is in complete conformity with the mind of the Church.

In this connection we may regard St. Gregory Palamas as our guide and teacher, in our endeavour to theologize from the heart of the Church.

Endnotes

1- It has been recently suggested that Gnostics were actually the first to invoke formally the authority of an "Apostolic Tradition" and that it was their usage which moved St. Irenaeus to elaborate his own conception of Tradition. D. B. Reynders, "Paradosis: Le proges de l'idee de tradition jusqu'a Saint Irenee," in Recherches de Theologie ancienne et medievale, V (1933), Louvain, 155-191. In any case, Gnostics used to refer to "tradition".

2- Paul Maas, ed.. Fruhbyzantinische Kirchenpoesie, I (Bonn, 1910), p. 24.

3- Louis Bouyer, "Le renouveau des etudes patristiques," in La Vie Intellectuelle, XV (Fevrier 1947), 18.

4- Mabillon, Bernardi Opera, Praefatio generalis, n. 23 (Migne, P. L., CLXXXII, c. 26.(

5- Cf. M. Lot-Borodine, "La doctrine de la deification dans I'Eglise grecque jusqu'au XI siecle," in Revue de l'histoire des religions, tome CV, Nr I (Janvier-Fevrier 1932), 5-43; tome CVI, Nr 2/3 (Septembre-Decembre 1932), 525-74; tome CVII, Nr I (Janvier-Fevrier 1933), 8-55.

الباب الثاني

ردُّ أباء الكنيسة الجامعة، وصلوات الليتورجية

علي تعليم الأنبا بيشوي

الفصل الأول

الطبيعة والجوهر

أولاً: كلمة "طبيعة":

استخدم العهد الجديد كلمة "طبيعة" في أكثر من نص، فالأمم هم شجرة الزيتون "البرية حسب الطبيعة" (رمية ١١: ٢٤).

ويقول يعقوب الرسول: إنَّ كل طبع الوحوش والطيور والزحافات "قد تذلَّل للطبع البشري (الطبيعة البشرية)" (يعقوب ٣: ٧). وعندما يتكلم رسول الأمم عن: "الزيتونة البرية حسب الطبيعة"، فإنه يقصد الشجرة كما هي في الطبيعة. كذلك الأمر عندما يقول الرسول يعقوب إن كل طبع الوحوش والطيور .... يذلل وقد تذلَّل للطبع البشري"، فإنَّه يقصد بـ "الطبع البشري" البشر كما هم في الواقع.

نص رسالة بطرس الثانية ١: ٤

"كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمي والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢بط ١: ٣ - ٤).

وذات النص حسب أقدم ترجمة عربية أشرف علي تحقيق نصها د. عزيز سوريال عطية، وقام بالعمل العلمي تلميذه د.هارفي ستال:

"لأن جميع اللاتي هن ذات القوة الإلهية لدي الحياة وتقوي الله جعلها بدلالة ذلك الذي دعانا بمجده وبفضيلته وعلي أيديهن أعطاكم مواعيداً كباراً كريمةً لتصيروا بذلك شركاء الجوهر الإلهي"[١].

زوبعة حرف الجرّ "في"، وزوبعة الأنبا بيشوي مع حرف الجر "مع":

حروف الجر لا تفسر العقيدة مهما كانت؛ لأن حروف الجر خاضعة في كل لغة إلى قواعد النحو والصرف، ولذلك نجد نص معلمنا بطرس "شركاء الطبيعة الإلهية" في الترجمة الإنجليزية يحتوي على حرف الجر of كالآتي:

(Partaker of the Divine Nature).

وإذا كانت العبارة اليونانية تخلو من حرف الجر "في" -كما قال الأنبا بيشوي- فإن ذلك لا يسمح له باستبداله بحرف الجر "مع"[٢]. وهكذا تبقي القضية في جوهرها ليست قضية حرف الجرّ، وإنما قضية "المعني الدقيق"، (وهو ليس بالضرورة المعني الحرفي الذي يبحث عنه الأنبا بيشوي)؛ لأن الفعل "يشترك" في الترجمة العربية للعهد الجديد قد يأخذ أحياناً حرف الجر "في"، دون أن يكون حرف الجر المستخدم في اللغة اليونانية هو حرف الجر "µ½"، وأوضح مثال لذلك هو في التعليم الرسولي عن تأديب الله لنا، حيث يقول الرسول بولس: "وأمَّا هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠)، وقد استخدم النص اليوناني"Ä Â"، وهو ليس حرف "في"، بل "of"، وهي صيغة

([١]) راجع: M T. Sinai Arabic Codex 151 جامعة لوفان – ١٩٨٥م بالاشتراك مع جمعية الكتاب المقدس بيروت لبنان – ص ٣٤٦.

([٢]) راجع مقالته المشار إليها سابقاً، حيث يقول: "أما قول معلمنا بطرس الرسول "لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية" فهو بمنتهى البساطة يقصد أن نشترك مع الله في ملكوته الأبدي **من خلال اشتراكنا في قداسته** حسب الوصية "كونوا قديسين لأني أنا قدوس". لاحظ عزيزي القارئ أنه هنا لم يستطع أن يتخلى ولم يجد بديلاً لحرف الجر "في" الوارد في عبارته: من خلال اشتراكنا في قداسته!!!

المضاف في اليونانية، بينما الحرف "في" في العربية يمكن أن يستخدم للملكية وللمضاف أيضاً.

ونجد الرسول –حسب الترجمة العربية– يقول: "شركة دم المسيح" (١ كور ١٠: ١٦)، بينما استخدمت الترجمة الإنجليزية حرف الجر "of"، وهو ذات تعبير الأصل اليوناني؛ لأن الشركة هي:

š ¿¹¹⁄É¼½± Ä¿ Å±¹¹⁄4±Ä¿ ÂÄ¿ ÅÇÁ¹ÃÄ¿Å

ولأن الدم هنا هو دم المسيح، فقد جاءت العبارة في صيغة المضاف إليه، ولذلك كان من الضروري وضع "Ä¿Å" للملكية.

الشركة "مع" الطبيعة الإلهية هو قولٌ فج، هروبي وهرطوقي في آنٍ معاً. فنحن لا نشترك مع الطبيعة الإلهية، لا في الخلق، ولا في الفداء، ولا حتى في خدمة السرار؛ لأن هذه الخدمة هي خدمة الثالوث لنا بالابن وفي الروح القدس. أما القول بأننا نشترك مع الطبيعة الإلهية، فهو حجبٌ لقوة الإنجيل عن طريق اللعب بالألفاظ والكلمات؛ لأن هذا يجعلنا آلهة بالطبيعة لا آلهة بالنعمة.

والحق أننا لا نشترك "مع" الطبيعة الإلهية؛ لأن هذا يجعلنا آلهة بالطبيعة، ولكننا –حسب تعبير الآباء– نحن آلهة بالنعمة.

ولكن "مع" كما وردت في رسالة القديس يوحنا الأولي هي قوام الشركة: "أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ١: ٦)، فهي شركة "المعية" في الحياة الأبدية؛ لأننا "مع" الآب والابن في الحياة الأبدية. ونحن لسنا "معه" فقط، بل "فيه" أيضاً؛ لأننا "شركاء في الميراث" (أف ٣: ٦)، بل شركاء الرسل "جميعكم شركاء في النعمة" (فيلبي ١: ٧). ورسول رب المجد يقول: "إننا فيه" (١ يو ٢: ٥)، بل "تثبتون في الابن وفي الآب" (١ يو ٢: ٢٤)، و"المسحة ثابتة فيكم"، و"تثبتون فيه" (١ يو ٢:

٢٧)، بل إن الحياة الأبدية "ثابتة فيه"، أي في يسوع (١ يو ٣: ١٦). فهل نحن معه نعطي الحياة الأبدية، أم أننا فيه ننال الحياة الأبدية؛ لأننا عندما نحفظ الوصايا، لا يمكن أن نسمح لأنفسنا بالتزوير، بل "يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح القدس الذي أعطانا" (١ يو ٣: ٢٤).

يا لتهور هؤلاء. دفاعٌ خطأ يقود إلى خطأ أفظع، بل إلى خطيئة!!!

النعمة ليست شركة "مع"، بل شركة "في"

ماعدا رسالة الدكتوراه للدكتور وهيب قزمان عن "النعمة في كتابات القديس أثناسيوس"، وبعض مقالات لاهوتية جيدة جداً للأب القمص متي المسكين، لازلنا في حاجة إلى مجلد كبير يجمع تعليم الآباء جميعاً عن النعمة.

لا أظن أن القارئ البسيط قد لاحظ غياب موضوع النعمة من مقالات الأنبا شنودة، كما أن تجاهل الأنبا بيشوي لهذا الموضوع بالذات يؤكد أن كلاهما ليس لدية فكرة واضحة عن النعمة.

- لقد قبلنا نعمة من اجل اسم المسيح (رومية ١: ٥).

- بل ونحن "نعطى نعمةً أعظم" (يعقوب ٤: ٦).

- الله يقاوم المتكبرين ولكنه يعطي المتواضعين نعمة (١ بطرس ٥: ٥).

- وفي تجارب وصراع الرسول بولس يُسمع صوت المسيح "تكفيك نعمتي.." (٢كو ١٢: ٩).

وما أكثر كلمات الوحي عن عطية النعمة؛ لأنها "معنا" ولكنها فينا. (وقد وردت "مع" في أفسس ٦: ٢٤ –كولوسي ٤: ١٨. وعطاء النعمة في ٢كو ٨: ٤ –

٢ تي ٢: ١ – عب ١٣: ٩ – ٢ بطرس ٣: ١٨).

إن جوهر المشكلة ليس حرف جر هنا أو هناك سواء أكان ذلك في اليونانية أو القبطية أو العربية، بل هو فصل الإنسان فصلاً تاماً عن الثالوث! عن الروح القدس نفسه -كما سبق وأشرنا- وعن المسيح نفسه. وهنا لا بُد وأن يتملكنا العجب؛ لأن حرف الجر "في" المسيح الذي تفيض به رسائل بولس لا يحرك ضمائر قد سستقر فيها إنكار النعمة وإنكار الشركة خوفاً من تيار "الأسلمة"، وخوفاً من أن يسترد الخطاة مكانتهم الغالية جداً علي الله الذي صالح الخطاة في ابنه يسوع المسيح "لان الله كان مصالحاً العالم لنفسه في المسيح" (٢كو ٥: ١٨).

المسيح يسوع فينا

نشير هنا إلى التطور الذي حدث للاهوت حركة الإصلاح في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو العودة إلى العلاقة الشخصية الكيانية، بدلاً عن العلاقة الأخلاقية الأدبية التي سادت قبل ذلك، وكان هذا يقتضي إصلاح لاهوت السرائر.

هذا التطور جاء نتيجة عدة أبحاث بدأت ببحث *A. Deissmann* عن طبيعة ومعني عبارة "في المسيح يسوع"، الذي صدر عام ١٨٩٢، ثم دراسة العالم الكاثوليكي *B. Bartmann* عام ١٩١٤ عن لاهوت بولس، ثم دراسة العالم الكاثوليكي *L. Cerfaux* عن "المسيح في لاهوت القديس بولس" التي صدرت عام ١٩٥٩ ودراسات أخري مشابهه، كانت هذه الدراسات هي بداية مراجعة تامة لكل ما قيل منذ القرن السادس عشر. وهنا بالذات يحق لنا أن نسأل: إذا كانت هناك بعض الدراسات التي أعادت التأكيد على العلاقة الشخصية والكيانية بالمسيح، كما أشرنا حالاً، فلماذا تراجع الأنبا شنودة والأنبا بيشوي عن التعليم الذي يؤكد شركتنا في حياة الثالوث بواسطة الابن بالروح القدس، وهو التعليم الرسولي الثابت في صلواتنا وفي شرح الآباء للأسفار

المقدسة؟[١]... هل لأن الأب متى المسكين كان هو أول من بعث التعليم الرسولي عن العلاقة الشخصية الكيانية بالمسيح في زماننا، فجاءت المعارضة حسب المثل الشائع عندنا "خالِف تُعرف" لكي تبرز القيادة علي حساب الإيمان نفسه؟

وهل أصبحت معارضة الأب متى المسكين لمجرد المعارضة هدماً للتعليم الرسولي المسلَّم لنا من الرب يسوع نفسه؟ وكم يكون الأمر مخيفاً إذا كنا قد وصل إلى الدرجة التي يُهدم فيها الإيمان نفسه لمجرد أنك تريد أن تهدم شخصاً سبقك في شرح هذا الإيمان؟ هذا مرعب بالفعل؛ لأننا عندما نخطئ، يعيدنا الإيمان الصحيح إلى الله، ولكن عندما نهدم الإيمان نفسه، فمن وما الذي يعيدنا إلى الله، إذا تم تزييف الإيمان وتقديم صورة غير مسيحية بالمرة علي أنها التعليم المسيحي؟!!!

صلوات سرّ المعمودية في كنيستنا الأرثوذكسية

تؤهلنا المعمودية لأن نكون هيكلاً للروح القدس ... هكذا تقول الصلاة:

"أعدَّهم هيكلاً لروحك القدوس بابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا...". كما تقول أيضاً: "أيها السيد الرب ... أجعلهم مستحقين للنعمة التي تقدَّموا إليها لينالوا من روح قدسك ويمتلئوا من قوتك الإلهية ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه ...".

"وطِّد إيمانهم لكي لا يفرقهم منك شيء ... أجعلهم أهلاً لنعمتك العظيمة، عرِّهم من عتيقهم (الحياة القديمة) وجدِّد حياتهم وأملأهم من قوة روحك القدوس ... بالمسيح يسوع ربنا ...".

"أجعلهم أهلاً بغير عيب وبطهارة أن يقبلوا إليهم النور وخاتم مسيحك

---

[١] راجع بحثنا عن المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد. منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

وموهبة روحك القدوس المساوي لك ويصيروا حلة نورانية ... بنيناً لخدرك السمائي، ووارثين لملكوتك غير الفاسد الأبدي بالمسيح يسوع ربنا".

"أدعُ عبيدك إلى نورك الطاهر ... أملأهم من قوة روحك القدوس بمعرفة مسيحك لكي لا يصيروا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت بمسرة نعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا".

هل توجد صلوات أعظم من هذه الصلوات التي تُقدِّم النعمة، وتحول الإنسان، والامتلاء من الروح القدس بالمسيح، وتجديد الحياة؟

وأيضاً في الصلاة السرية "أيها الرحيم ...." يقول الكاهن:

"فليتصور المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد".

ثم بعد سكب زيت الميرون يقول الكاهن:

"نسألك يا ملكنا عن عبيدك،

– أنقلهم (لاحظ أنه ذات الفعل المستخدم في نقل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه).

– ابدلهم لأنهم ليسوا مولودين ولادة جسدانية

– قدِّسهم، فقد صاروا هيكلاً للروح القدس بالمسيح".

وبعد أجيوس يقول الكاهن:

"ويلبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدد مرة أخري كصورة خالقه"، وطبعاً صورة الخالق ليست نعمة مخلوقة؛ لأن صلاة تسريح الماء تقول: "تجديداً من الضلالة القديمة وأضاءوا بنور لاهوتك".

صلوات القداسات

تقول صلاة الاستعداد:

"اشترك في العمل معنا (ولا تفرح بكلمة "معنا"؛ لان بعد ذلك):

أنت هو غفران خطايانا

وضياء أنفسنا

وحياتنا

وقوتنا

ودالتنا ..".

فهل كل هذا يعبر عن علاقة المسيح معنا فقط؟ ... هل حياتنا وقوتنا أي المسيح نفسه هي هبة أو نعمة من الخارج أم أنه هو فينا؟

وفي سر البخور الخاص برسائل القديس بولس يقول الكاهن:

"يا الله العظيم الأبدي ... الذي هو في كل مكان وكائن مع كل أحد كن معنا نحن أيضاً يا سيدنا، طهر قلوبنا وقدس "نفوسنا ونقنا...".

وفي صلاة الصلح يقول الكاهن:

"بمسرتك يا الله إملاء قلوبنا من سلامك ... وطهرنا ... لكي نقبِّل بعضنا بعضاً".

ولاحظ الكلمات التالية:

"لكي ننال بغير وقوعٍ في دينونةٍ من موهبتك غير المائتة (الإلهية) السمائية (غير الأرضية).

وفي صلاة الصلح للقديس يوحنا يقول الكاهن:

"أرسل علينا نعمة روحك القدوس..." مثل صلاة استدعاء الروح القدس.

ويعود نفس الكلام السابق:

"يجعلنا مستحقين لشركة وصعود أسراره الإلهية غير المائتة...".

وفي صلاة الخضوع يقول الكاهن:

"نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي إذ طهرتنا كلنا، أن توحدنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية لكي نكون مملوئين من روحك القدوس ...".

هذا لان لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة.

وعندما تتكرر عبارات:

- الخلاص،

- الغفران،

- الحياة الأبدية،

يحق لنا أن نسأل: هل هذه أمور أو أشياء تُعطى لكي تكون معنا أم لكي تكون فينا؟

ألا تقول صلاة قبل التناول:

"ليُصيِّرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الانقضاء؟

وأيضاً:

"لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معك".

ألا تصرخ كلمات صلاة الصلح للقديس ساويرس الأنطاكي:

"لكي لا يكون لنا هذا السر الذي للاهوتك دينونة ...."

هل يتجاسر أحد بعد ذلك ليقول أننا نتناول ناسوت المسيح فقط؟

"أيها الكائن السيد الرب ... الذي أظهر لنا نور الآب، الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية الذي أظهر لنا هذا السر العظيم الذي للحياة".

وفي القداس الكيرلسي يقول الكاهن:

"أعطني يا رب روحك القدوس".

وتأتي قوة التعليم الرسولي:

"بل مريداً أن تعطينا نحن البائسين من طُهرك...

اجعلنا أهلاً للسلام السمائي اللائق بلاهوتك ...".

وفي صلاة الصلح ليوحنا المثلث الطوبى:

"نتطهر ونتقدس من قبل وساطة روحك القدوس".

لاحظ في صلاة الشكر بعد التناول في القداس الغريغوري ما يناقض كل ما يذكره الأنبا بيشوي والأنبا موسي أيضاً عن الكفارة:

"لأنك أحببتنا هكذا وبذلت ذاتك للذبح ...

شفيتنا بضرباتك،

وأبرأتنا بجراحاتك".

ولم تكن آلام الرب هي قصاص من الآب، أو صب جام الغضب علي الابن.

أما استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي، فهو ليس استدعاء قوة أو موهبة، بل:

"أرسل إلى أسفل البارقليط روحك القدوس الأقنوم....

الرب المحيي

واهب القداسة

المساوي لك

المنبثق منك

شريك عرش مملكة مجدك ....

علينا وعلي هذه القرابين".

ولذلك التناول من الأسرار هو:

"تجديداً للنفس والجسد والروح...

شركة في الحياة الأبدية

وعدم الفساد

غفران الخطايا".

والتناول -في صلاة القسمة، مثل غيرها من الصلوات- هو الامتلاء من الروح القدس كما في صلاة القسمة:

"أنت تأتي إلينا وتحل فينا بروحك القدوس".

ثم ماذا نقول عندما يطلب الكاهن:

"أعطنا نحن البائسين من طهرك".

وبعد ذلك:

"طهِّر إنساننا الداخلي كطهر ابنك الوحيد".

أليس هذا هو ذات الهدف في صلاة المعمودية "فليتصور المسيح ... "؟

لأننا بالتناول

"نصير شركاء في الجسد

وشركاء في الشكل، أي المسيح الممجد(١)

وشركاء في خلافة مسيحك، أي وارثون لله (رومية ٨: ١٧).

---

(١) راجع نفس العبارات "فليضيء علينا نور معرفتك ... لنضيء بشكلك المحيّ" (قسمة الابن).

أمَّا صلاة القسمة للقديس كيرلس: "يا حمل الله"، فهي تحتاج لدراسة خاصة[١] ولكن في الوقت الحالي لاحظ هذه العبارات:

"وتتحد نفوسنا بإلوهيتك

أسكن في باطننا

أنت تحل فينا بالمحبة

وأهِّلنا أن نمتزج بطهارتك سراً

وأخيراً

كما أنك واحد في أبيك وروحك القدوس نتحد نحن بك

وأنت فينا ويكمل قولك ويكون الجميع واحداً فينا".

---

(١) سوف ننشر دراستنا عن الإفخارستيا في كتابات القديس كيرلس الكبير تباعاً علي موقع الدراسات القبطية.

الفصل الثاني

زوبعة حروف الجرّ

في فنجان التعليم المعاصر[١]

أولا: "في المسيح يسوعِ" في رسائل القديس بولس حسب الأصل اليوناني:

* "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ" (٢ كور ٥: ١٧)، ولعل القارئ قد لاحظ أن فعل "is" موجود في الترجمة الإنجليزية فقط، أمَّا الترجمة العربية، فهي نقلٌ تام للأصل اليوناني مع حذف كلمة "كان" التي لا وجود لها في اليونانية.... هذه زوبعة صغيرة. لكن هذه الزوبعة تنعدم أمام الفعل الوارد في (فيلبي ٣: ٧-٩): "ما كان لي ربح فقد حسبته خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي (الأفضل حسب الأصل اليوناني – من أجل المعرفة الفائقة)... لكي أربح المسيح وأوجد فيه". والفعلان يربح ويوجد " µÅÁµ¸ Î" هما معاً، ليس فقط امتلاك الحياة الجديدة بل الوجود فيه " µ½ ±ÅÄÉ"، هذا الوجود يجعل الرسول يشدد علي أن الأموات هم أيضاً "في المسيح" (١تسالونيكي ٤: ١٦)؛ لأنه "كما في آدم يموت الجميع"، أي عمومية الموت وشموليته، "هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كور ١٥: ٢٢). لاحظ أن الفعل "سيُحيا" أي

(١) راجع دراسة موسَّعة لنا بعنوان: مع المسيح في آلامه وموته وقيامته، الأصول الرسولية لكتاب الأب متى المسكين، القاهرة ٢٠١٢، منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

ينالون (الحياة في المسيح) الحياة الخالدة.

* وفي المسيح ننال عطية البنوة: "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان في المسيح يسوع" (غلاطية ٣: ٢٦). وقد وضعت الترجمة حرف الجر "ب" مع أن الأصل اليوناني "µ½"، أي "في".

* وفي المعمودية نموت مع المسيح؛ لأننا نُصلب معه لكي نكون "أحياء لله في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ١١).

* في المسيح نتقدس (١كور ١: ٢)؛ لأننا نشترك في قداسته (عب ١٢: ١٠). وحسب كلمات التقوى الأرثوذكسية: "ننال من طهر الابن الوحيد؛ لأن المسيح هو طهارتنا[١]".

* وفي المسيح لا تحاكمنا شريعة موسى: "لا شيء من الدينونة الآن علي الذين هم في المسيح يسوع ..." (رو ٨: ١).

* وفي المسيح ننال التبرير، ولهذا السبب يعد تعليم الكفارة المعاصر تزيِّيف وتجاوز للأساس الرسولي في جسارة، بل في وقاحة نادرة. وحسب كلمات الرسول بولس "فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح، نوجد نحن أنفسنا خطاة (حسب حكم الناموس أو الشريعة) أفالمسيحُ خادمُ الخطية.... بل لقد صرنا بموت المسيح كذبيحة خطية[٢] لنصير "بر الله فيه" (٢كو ٥: ٢١).

* ويقول الرسول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (فيلبي ٤: ١٣)،

---

(١) إذا أجرينا مراجعة دقيقة لاستخدام كلمة طهارة، وجدنا أن الفعل يؤكد لنا أن المقصود في الأصل القبطي هو التقديس.

(٢) راجع شرح هذه الكلمات الرسولية في كتابنا موت الرب يسوع علي الصليب ص ٦٣٥ وما بعدها. منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

فهل يمكن لأحد أن يقول إن المسيح يقوي بولس حسب وجود المسيح كإنسان فيه دون أن يكون للرسول شركة في قوة قيامته (راجع فيلبي ٣: ١٠)؟، ألا يقول الرسول نفسه: "يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته" (أف ٦: ١)؟ أليست هذه صدى لكلمات الرب نفسه: "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يوحنا ١٥: ٥).

وبالرغم من غياب التعليم عن نعمة التبرير –ربما خوفاً من الكنيسة الإنجيلية– فإننا لا نفقد كلمات الرسول: "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي في يسوع المسيح" (رو ٣: ٢٤)؛ لأننا لا يجب أن ننسى الكلمات القوية التي تمثل جوهر الإنجيل: "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة (الشيطان والموت) ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (كولوسي ١: ٣).

هذه ليست كل كلمات الرسول، ولكن علي القارئ أن يكتشف بنفسه غلاطية ٣: ١٣ وما بعدها – رومية ٨: ٣٩ – فيلبي ٣: ١٤ –كولوسي ٢: ٣ - ٩ – أفسس ١: ٢٠ - أفسس ٢: ١٣ – أفسس ٤: ٣٢.

في الرب

وحتى لا يتبرع نساطرة العصر الحديث ويقولون إن عبارة "في المسيح" لا تشمل لاهوت الرب، هذه بعض كلمات الرسول بولس:

- "افرحوا في الرب" (فيلبي ٤: ١٠).

- "افرحوا في الرب" (فيلبي ٣: ١ – ٤: ٤).

- "أرجو في الرب يسوع أن أُرسل لكم سريعاً تيموثاوس" (فيلبي ٢: ٢٤). راجع أيضاً (غلاطية ٥: ١٠) ونفس التعبير في (٢ تسالونيكي ٣: ٤).

- "أُثبتوا في الرب" (فيلبي ٤: ١) وهي عبارة لا تختلف حتى لفظياً عن "أنا

الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه يأتي بثمر كثير" (يوحنا ١٥: ٥). والثبات في الرب، أو الثبات في محبته "أُثبتوا في محبتي" (يوحنا ١٥: ٩).

وقد حفظت لنا الترجمة القبطية – العربية، الأصل اليوناني لكلمات الرب: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيَّ وأنا فيه" (يوحنا ٦: ٥٦)، وهكذا شرح الآباء – دون أي استثناء– أن هذا هو وجودنا في المسيح. ونكتفي هنا بعبارات موجزة للقديس كيرلس الكبير:

> "إذا اتحدت قطعتان من الشمع، أصبحت كل قطعة جزءٌ من القطعة الأخرى. هكذا وعلي نفس المثال –كما أعتقد أنا أيضاً– أن الذي يتناول جسد مخلصنا المسيح ويشرب دمه الثمين يصبح واحداً معه" (شرح إنجيل يوحنا ٤: ٢).

وأيضاً:

> "يا للتنازل الفائق. الخالق يعطي ذاته لمخلوقاته، والحياة تعطي ذاتها للمائتين كطعام وشراب. "تعالوا كلوا جسدي" هكذا ينادي "واشربوا خمري الذي مزجته لكم. لقد أعددت ذاتي طعاماً لكم، ومزجت خمري، أي ذاتي لمن يطلبني. بإرادتي صرتُ جسداً واشتركتُ في جسدكم ودمكم ... كلوني لأنني أنا الحياة لكي تحيوا لأن هذه هي مسرتي ... كلوا خبزي، لأنني أنا حبة الحنطة الواهبة الحياة، أنا هو خبز الحياة. اشربوا خمري الذي مزجته لكم لأنني أنا ارتواء الخلود ... أنا هو الكرمة الحقيقية، أشربوا فرحي، أي الخمر الذي مزجته لكم" (مجلد ٧٧ عامود ١٠١٧ – ١٠٢١)[1].

---

(١) راجع أيضاً مقالات علي إنجيل يوحنا القديس أوغسطينوس مقالة ٢٦: ١٧ – ١٨ وأيضاً نص طويل فائق للقديس هيلاري في كتاب الثالوث ٨: ١٣ – ١٤ آباء ما بعد نقية مجلد ٢٩ ص ١٤١ – القديس أمبروسيوس مقالة علي الأسرار ٦: ١١.

الذين هم للمسيح

هكذا تبددت زوبعة حروف الجر أمام طوفان التعليم الرسولي. ولكن عبارتي "في المسيح" و "في الرب" ليستا هما كل شيء، بل لدينا حالة الملكية أيضاً:

- "الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد" (غلاطية ٥: ٢٤).
- "الذين للمسيح في مجيئه" (١كو ١٥: ٢٣).

وفي نصٍّ فريدٍ قاطعٍ يقطع كل لغو معاصر يقول الرسول: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رومية ٨: ٨)، وإن كانت الترجمة العربية غامضة؛ لأن نهاية النص "فذلك ليس له"، لكن الترجمة الإنجليزية أوضح "*he is none of his*" أي "فهو ليس من المسيح". ويؤكد ذلك ما يذكره الرسول نفسه في أجمل ما يمكن أن يقال: "إن وثق أحد بنفسه أنه للمسيح، فليحسب هذا أيضاً من نفسه أنه كما هو للمسيح كذلك نحن أيضاً للمسيح" (٢كو ١٠: ٧).

حلول المسيح فينا، وهل يمكن فصل المحبة عن جوهر الله؟

لعل نساطرة العصر الحديث يخجلون من أنفسهم لأن حلول المسيح وسكناه فينا ليست حلولاً جسدياً بالناسوت فقط. يقول الرسول: "أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح ... لكي يعطيكم حسب غني مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه (الروح القدس) في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله ... " (أفسس ٣: ١٤ — ١٩). وعبارة "كل ملء الله" كافيه لكي تمسح تماماً عاصفة حروف الجر ومحاولة تدمير الإنجيل بخلق فصلٍ مزيَّفٍ بين الجوهر والقوة.

يقدم الرسول سر المسيح المذخَّر فيه كل كنوز الحكمة (كول ٢: ٣)، وهو سر

عمل الله، وهنا يظهر هذا السر الفائق، المحبة الفائقة المعرفة. وعندما نمتلئ من محبة الله التي تنسكب فينا بالروح القدس (رو ٥: ٥)، فإن المحبة لا يمكن فصلها عن جوهر الله لأنه لا توجد طاقة اسمها المحبة غريبة أو بعيدة أو منفصلة عن جوهر الله؛ لأن المحبة هي "العلاقة الأُقنومية" بين الآب والابن والروح القدس، ولذلك يسكب الروح القدس هذه المحبة فينا نحن. ويبقي أنَّ بحث المصطلحات والتركيب اللغوي واستخدام مفردات لاهوتية بدون محتواها التاريخي، هو محاولة هدم، نرجو أن تكون صادرة عن جهل لا من أجل خدمة تيار "الأسلمة" السائد في المجتمع المصري الآن.

كيف يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا؟

يجيب القديس يوحنا ذهبي الفم في العظة السابعة علي رسالة أفسس:

"اسمعوا ما يقوله المسيح نفسه: "أنا وأبي نأتي إليه ونصنع منزلنا عنده" (يو ١٤: ٢٣). هو يحل في قلوب المؤمنين الذين "تأصَّلوا" في محبته (أف ٣: ١٨)، أي الثابتين الذين لا يتزعزعون. ولكي تتأيدوا بالقوة" (أف ٣: ١٦)؛ لأننا نحتاج إلى هذه القوة" (عظة ٨: علي أف ٣: ١٦ – ١٧ ص ٨١).

ملء الله

"لكي تمتلئوا إلى ملء الله" يقول ذهبي الفم:

"مع أن محبة المسيح فوق أدراك كل معرفة إنسانية، إلَّا أننا سوف نعرفها إذا حلَّ المسيح فيكم، وليس فقط سوف نعرفه من محبته، بل سوف نمتلئ إلى كل ملء الله و "ملء الله" هو كيف نعبد الله في الآب والابن والروح القدس، أو أن (الرسول) يحرضهم لكي يبذلوا كل جهد لكي يمتلئوا من كل ما هو حسن وصالح وهو ملء الله". (راجع الترجمة الإنجليزية الركيكة ص ٨٢ من

مجلد ١٣ شرح رسائل غلاطية و أفسس ...الخ).

منزل الله عندنا (يوحنا ١٤: ٢٣)

في نص طويل يشرح القديس كيرلس عمود الدين كلمات الرب يسوع، نقتبس منه هذه الكلمات:

"هكذا كان الحوار مع هؤلاء الهراطقه وضد الأنوميين الذين قرروا أن يشنوا حرباً علي الابن لأنهم أُصيبوا بذات المرض والجنون مثل هؤلاء الذين أشرنا إليهم من قبل (الأريوسيين)"

"إذا أحبني إنسان يحفظ كلمتي"، وأيضاً "والآب يحبه وإليه نأتي وعنده نصنع منزلنا" ماذا ستقولون أيها السادة – إذا أراد أحد أن يسألكم لأنه يريد أن يعرف منكم: هل يسكن فينا إلهين هما الآب والابن، أم أنكم تعتقدون بإله واحد ساكن فينا؟ ...

وإذا كنا نحن هيكل إله واحد وليس إلهين، متى يسكن الآب والابن ويقيما منزلهما فينا، فكيف حسب فكركم الجنوني يمكن أن يسكن فينا إلهين كل منهما له طبيعة مختلفة عن الآخر، فهذا مستحيل[١]...

وبكل يقين لم يدعونا الرسول بولس هيكل إلهين، بل هيكل إله واحد (١ كور ٣: ١٦)؛ لأنه قال: "ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (كتاب ١٠ – شرح يوحنا ١٤: ٢٣ – صفحة ٣٣١- ٣٣٢).

وسكني الثالوث فينا هي ليست سكني الروح القدس وحده أو الابن وحده، بل

---

(١) مستحيل؛ لأن كل إله له الوجود غير المحصور (غير المحدود) بوجود آخر له إلوهة أخرى، إذن يستحيل وجود أثنين معاً كل منهما هو مالئ السموات والأرض.

الله الآب نفسه بسبب عدم انفصال الأقانيم ووحده الجوهر.

كيف يجب أن نقرأ بدقة غلاطية ٤: ١٩

حسب الترجمة الأمريكانية الشائعة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (فان ديك):

"يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم".

وحسب الترجمة الموحدة التي صدرت من جمعية الكتاب المقدس:

"فيا أبنائي الذي أتوجع بهم مرة أخرى في مثل وجع الولادة حتى تتكون فيهم صورة المسيح".

وحسب الترجمة القبطية وهي أقدم ترجمات العهد الجديد:

Ⲛⲁϣⲏⲣⲓ ⲛⲁⲓ ⲉϯϯⲛⲁⲕϩⲓ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ ⲛⲕⲉⲥⲟⲡ ϣⲁⲧⲉ Ⲡⲭ̅ⲥ̅ ϭⲓⲙⲟⲣⲫⲏ ϧⲉⲛ ⲑⲏⲛⲟⲩ

والجزء الذي يهمنا هو:

Ⲡⲭ̅ⲥ̅ ϭⲓⲙⲟⲣⲫⲏ ϧⲉⲛ ⲑⲏⲛⲟⲩ

"حتى يأخذ المسيح صورته فيكم"، فقد حفظ المترجم القبطي الأصل اليوناني لكلمة صورة "**ⲙⲟⲣⲫⲏ**" وأضاف إليه "**ϭⲓ**".

لكن كيف نفهم بدقة هذا التعبير؟

"يتصور المسيح فيكم" حسب ترجمة "فان دَيك"، وهي ترجمة ركيكة، أو "تتكون فيهم صورة المسيح"؟

لقد استخدم الرسول تعبيرات مشابهه عن المؤمنين:

"ليكونوا مشابهين صورة ابنه" (رومية ٨: ٢٩).

¼¿ÁÆÉ¸· ÇÁ¹ÃÄ¿Â

"وأيضاً متشبهاً بموته" (فيلبي ٣: ١٠).

£Å¼¼¿ÁÆ¹¾¿¼µ½¿Â

¼¿ÁÆÉ¸· ÇÁ¹ÃÄ¿Âµ½Å¼½

وهو نص غلاطية ٤: ١٩.

أولاً: الجانب اللغوي

الكلمة اليونانية "morphe" / "¼¿ÁÆ" كلمة كلاسيكية تعني في الآداب اليونانية القديمة *Form* أو الشكل الخارجي للإنسان. وجاءت في الترجمة السبعينية للعهد القديم في (أيوب ٤: ١٦ حيث يصف أيوب نفسه مثل الجنين في شكله وأيضاً في أشعياء ٤٤: ١٣).

ثانياً: العهد الجديد

أهم كلمات العهد الجديد علي وجه الإطلاق هو نص فيلبي ٢: ٦ – ٧ "الذي إذ كان في صورة الله .... آخذاً صورة عبد" أي الرب يسوع المسيح.

الفعل ¼¿ÁÆ¿É

ويعني "يكوِّن و يصوِّر"، لاسيما في الفن، وبشكل خاص الرسم والنحت.

وهكذا جاءت الترجمة الموحدة الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس بترجمة أفضل: "تتكوَّن فيهم صورة المسيح" (غلا ٤: ١٩). وهذا لا يعني مجرد أخذ الشكل؛ لأن المسيح أخذ "صورة العبد" لكي يبادلها "بصورة الله"، وهي العطية التي أُعطيت لآدم الأول وأضاعها بالسقوط، ولذلك يأتي المسيح **لكي يكوِّن فينا صورته**، وهنا بالذات يسند هذا الشرح كلام الرسول نفسه "المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠)، وأيضاً: "إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر" (رو ٨: ١٠ - راجع ٢كور ١٣: ٣، ٥)، "المسيح فيكم رجاء المجد" (كول ١: ٢٧)، "المسيح الكل وفي الكل" (كول ٣: ١١)، "لأنه فينا يحل المسيح بالإيمان" (أف ٣: ١٧).

تعليق وشرح القديس أوغسطينوس

"يتكون المسيح في حياتنا الداخلية، في كل مؤمن بالإيمان. هذا الإنسان الذي يكون فيه المسيح، مدعوٌّ إلى حياة حرية النعمة بالوداعة وتواضع القلب، فلا يفتخر بأي استحقاقات أعمال صالحة لأنها لا شيء، بل بالنعمة التي تعطي له هذا الاستحقاق ... يتكون المسيح *Formatur enim Christusineo* في من يقبل صورة المسيح. ومن يقبل صورة المسيح هو كل من يظل قريباً جداً منه بالمحبة الروحية. هذا يحدث بالتشبُّه حتى يصبح *What Christ is* بالدرجة التي أُعطيت له في الزمان الحاضر؛ لأن من يقول إنه ثابت في المسيح -يقول يوحنا- يجب أن يسلك كما سلك ذاك (١ يو ٢: ٦). ولكن حيث أن البشر يجب أن تحبل بهم أمهاتهم لكي يتكونوا وينالوا صورة أو شكل البشر، وهو ما يحدث بالذات في وجع الولادة، لذلك يقول الرسول: "الذين أتمخض بهم ... حتى يولد الغلاطيون في المسيح ..." (شرح رسالة غلاطية، النص اللاتيني — جامعة أكسفورد، طبعة ٢٠٠٣، مع الترجمة الإنجليزية، ص ١٩١ - ١٩٣).

نحن نصبح مسحاء Christs (المفرد مسيح)

عندما حاول الأب متى المسكين منذ ما يزيد عن ٢٥ سنة أن يعيد إلى الأذهان هذه المكانة الرسولية التي أُعطيت لنا في المسيح، قامت الدنيا ولم تقعد بعد، وصدر خطاب (لديَّ صورة ضوئية منه) يؤكد صاحبه أن القديس أغسطينوس لم يكتب "صرتم مسيحاً"، ودُهشت؛ لأن التعبير ورد في العظة الثالثة عن مسحة الميرون للقديس كيرلس الأورشليمي التي صدرت بكل لغات العالم الحية:

"لقد اعتمدتم للمسيح ولبستم المسيح وصرتم مشابهين ابن الله لأن الله قد عيننا للتبني كأبناء (أف ١: ٥)، وصرنا مشاركين صورة جسد مجد المسيح (فيلبي ٣: ٢١). ها أنتم صرتم شركاء المسيح (عب ٣: ٤)، وحقاً دُعيتم مسحاء وعنكم قال الله "لا تمسوا مسحائي" (مز ١٠٥: ١٤)، لقد صرتم مسحاء ....."[١].

نحن شركاء الرب يسوع في مسحته، وهذا ما تؤكده عظات كل آباء الكنيسة الذين كتبوا عن المعمودية المقدسة ومسحة الميرون، وهذه هي كلمات القديس أمبروسيوس باعتباره واحداً من هؤلاء:

"الله الآب ضابط الكل الذي ولدكم من جديد بالماء وبالروح القدس وغفر لكم خطاياكم هو نفسه يمسحكم للحياة الأبدية" (الأسرار ٢: ٤)، الآب

---

(١) يقول أثناسيوس الرسولي إنه الاسم الذي أخذناه من الله الآب (ضد الأريوسيين ١: ٢) وهو هنا يعيد كتابة التسليم الرسولي الذي دونه القديس أغناطيوس الشهيد "لنصبح تلاميذه لكي نحيا حسب المسيحية، لا من يدعي بأي اسم أخر غير هذا الاسم "مسيحي" فكل أسم أخر ليس من الله " (مغنسيا ١٠) ويقول ايريناؤس إن الهراطقة أخذوا أسماء مؤسسي مذهبهم، ثم يذكر "هؤلاء لم يعودوا مسيحيين لأنهم فقدوا اسم المسيح ولبسوا اسماً أخر وألقاب بشرية غريبة" (ضد الهرطقات ١: ٢٣). أيضاً القديس كيرلس الأورشليمي عظة ٢٧: ٢٦ للموعوظين حيث يقول "اسمي مسيحي ولقبي كاثوليكي"، وجيروم ضد لوسيفر ٨، وأبنفانيوس ضد الهرطقات ٤٢. (راجع عظات القديس كيرلس الأورشليمي النص اليوناني مع ترجمة إنجليزية – معهد القديس فلاديمير عدة طبعات ص ٦٣ – ٦٤).

يمسحنا كما مسح ابنه".

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي:

"لقد صرتم مسحاء؛ لأنكم قبلتم علامة الروح القدس" (المقالة ٣: ١). "واسم مسيحي، ومسيحيين هو بسبب مسحة الميرون بشكل خاص" (المقالة ٣: ٥)[١].

وعندما مسح الله الآب ابنه بعد خروجه من الأردن، فهل مسحه بمواهب الروح القدس أم بالروح القدس نفسه، أي الأقنوم؟ ... لا توجد موهبة من مواهب الروح القدس تدعي مسحة، أو تعطي لنا اسم "مسحاء"، بل الروح القدس نفسه هو الذي يعطي لنا هذه المسحة.

لقد عاد عصر الشهداء يطل برأسه في أحداثٍ متتابعة لن نرى لها نهاية، ومع ذلك يريد نساطرة وأنوميو هذا الزمان، حرمان الأقباط من القوة الروحية التي لا تُوهب إلَّا من الله نفسه!!!

---

(١) راجع أيضا الأب ثيؤدور شرح طقس التعميد للأب: Hugh. M. Riley, Christian Initiation الجامعة الكاثوليكية ١٩٧٤.

الفصل الثالث

الجوهر

مثال لإيضاح الاستعمال الفلسفي لكلمتي جوهر وأقنوم:

جرن المعمودية في كنيستنا هو *object* أو شيء، هذا الشيء له وجود خاص، كما أنه يشترك في جوهر عام. فجرن المعمودية له وجود متمايز حقيقي أي *Hypostasis* أقنوم أو كيان موجود في الواقع وليس في العقل كفكرة. كما أن له جوهر، وهو الحجر أو الأسمنت، هذا الجوهر تشترك فيه كائنات أخري، كما يشترك فيه كل جرن معمودية مماثل في كنائسنا. وكلمة جوهر لها بالطبع معني *generic* عام أو شامل يشمل ويجمع كل الأشياء التي تشترك في نفس المادة، فما هو المعنى اللاهوتي لهذه الكلمة؟

الاستعمال اللاهوتي لكلمتي "جوهر" و"أقنوم"

حسب شرح الآباء الذين حاربوا البدعة الأريوسية مثل القديس أثناسيوس بالذات، فإن كلمة "جوهر" = كلمة "أقنوم" لغوياً. ولكن تسلَّمنا التعليم بجوهر واحد نظراً لأن الله أو اللاهوت واحد وثلاثة أقانيم، أي وجود كيان خاص متمايز لكل أقنوم رغم وحدانية الجوهر.

وماذا تعني كلمة "طبيعة"؟

فلسفياً، كلمة "طبيعة" لا تختلف لغوياً –أي حسب المعني المتعارف عليه– عن

كلمة "جوهر"، ولكن كلمة "طبيعة" بالذات تحدد ثلاثة أشياء هامة:

١- الوصف لكائنٍ ما، مثل وصف النار بأن لها طبيعة تحرق.

٢- الوظيفة، مثل القول بأن طبيعة أي إنسان أن يكون عاقلاً حراً؛ لأن العقل والحرية هما طبيعة، أو لكي نكون أكثر دقة، هما من وظائف الطبيعة الإنسانية.

٣- ومع الوظيفة أو ***Function*** نجد العمل أو القدرات الخاصة بالطبيعة مثل قولنا إن جسد الرب يسوع هو جسد حيٌّ ومُحيي.

لذلك التعليم بطبيعة واحدة -حسب مذهب وهرطقة أوطاخي- يعني اختفاء الوصف الصحيح للرب المتجسد، وإنكار وظيفة (الطبيعة) الإنسانية، وأخيراً هدم كل قدرة أو عمل يمكن أن يعمله الرب يسوع نفسه كإله متجسد من طبيعتين أو في طبيعتين.

ما يجب أن نكون على حذرٍ منه:

أولاً: إن كلمة "جوهر" كلمة فلسفية، تنتمي إلى الميتافيزيقيا، ولذلك هي فكرة فلسفية وُضِعت لتصنيف الكائنات، ولذلك -كما مر بنا- يقول القديس غريغوريوس بالاماس: "إن الله ظهر لموسى النبي ولم يقل له أنا الجوهر، بل أنا الكائن".

ثانياً: إن كلمة جوهر تؤكد لنا اشتراك كائن ما أو شيء ما مع غيره له ذات الوجود وذات الطبيعة، ولذلك السبب عينه يقول معلمنا العظيم أثناسيوس في مقالة "المجامع *De Synodis*" وهي الفقرة ٥٣ التي يرد فيها علي تعليم الأريوسيين بأن الابن مشابه الآب:

"أنتم أنفسكم تعلمون أن تعبير المشابه لا يُطلق علي الجوهر، وإنما على العادات، والخصائص، أما عندما نتكلم عن الجواهر (جمع جوهر) فنحن لا

نتكلم بالمرة عن المشابهة، بل عن حقيقة الكيان نفسه الذي لا يختلف جوهرياً عن كيان أخر. وعلى سبيل المثال، إنسان يشبه إنساناً آخر، وهذه المشابهة لا تخص الجوهر (الإنساني لأنه واحد) بل حسب العادات لأن حسب الجوهر كل البشر لهم طبيعة واحدة. (راجع ص ٤٧٨ من المجلد الإنجليزي).

فالجوهر والطبيعة –كما ذكرنا– لهما ذات الدلالة مع الفوارق الأساسية التي ذكرناها تحت عنوان "ماذا تعني كلمة طبيعة؟". بل لا يوجد فرق لغوي دقيق بين طبيعة وجوهر، وخير مثال هو من العظة الثالثة للقديس مكاريوس إذ يقول إن العملة المزيَّفة يمكن أن تُوضع في الذهب وتنال شكل العملة الحقيقية ولكن كل العملات المزيفة هي معدن رخيص لان وجودها *their hypostases* من ذات هذا المعدن[1].

بل يأتي نص العبرانيين ١: ٣ الذي يقول عن ربنا يسوع المسيح نفسه: "الذي وهو بهاء مجده ومُعلن أقنومه" أي الآب، لأنه حسب الأصل اليوناني لم ترد كلمة جوهر، بل *Hypostasis* ولذلك وردت في الترجمة العربية "رسم جوهره" ولا يوجد سبب يدعونا إلى بحث الترجمات الأخرى، فقد حرصت الترجمة القبطية علي الاحتفاظ بكلمة ϩⲩⲡⲟⲥⲧⲁⲥⲓⲥ.

---

(١) راجع استخدام كلمة أقنوم أو Hypostasis بمعني الوجود (كيرلس الأورشليمي تعليم الموعوظين ٩: ٥، ٩: ١٠).

الفصل الرابع

الرب يسوع المسيح

"قوة وحكمة الله" (١كور ١: ٢٤)

عندما يهاجم الأنبا شنودة ومعه الأنبا بيشوي التسليم الرسولي الآبائي، نقول إن التنازل عن تعليم الآباء هو تسليم الأرثوذكسية للشيع والهرطقات القديمة بعد أن مُنع تدريس الهرطقات القديمة لمجرد أنها كانت الفرع الذي حَرِصَ الأنبا إغريغوريوس علي تدريسه في الإكليريكية، لذا عادت الأريوسية ثم النسطورية والآن الأنومية وقبل ذلك بدعة "سابليوس" التي حرص الأنبا شنودة علي أن يرددها في كل مناسبة عندما يشرح الثالوث حسب تعليم سابليوس.

كيف يمكن لأي إنسان أن يتصرف في تعبير الرسول بولس "المسيح قوة الله"، وهو تعبير ورد بوفرة في صلواتنا القبطية الخاصة بالأسرار...

القوةÂ¼±½Í "

وقد جاد علينا العلامة ترتليان بأن القوة هي قوة الثالوث، فهو صاحب العبارة المشهورة عن الثالوث القدوس "جوهر واحد وقوة واحدة" (ضد براكسيان — راجع الترجمة الإنجليزية مجلد ٣ ص ٥٩٨). وأيضاً نفس التعبير "جوهر واحد وقوة واحدة" (المرجع السابق ٢٢ — مجلد ٣: ٦١٨). وضم ترتليان كلمات الإنجيل "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللكِ" (لوقا ١: ٣٥) إلى (١كور ١: ٢٤) وأعتبر أن البشارة بقوة الله هي

الاسم الخاص بالابن له المجد، وكرر نفس الكلام في المقالة "جسد المسيح" (الفقرة ١٤).

أمَّا الإيمان الأرثوذكسي كما شرحة القديس هيبوليتوس، فهو -كما يذكر في كتابه ضد أحد تلاميذ سابليوس المدعو *Noetus*- إذ يقول:

"إذا أراد أن يعرف ويتعلم كيف أُعلِنَ الله واحداً، فعليه أن يدرك أن الله له قوة واحدة وأن هذه القوة الواحدة هي الله الذي يُعلِن حسب كلمات التدبير أنه مثلث" (Contra Noetum 8: 2 – راجع الترجمة الإنجليزية الحديثة R. Butterworth, 1977, p 64 - 65).

والذي يهمنا هنا هو أن الكلام ليس عن قوة مجردة، بل عن أقنوم الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح قوة الله الآب. ونفس الكلام السابق مع تأكيد إلوهية الابن في الكتاب السابق فقرة ٥٤ وعن أزلية الابن يكتب عن الولادة الأزلية:

"ولادة الابن مثل ولادة نور من نور

أو مياه من ينبوع

أو شعاع الشمس من الشمس

لأنه توجد قوة واحدة من الثالوث

الكل من الآب الذي منه (تُولد) القوة أي كلمته" (المرجع السابق ١١: ١ – ص ٧٠ – ٧١).

وعندما نستعرض المصطلحات الآبائية، فإن فهم التطور التاريخي لهذه المصطلحات من أجل سد فجوة خلقها الهراطقة يكون ضرورياً. من هنا تأتي أهمية الحوار الذي دار بين هيراقليدس والعلاَّمة أوريجينوس الذي وصفه القديس أثناسيوس الرسولي بـ"المجاهد العجيب" (الرسالة ٥ إلى سرابيون عن الروح القدس)، ففي فقرة هامة في الحوار

مع هيراقليدس[١] يسأل أوريجينوس:

أوريجينوس: هل الآب هو الله؟

هيراقليدس: بالتأكيد.

أوريجينوس: هل الابن يتمايز عن الآب؟

هيراقليدس: كيف يمكن أن يكون ابناً إذا كان مثل الآب؟

أوريجينوس: الابن متمايز عن الآب، ومع ذلك هل هو الله؟

هيراقليدس: هو الله.

أوريجينوس: وبسبب الوحدة بينهما هل هما إلهين؟

هيراقليدس: نعم.

أوريجينوس: هل نحن نعترف بإلوهية الاثنين؟

هيراقليدس: نعم ولكن "القوة واحدة"[٢] هو تعبير يساوي "الجوهر الواحد".

ويحدد أوريجينوس في كتاب "المبادئ" قوة الله بأنها:

"يجب علينا أن نفهم أن قوة الله هي قدرته التي بها يبدأ ويحفظ كل الكائنات

---

(١) الحوار كله مترجم في كتاب "التمييز بين العقيدة والهرطقة والرأي" للدكتور جورج حبيب بباوى – ص ٤٠. الكتاب متوفر علي موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

(٢) الحوار مع هيراقليدس نُشر في سلسلة "ينابيع المسيحية" الفرنسية – الأصل اليوناني تحقيق وترجمة Jean Scherer ، مجلد ٦٧ – ١٩٦٠، صفحات ٥٦ – ٥٩. راجع أيضاً كتاب "المبادئ" للعلامة أوريجينوس ١: ٢ و ٥).

معاً المنظورة وغير المنظورة..." (١: ٢، ٩).

إذن، الثابت عند ترتليان وهيبوليتوس وأوريجينوس أن "القوة" هي الابن نفسه.

التعليم الأريوسي كما سجَّله القديس أثناسيوس:

يُعد أستريوس *Asterius* هو المنظم والأب الروحي للفكر الأريوسي، وفي شذرات هامة موثقة في كتابين هما "المقالات الأربع ضد الأريوسيين" و "المجامع"، يسجل لنا المعلم الكبير أن أستريوس يحدد وجود: قوتين وحكمتين:

- القوة الأولى أزلية في جوهر الله الآب.

- القوة الثانية كائنات مخلوقة مثل الملائكة.

- الحكمة الأولى أزلية في جوهر الله الآب.

- الحكمة الثانية مخلوقة وهي الابن الكلمة. (المقالة الأولى: ٢٥ ص ٣٠٩).

وعن هذا المعلم الغريب عن محبة الله، استريوس، أخذ أريوس تعليمه وصاغه في المقالات المسجوعة "المأدبة" أو "الثاليا" *Thalia* ويأتي أريوس ليشرح إيمانه بأنه:

> "توجد حكمتان الأولى خاصة بالله وكائنة فيه، أمَّا الثانية فهي الابن الذي خُلق بواسطة الحكمة الأولى ويدعى حكمة؛ لأنه يشترك في الحكمة (الأولى) ..." (المقالة الأولى ١: ٢).

وفي "الثاليا" يؤكد أريوس ألقاب المسيح حسب تعليمه الغير المسيحي فهو: القوة – الحكمة – الكلمة – صورة الآب .... الخ. لكن هذه الألقاب هي مجرد ألقاب بلا مضمون إلهي حقيقي لأن الابن هو إله مخلوق وليس له شركة في جوهر الآب.

خلف هذا تكمن الفلسفة الأفلاطونية. وقد حرص أريوس ومعه أيضا يوسابيوس القيصري علي البقاء في إطار الفكر الفلسفي اليوناني السابق علي ظهور المسيحية والذي لا يقبل بالمرة أن يكون الله كائناً أو متصلاً بالخليقة المنظورة (راجع يوسابيوس القيصري Preparation for the Gospel الكتاب السابع – فصل ١٢).

وعندما يفشل كلاهما في فهم محبة الثالوث للخليقة، وإرادة الله الآب أن يُشرك الخليقة العاقلة في حياته الإلهية، يسقط كلاهما في تصور هرمي ويخلق هرمية *Hierarchy* للقوة الإلهية، هي ضد عقيدة الثالوث الواحد بالجوهر الذي لا يوجد فيه واحد يسبق الأخر أو يعلو علي الأخر.

قوة واحدة للثالوث الواحد بالجوهر

كان تقسيم الثالوث إلى خالق = الآب، ومخلوق = الابن، هو الشغل الشاغل للهرطقة الأريوسية. وكما ذكرنا سابقاً، كان فصل القوة والطاقة عن الجوهر هو أحد سمات الأريوسية – الأنومية.

وفي رد القديس أثناسيوس علي الأريوسيين المقالة الأولى يقول عن الرب يسوع:

> "كل الكائنات المنظورة خُلقت به لأننا هكذا نرى الكون الذي منه ندرك أن كل المخلوقات قد خُلقت بقوة اللاهوت الأزلية. وما هي هذه القوة الإلهية؟ يعلمنا (الرسول بولس) في موضع معين "المسيح قوة الله وحكمة الله" (١كور ١: ٢٤). وحقاً بهذه الكلمات لا يحدد الرسول الآب، كما تدَّعون هامسين سراً كلٌّ منكم للأخر أن الآب هو نفسه قوته الأزلية. لكن هذا ليس صحيحاً لأن الرسول لا يذكر أن الله نفسه هو القوة بل الابن هو القوة" (الفقرة ١١ – ص ٣١٢).

سفسطائية الأريوسية والأنومية

من المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة ٢٩ نرى خداع الأريوسية وهو ذات خداع الأنومية، أي فصل القوة عن الجوهر.

هذا هو منطق أريوس نفسه، ومن بعده أنوميوس:

- الله دائماً خالق، ولكي يكون خالقاً يجب أن تكون معه خليقته.

- هل الخليقة التي كوَّنها الله وأعطاها الوجود تصبح بذلك أزليه مثل الله؟

المحصلة حسب عبارة القديس أثناسيوس نفسه:

"أغبياء هؤلاء الأريوسيين؛ لأنه ما هو وجه الشبه بين الابن والخليقة التي يريدون أن يجعلوها موازية للابن".

والرد:

- "الخليقة عمل تم خارج اللاهوت،

الابن مولود من جوهر اللاهوت".

المحصلة:

- "الخليقة ليست أزلية لأنها كائنة بإرادة (الله).

الابن ليس من إرادة (الآب) بل من جوهر الآب" (ضد أريوس ١: ٢٩).

وهكذا جاء التمييز بين الإرادة *Will* والجوهر *Essence* لأن الإرادة تتجه إلى ما هو خارج لكي تخلق، لكن الابن من جوهر الآب قبل كل الدهور.

مثال يقدمه القديس أثناسيوس:

"يمكن أن يُوصف الإنسان بأنه "صانع أو خالق، ولكن الصانع أي الإنسان يسبق ما صنعه، وكل ما يصنعه لا يوازي وجود الصانع" (مقالة ١: ٢٩).

تطبيق منطقي يقدمه القديس أثناسيوس:

"الإنسان لا يمكن أن يُوصف بأنه أب إلَّا بوجود ابن" (ذات المرجع السابق).

حل مشكلة قوة الخلق، وأزلية الخليقة

يقول معلمنا القديس أثناسيوس:

"إذا كان الفضول يدفع الأريوسيين إلى البحث لماذا إذاً كانت قوة الله الخالقة كائنه، ولماذا لا تخلق دائماً منذ الأزل؟ وهذا هو تهور المجانين، فإننا نقول مَن "يعرف فكر الرب أو صار له مشيراً" (رو ١١: ٣٤) أو كيف يجوز للطين أن يقول للخزاف لماذا صنعتني؟ ورغم هذا، فإننا لا يجب أن نترك اعتراضهم الضعيف دون جواب. وعلى الرغم من أن الله لديه دائماً القوة الخالقة إلَّا أن المخلوقات لم يكن فيها قوة البقاء الأبدي لأن كل المخلوقات جاءت من العدم ولم يكن لها وجود قبل أن تُخلق. لذلك، كيف يمكن أن تكون كائنه مع الله منذ الأزل أو قبل أن تُخلق؟...

ومع أن الله قادر على أن يخلق قبل زمان خلق آدم أو نوح أو موسي، إلَّا أنه أرسل كلمته فقط في "ملء الزمان ... لأن الكلمة هو من جوهره (الآب)" (المرجع السابق).

ومن هذه الفقرة بالذات، وهي مثل الفقرة السابقة التي تضع:

- تمايز الجوهر والإرادة.

- اختلاف ما هو أزلي -لأن جوهره غير مخلوق، بل هو جوهر الخالق- عن الكائنات التي جاءت من العدم وليس لها "قوة البقاء" لأنها خُلقت من العدم ...

هكذا يظهر جلياً أن الشركة في جوهر الله -كما ذكرنا سابقاً- ليست هي شركة خارج جوهر الله، بل هي في الجوهر، مصدرها قوة الكلمة الابن ربنا يسوع قوة الآب[١] الذاتية، ولكنها شركة لا تسمح لنا أن نستوعب سر الوجود الإلهي، رغم أنها شركة في الجوهر؛ لأن القوة في الجوهر، ونحن لسنا خارج جوهر الله، بل نحن في الآب وفي ابنه يسوع المسيح رأس الجسد وموحِّد أعضاء جسده؛ لأن وجود المسيح فينا ليس وجوداً عرضياً *accidental* بل هو وجود الرب الأقنوم الثاني ابن الله.

ضرورة بقاء الفرق الكياني بين الابن، والبشر:

من المقالات الهامة التي تقدم لنا تاريخ الأريوسية، المقالة الخاصة عن المجامع التي كتبها القديس أثناسيوس الرسولي *De Synodis* فهي تعبِّر بجلاء عن تحدي الإيمان الأرثوذكسي النيقاوي ٣٢٥م للهرطقة الأريوسية:

كان التمييز بين المؤمن والمسيح رب الحياة ضرورياً جداً، وهو تمييز لا يسمح بأن يتحول مَن خُلِقَ من العدم ليكون مثل الابن خالق كل الأشياء. لكن فيما يبدو أن الأوطاخية، وهي ذوبان الناسوت في بحر اللاهوت قد رسبت في عقل الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، فقد كانت ولا تزال هذه النقطة بالذات غير واضحة بالمرة في فكر الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، وإلَّا ما معنى ما يثيرونه من اعتراضات على الشركة في الطبيعة الإلهية بمقولة إن من يشترك في الطبيعة الإلهية يصبح مثل الله قادراً على كل شيء، وموجود في

---

(١) راجع في قوة الآب الذاتية أي قوة جوهر لاهوت الآب في الرسالة ضد الوثنيين فصل ٤٦ وفي المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٣٨ وفقرة ٤٣.

كل مكان ... إلى آخر هذه الترهات، وهو مجرد تفكير خرافي أوطاخي نسي أن الإنسان سيظل إنساناً إلى الأبد، وأنه سيقوم بجسده الإنسان الممجد؛ نه خُلِقَ إنساناً، وافتُديَ كإنسان، وسيبقى إنساناً إلى الأبد، والقول بغير ذلك يعني القضاء على البشرية، وهو ما ينفي عن الله وصف "محب البشر".

يأتي الادعاء الأريوسي كما سجَّله القديس أثناسيوس نفسه، وكما هو ثابت في المصادر الأخرى الآبائية بأن: "الابن هو ابن الآب بسبب شركته في الآب" (De Synod فقرة ٥١).

لكن معلمنا العظيم أثناسيوس يرد على الادعاء مسجلاً الفرق الجوهري بين الابن والمخلوقات، هكذا:

> "ومرة أخرى، إذا قلنا ما ذكرناه سابقاً، إن الابن ليس ابناً بالشركة، لأن المخلوقات تنال هذه الشركة بنعمة الله، بينما الابن هو حكمة الآب، والكلمة الذي فيه تشترك كل الكائنات، وتبعاً لذلك هو (الابن) القوة المؤلِّهة التي للآب، والتي بها تستنير كل الكائنات لأنها به تتأله وتحيا؛ لأنه ليس مثل المخلوقات غريب عن جوهر الآب، بل مساوٍ له".

من هذا النص يمكننا تحديد عناصر الحد الفاصل الذي يقضي تماماً على كل الادعاءات الكاذبة للأريوسية والأنومية الجديدة التي تنادي بأن الشركة في اللاهوت أو التألُّه هي "الشرك" الذي يحاربه الإسلام فيما يأتي:

١- إن الشركة نعمة لا تنزع عنَّا الخلق من العدم، بل تثبِّتنا في الحياة الأبدية، لكي ننال ذات خلود الله؛ لأنه لا يوجد خلودٌ مخلوق.

٢- إن الابن هو في جوهر الآب ومساوٍ للآب أو كائن معه في ذات الجوهر .. أمَّا نحن، فليس لنا جوهر الآب أو جوهر اللاهوت.

٣- إن الابن هو القوة التي تؤلِّه وتُحيي كل المخلوقات، فهو قوة الآب المؤلِّهة التي تحفظ الكائنات من العودة إلى العدم. والتألُّه هنا ليس الخلود فقط، بل أيضاً حفظ هذا الخلود حتى يبقى قاعدة للشركة في الحياة الإلهية.

سفسطة الأنبا بيشوي، وردّ القديس أثناسيوس:

ما هو التأله بحسب القديس أثناسيوس؟

الجواب تراه بوضوحٍ كافٍ في الفقرة ٧٠ من المقالة الثانية للقديس أثناسيوس في الرد على الأريوسيين:

"هنا يعلن لنا الحق أن الكلمة ليس من ضمن المخلوقات، بل بالحري هو الصانع، ولذلك أخذ جسداً إنسانياً مخلوقاً لكي يجدده؛ لأنه هو صانعه، ولكي يؤلِّهه في ذاته، لكي بهذا يؤهِّلنا للحياة في الملكوت، وهي (ذات الحياة) التي هو مثالٌ لها، لأن الإنسان لا يؤلَّه إذا انضم إلى مخلوقٍ آخر مثله. وإن لم يكن الابن هو الإله الحق، عجز الإنسان أن يكون في حضرة الآب، إن لم يكن الابن هو ابن الآب بالجوهر، والكلمة الحقيقي الذي لبس جسداً".

وهنا يتضح لنا أن اللعب بالألفاظ والكلمات وحروف الجر من أجل "شطب" الإيمان لا يمكن أن يكون شهادة حسنة، أو خدمة تقدم للمسيح رب المجد، بل هو -قولاً واحداً- هجومٌ على الإيمان تستره عباءة وعمامة تجعل البسطاء والغوغاء -بسبب الملابس الكهنوتية- يصدقون أنهم يسمعون التعليم الرسولي.

ما هو هدف التألُّه بحسب القديس أثناسيوس؟

شرح القديس اثناسيوس هذا الهدف بشكلٍ وافر في بقية الفقرة ٧٠ كالآتي:

"لأننا لن ننل التحرر من الخطية واللعنة، إذا لم يكن الكلمة قد أخذ جسداً

من ذات الطبيعة الإنسانية وقد لبسه الكلمة .. وأيضاً لأن الإنسان لن يتألَّه إن لم يكن الكلمة الذي هو بالحق من الآب وفيه، قد أخذ جسداً؛ لأنه من أجل هذا الاتحاد بالذات جاء لكي يوحِّد ما يخص الإنسان بالطبيعة، به هو الذي هو بالطبيعة لاهوت؛ لكي يصبح الخلاص والتأله مؤكداً ***might be sure***" (ضد الأريوسيين ٢: ٧٠، ص ٣٨٦).

إذن،

١- التجسد وحده هو الذي يعطي نعمة الاتحاد.

٢- التجسد هو الذي أعطانا التألُّه؛ لأن الابن الكلمة أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، أي نزع الخطية والموت والدينونة، وجعل لنا ذات خلود إلوهيته الذي يُوهَب لنا عطيةً أبدية، أي أن تبادل صفات الناسوت مع صفات اللاهوت في الرب يسوع الواحد، أباد: الخطية واللعنة، وحقق التألُّه، وجعل الخلاص مؤكداً.

٣- بالخطية دخل الموت إلى العالم (رو ٥: ١٢ وما بعده).

٤- جاءت الخطية ليس بالموت وحده، بل أيضاً "لعنة" الفساد وسقط الإنسان عبداً للكل: الخطية – الموت – اللعنة.

٥- لكن الابن جاء، وبالاتحاد بما هو إنساني أعطانا:

* التحرر من الخطية؛ لأن الطبيعة الإلهية لا تخطئ وغير قابلة للخطية، بل هي ضد الخطية.

* التحرر من الموت؛ لأن الطبيعة الإلهية وحدها هي الطبيعة التي "لا تموت".

* التحرر من الفساد؛ لأن الجسد الذي أخذه الكلمة قد تحرر من الفساد بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة.

وبعد هذا كله، هل يمكن تصوُّر أن يحيا الإنسان غريباً عن الله وعن حياته، أم أنه في المسيح اتحد بلاهوت الثالوث: الآب والابن والروح القدس، وأصبح من الصعب فصله عن حياة الله وعن جوهره باسم القوة أو الطاقة؟!!

خداع الهرطقة الأريوسية وسفسطة الأنومية:

الشركة هي شركة حقيقية في الثالوث نفسه، لذلك يقول معلمنا أثناسيوس:

> "عندما نشترك فيه، نشترك نحن في الآب؛ لأن الكلمة هو كلمة الآب. وهكذا، لو كان الكلمة يشترك في الآب مثل المخلوقات، وليس من جوهر لاهوته وصورته، فهو لن يؤلِّه؛ لأنه هو ذاته -عندئذٍ- يحتاج إلى التألُّه. لأنه من المستحيل على من ينال بالشركة، أن يعطي ما أخذه بالشركة لغيره؛ لأن ما يناله بالشركة لا يمتلكه، بل هو خاصٌ ويملكه الواهب، وما يناله بالنعمة هو ما يكفيه هو وحده". (فقرة ٥١ ص ٤٧٧ من De Synod).

إذا كان الأمر على هذا النحو، عندئذٍ يمكننا أن نكشف ما تم هدمه من الإيمان باسم الطاقة أو القوة:

١- هكذا باسم الشركة في الطاقة أو القوة نجد أنفسنا بلا حياة وبلا شركة في الآب.

٢- أصبح التأله الذي يقاوَم بكل حيلة لفظية، وتحت دعوى "الشّرِك"، هو بكل يقين، إخراج البشر من الشركة في الثالوث.

وهنا يجب أن نتوقف عند عبارة هامة للقديس أثناسيوس، يجب أن نعيدها حتى يلتفت إليها القارئ وينتبه إليها:

"لأن ما يناله بالشركة لا يمتلكه، بل هو خاصٌ ويملكه الواهب، وما يناله

بالنعمة هو ما يكفيه هو وحده". هكذا لم تعد الشركة في اللاهوت اقتحاماً، ولم تعد الشركة في اللاهوت عطية توزَّع على الناس حسب قرار أو إرادة من يقبل العطية أو النعمة، بل تبقى مقيَّدة –إذا جاز هذا التعبير– بما يريده الواهب، أي الله.

قوة واحدة للثالوث الواحد، شهادة القديس امبروسيوس

في الكتاب الأول عن الإيمان المسيحي، وفي الفصل الأول يشرح الأسقف امبروسيوس الفرق بين الإيمان الأرثوذكسي والهرطقة الأريوسية مؤكداً وحدة جوهر (الأصح وحدانية) الثالوث، فيقول:

"ولأن الله واحد،

واحدة هي الطبيعة،

واحدة هي قوة الثالوث

وحقاً قال المسيح نفسه: "اذهبوا وعمِّدوا الأمم باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨: ١٩).

ولاحظ (والكلام هنا موجه للإمبراطور جراتيان) أنه قال: باسم، وليس بأسماء.

"وأيضاً قال المسيح نفسه: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). لقد قال واحد، لأنه لا يوجد انفصال بين القوة والطبيعة" (الكتاب الأول، الفصل الأول، فقرة ٨ ص ٢٠٢-٢٠٣).

وهذا ما تقاومه بشدة محبتنا للتعليم الإلهي الذي لا يسمح بأن يصبح الثالوث القدوس: جوهر – أقانيم – طاقة – قوة.

وكل من فصل الأقنوم عن الجوهر، أو فصل الجوهر أو الطبيعة عن القوة، يؤكد القديس امبروسيوس:

"إن الايمان الذي يحاول أريوس الدفاع عنه هو إيمان بثلاثة آلهة مثل آلهة الوثنية: إلهٌ خالق وهو الآب، إلهٌ مخلوق وهو الابن، وإلهٌ ثالث مخلوق هو الروح القدس" (فقرة ١٠ من الفصل الأول ص ٢٠٣).

وبعد أن يؤكد وحدانية جوهر الثالوث يقول:

"نحن نعترف بالآب والابن والروح القدس، ونفهم من ذلك أن الثالوث كامل في الألوهة، وفي وحدانية القوة. لأن كل مملكة تنقسم على نفسها تسقط سريعاً، ولكن مملكة الثالوث لا تنقسم، وما هو ليس بواحد ينقسم" (المرجع السابق فقرة ١١ ص ٢٠٣).

وثمة نقطة هامة لا يجب أن تمر بدون ملاحظة، وهي أن صفات الابن له المجد ليست صفات منفصلة عنه كأقنوم، أو عن جوهر الثالوث الذي هو شريكٌ فيه مع الآب والروح القدس. يقول امبروسيوس:

"عندما نتأمل إلوهية المسيح؛ لأنه الله، فهو تبعاً لذلك صالح، وضابط الكل، أزلي، كامل وإله حق. هذه الصفات هي صفات جوهرية للألوهة" (المرجع السابق فقرة ١٥).

هذه الصفات الخاصة بالجوهر، وهي صفات الأقنوم، بل كل الأقانيم، هي صفات الثالوث الواحد، وهي معلَنة لنا في الوحي وفي الأسرار (السرائر) الكنسية، ولذلك عندما نقول إن الابن هو القوة، وكما يكتب امبروسيوس نفسه عن الابن له المجد، فهو:

"القوة لأنه كامل

الابن لأنه مولود من الآب

الحكمة لأنه واحد مع الآب" (المرجع السابق فقرة ١٦).

والأسماء الإلهية ليست مجرد أسماء، بل كما يقول امبروسيوس:

"هذه ليست مجرد أسماء، بل علامات القوة التي تعلن عن نفسها في الأعمال (التي يعملها الثالوث)" (المرجع السابق فقرة ١٦ ص ٢٠٤).

ولاحظ أيضاً:

"كيف نستطيع أن نقول إن الله واحد؟

اللاهوت مثلث،

لكن

وحدانية القوة تحولُ دون استخدام الكمِّ والعدد؛

لأن الوحدانية ليست رقماً أو عدداً،

بل الوحدانية هي القاعدة التي عليها تقاس الأعداد" (فقرة ١٩ من المرجع السابق، عن الأصل اللاتيني ومع ذلك راجع الترجمة الإنجليزية ص٢٠٤).

وفي الفصل العاشر من الكتاب الأول فقرة ٦٢ يقول امبروسيوس:

"يقول الرسول (بولس) إن قوة الله وحكمة الله أزلية، وأن المسيح هو قوة الله؛ لأنه مكتوب: "المسيح قوة الله وحكمة الله (١كو ١: ٢٣-٢٤ وأيضاً رو ١: ٢٠)، فإذا كان المسيح هو قوة الله، ولأن قوة الله أزلية، هكذا الابن الرب يسوع المسيح هو أزلي".

يمكننا -من الكتاب الأول وحتى الكتاب الرابع- أن نجد العديد من الفقرات التي يؤكد فيها امبروسيوس أن:

"اللاهوت – القوة، واحدة لا تقبل الانفصال" (راجع على سبيل المثال الكتاب الرابع فصل ٣ فقرة ٣٥).

إذن، ما هو السبب في هذا الإصرار؟

أولاً: لأن ما أُعلن في الدهر أو الزمان، إنما ينبع من الأزل، من اللاهوت الواحد غير المنفصل وغير المنقسم. وأنَّ ما أُعلن هو: الخلاص – التبني – الحياة الأبدية – ميراث ملكوت السموات، أي إعادة الخليقة إلى الله.

ثانياً: وهذه فقرة نقدمها إلى الذين يعلِّمون بأن الآب السماوي وجد الغفران في تعذيب الابن -وحسب عبارة الأنبا بيشوي- القصاص الذي يستحقه كل خاطئ مثل الجلدات الحارقة. يقول امبروسيوس في الكتاب الثالث الفصل الثاني فقرة ٨: ص ٢٤٣:

"هو الوسيط بين الله والإنسان، أي الإنسان المسيح يسوع الذي بذل نفسه فديةً عنا (١تيمو ٢: ٥). الوسيط هو المكان الذي يخص تجسده؛ لأن فدائنا تم بدمه وغفراننا تحقق بقوته[١]، وحياتنا صارت ثابتة بنعمته.

([١]) الغفران بقوة الابن المصلوب ليس فقط تأكيداً على وحدانية جوهر الثالوث، حتى في الفداء، بل أيضاً تأكيداً على أن ما يتم بالقوة يبقى عاملاً فينا بذات القوة. راجع شرح امبروسيوس لتمزيق صك خطايانا في الفصل الثاني، فقرة ١٣ من الكتاب الثالث، ص ٢٤٤، حيث تكاد تكون عبارات أمبروسيوس مثل عبارات الأجبية في الساعة السادسة: "مزِّق صك خطايانا أيها المسيح إلهنا". لقد سمَّر خطايانا على الصليب، ولم يدفع الثمن حسب ادعاء تلاميذ السادية. وبعد ذلك يقول أمبروسيوس: "لقد كان حراً لأن سلاسل الموت لا تستطيع أن تقيِّده" (الكتاب الثالث، فصل ٤، فقرة ٢٨). بينما -عند الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، سقط الرب تحت التأديب، وعومل كخاطئ ومات تحت وطأة العقوبة ... يا له من تجديف عن جهلٍ!!! يقول أمبروسيوس:

"صليب الرب هو حكمتي

– هو يعطي لأنه الله العلي

– هو يصلي لأنه تجسد

– الأول هو وظيفة الخالق

– الثاني هو وظيفة الفادي

ومع تنوع العطايا، إلَّا أن الواهب هو واحد؛ لأنه من الضروري أن يكون هو الفادي".

إذن، الإصرار على وحدانية الجوهر والأقنوم والقوة، هو إصرارٌ على عودتنا إلى الخالق الذي هو نفسه الفادي؛ ولذلك يقول امبروسيوس:

"كما أن الأعمال هي إعلان عن إرادة وقوة الله الآب، هكذا الأعمال هي إعلان عن المسيح؛ لأننا نقرأ: "مخلوقين في المسيح لأعمال صالحة" (أفسس ٢: ١٠). وهنا بالذات نرى أن وحدانية الإرادة والقوة هي ضمان بقاء كل منا في يسوع المسيح الذي تمنحنا قوته الخالقة التجديد في المعمودية" (الأسرار فصل ٣ فقرة ٨ ص ٣١٨).

وموت الرب هو فدائي

لأننا افتُدينا بالدم الكريم (١ بط ١: ٩)،

بدمه كإنسان، فدانا الرب الذي هو الله الذي غفر خطايانا" (كتاب ٣، فصل ٥، فقرة ٣٦، ص ٢٤٧).

الفصل الخامس

رد القديس غريغوريوس النيسي

على بدعة أنوميوس

القوة بلا وجود إلهي حقيقي حسب أنوميوس:

القوة عن أنوميوس هي قوة ليس لها وجود حقيقي حسب معنى الكلمة اليونانية ±½Í À±Áº Ä¿ وهي لذلك ليست قوة أقنومية±½ÅÀÌ ÃÄ±Ä¿½. في حين أن قوة الابن هي ذات قوة الآب، وهي ذات قوة الروح القدس، أي أن هناك قوة واحدة للثالوث. هكذا دافع غريغوريوس عن الإيمان (ضد انوميوس ٣: ٤ راجع المجلد الإنجليزي ص ١٨٥).

لكن إذا كانت قوة الابن ليست قوة أقنومية، أي قوة لها وجود حقيقي، فكيف يمكن للابن أن يخلق ما له وجود حقيقي؟ هكذا يضع غريغوريوس الكمين أو الشَرَك الذي يُمسك بالفأر:

"إذا كانت قوة الابن بلا وجود حقيقي، أي ليست قوة متأقنمة،

كيف يمكن أن تخلق ما له وجود حقيقي؟

لأنه ضد المنطق، بل ضد الطبيعة أن يصدر ما لا وجود حقيقي له من الذي له وجود حقيقي.

وهكذا يجب أن نؤمن بالوجود الأقنومي للقوة الإلهية في الابن" (ضد انوميوس الكتاب ٣ وتعليم الموعوظين راجع الترجمة الانجليزية ص ٤٧٨).

أما العبارة الجديرة بالاهتمام، وهي التي صاغت دفاع القديس غريغوريوس بالاماس:

"هل الله هو آخر غير قوته؟

الرب القوي أو رب القوة

لا يمكن أن تكون قوته لآخر غيره" (راجع الترجمة الانجليزية ٢١٢).

"ولا يوجد فرق بين:

أنا هو الهك

و

أنا هو خالقك (ص ٢١٢) لأن القوة واحدة.

الرب يسوع المسيح قوة الله الآب:

في رده على الأنوميين يقول غريغوريوس النيسي:

"عندما تقولون إن الرب لم يكن كائناً منذ الأزل، فأنتم لستم فقط تدَّعون عدم وجود القوة، بل أيضاً تدعون أن قوة الله الآب لم تكن منذ الأزل" (ص ١٤٤ أيضاً راجع ص ٢٠٧).

يتمسك الآباء جميعاً بالتعليم الأرثوذكسي الذي يعبِّر عنه القديس غريغوريوس النيسي ويقدمه في الكتاب الثالث ضد أنوميوس. كل ما يعمله الآب، يعمله الابن أيضاً

لأن الابن هو قوة الله الآب. وعن ذلك يقول:

"كل أعمال الله الآب المعلَنة في الخليقة هي أعمال قوته؛ لأن القوة الفاعلة *energeia* هي قوة الآب؛ لأن الابن يعمل أعمال الله الآب" (ضد انوميوس ٤: ٣ ص ١٨٧).

وعندما نقرأ الكتاب الثاني ضد أنوميوس نرى "نعومة" الهرطقة، فهي لا تتوانى عن استخدام كلمات الوحي مثل "نحن نؤمن بالواحد وحده الحقيقي الله حسب تعليم الرب نفسه" (٢: ٤ ص ١٠٤)، ولذلك، فإن السذج سوف يصدقون انوميوس، في حين أنه بالاعتراف بالواحد وحده الحقيقي ينفي إلوهية الرب يسوع المسيح وكذلك الروح القدس (المرجع السابق ص ١٠٤-١٠٦).

ويفند القديس غريغوريوس النيسي الفكر الفلسفي لأنوميوس لأنه حسب ادعاء انوميوس يوجد فرق بين "غير المنتهي" و"الأبدي". والصفة الأولى تطلق على الابن، أما الصفة الثانية فهي خاصة بالآب وحده (٢: ٤ ص ١٠٥). لكن على الرغم من ادعاء انوميوس وشدة التصاقه بالفلسفة اليونانية، وهو ذات الالتصاق الذي نراه عند أريوس نفسه، يجيب القديس غريغوريوس النيسي ويقول إن الأسفار الموحى بها استخدمت عدم الموت أو الخلود لله، وعدم الموت لا تخص الآب وحده، بل هي خاصة بالابن أيضاً:

"لأننا أُخبرنا أن الله وحده له عدم الموت (١تيمو ٦: ١٦)، وعدم الموت خاصة بالابن، لأن الحياة التي لا تموت هي الرب الذي قال: "أنا هو الحياة" (يوحنا ١٤: ٦). وعندما يقال إن الله "ساكنٌ في نور لا يُدنى منه" (١تيمو ٦: ١٦)، فليس لدينا أي صعوبة تمنعنا من أن نفهم أن الابن هو النور الحقيقي" (٢: ٤ ص ١٠٥).

محور تفنيد الأنومية يدور كله حول صفات الله وأعماله، وحسب الإيمان الأرثوذكسي، الجوهر واحد للثالوث، وقوة واحدة للثالوث. ولأن الجوهر لا ينقسم، فهو

واحد، أصبحت القوة الواحدة للثالوث تُعلن الجوهر الواحد، أي وحدانية الله (٢: ٥ ص ١٠٦).

والكلام ليس عن القوة، بل عن المجد الواحد للثالوث:

"لا يقسم الابن المجد مع الآب، بل مجد الآب الكامل هو ذاته مجد الابن الكامل؛ لأنه قال للآب "كل ما هو لي هو لك وكل ما هو لك هو لي" (يوحنا ١٧: ١٠)، ولذلك قال إنه سوف يظهر في يوم الدينونة "في مجد الآب" (مرقس ٨: ٣٨) .. فأعلن بهذه الكلمات وحدانية الطبيعة التي كل منها قائم بها" (٢: ٦ ص ١٠٧).

المجد والقوة يعلنان الطبيعة الواحدة أو الجوهر الواحد للثالوث؛ لأن:

"قوة الثالوث كامنة في طبيعة الثالوث" (٢: ٦ ص ١٠٧).

وأيضاً:

"من يشرق بمجد الآب ويعلن أقنوم الآب في اقنومه له كل ما للآب ويملك ذات قوته (الآب) .." (٢: ٦ ص ١٠٧).

علينا أن نلاحظ هذه التعبيرات:

- أعمال *erga* الله الآب.

- القوة الفاعلة *energeia* الخالقة أيضاً.

- القوة *dynamis* الإلهية.

يقول غريغوريوس:

"كل أعمال ***erga*** الآب هي أعمال قوته. القوة الفاعلة ***energeia*** للقوة ***dynamis*** هي لمن له هذه القوة ***dynamis*** وهكذا الابن هو قوة ***Dynamis*** الآب وكل أعمال الابن ***erga*** هي أعمال الآب" (ضد أنوميوس ٦: ٣ ص ١٨٧).

هذا يضعنا أمام حقائق ثابتة لا يجب أن تضيع من القارئ:

أولاً: عدم انقسام الجوهر أو الطبيعة الإلهية.

ثانيـاً: وحـدة الجـوهر هـي وحـدة حيـاة الأقـانيم، وهـي لا تنفـي تخصـص الابـن بالفداء، والروح القدس بالتقديس، ولكن يظل الفداء هو عمل الثالوث الواحد.

ثالثـاً: القـوة لا تفصـل الأقنـوم عـن الجـوهر؛ لأن القـوة هـي قـوة حيـاة، وهـو مـا يؤكـده غريغوريـوس لـيس فقـط في رده علـى أنوميـوس، بـل في مقالـه عـن الثـالوث يؤكـد مـا سبق وشرحه:

"ذات القوة الفاعلة في الآب والابن والروح القدس تعلن جهراً أنه لا يوجد تمايز في جوهر الثالوث".

"وحتى إذا كان اسم الألوهة يُعلِن ويؤكد الطبيعة، فالشركة في الجوهر تؤكد لنا أن اسم الألوهة يخص الروح القدس" (ص ٣٢٩).

رابعاً: نحن ندرك ونفهم الله من خلال عمله، ولا نقدر على استيعاب أو إدراك جـوهره؛ لأن هـذا يفـوق قـدرات كـل الخلائـق، وهـو مـا سـبق وأكـده القـديس باسـيليوس وغيره من الآباء، ولذلك يقول غريغوريوس:

"ندرك من تنوع القوات الفاعلة أن الله كلي القوة، ديان، صالح وعادل وغيرها من الصفات ولكننا لا نقدر من خلال فهمنا للقوة الفاعلة أن نفهم طبيعة

الله[١]" (ص٣٢٩).

القوة والقوة الفاعلة في الأسرار: المعمودية – الإفخارستيا:

التعليم الرسولي الآبائي هو تعليمٌ خاص بالممارسة الكنسية، ويستقر هذا التعليم على قاعدة واحدة وهي:

استعلان الثالوث في التجسد، وفي معمودية الرب، وفي الصلب، وفي القيامة، وفي حلول وسكنى الروح القدس، من أجل غاية واحدة وهي:

إعادة الإنسان إلى الشركة التي قُطعت بواسطة الخطية وحكم الموت والدينونة.

هكذا يجب أن نفهم لماذا يدافع الآباء عن اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولماذا رفضوا وقاوموا كل من البدعة الأريوسية – النسطورية – الأوطاخية؟ لماذا تمسك الآباء بالاتحاد الأقنومي، ولماذا أبرزوا "تبادل الصفات" *Communication Idiomatum* في أقنوم الكلمة المتجسد الذي أخذ جسده "قوة حياة الكلمة"، فصار "الجسد المحيي"، لأن النعمة التي تعطى لنا من الآب بالابن في الروح القدس، هي نعمة واحدة تصل إلينا وتعطى في المسيح الذي يشاركنا إنسانيتنا.

النعمة الواحدة مصدرها اللاهوت، وهي قوة اللاهوت، ولكنها تعطى لنا

---

(١) في مقالة خلق الإنسان التي كتبت لأخيه بطرس، وفي الفصل ٢٢ فقرات ١ – ٣ يؤكد غريغوريوس أن شجرة المعرفة، هي معرفة الخير والشر، وأن المعرفة ليست مثل التمييز أو الإفراز، وأن آدم أكل من الشجرة، أي طلب معرفة مختلطة حسب اسم الشجرة نفسه "معرفة الخير والشر" (راجع ص ٤١٠)، ولم يذكر أن سقوط آدم كان اشتهاء الإلوهة، حسب رأي الأنبا شنودة الذي لا مجال له في الكتاب المقدس والآباء، بل هو اختراع يبرر به الأنبا شنودة إنكار الشركة في الطبيعة الإلهية، وهو اختراعٌ يؤدي حتماً إلى اعتبار أن الفداء في يسوع المسيح ربنا هو سقوط شيطاني، وهو ما يعني شيطنة النعمة والخلود والحياة الأبدية. وسوف نكتب بالتفصيل عن هذه النقطة بالذات في المستقبل القريب.

بواسطة ناسوت المسيح.

هكـذا يشـرح القـديس غريغوريـوس النيسـي المعموديـة في الـدفاع عـن الإيمـان الأرثوذكسي الذي يُعرف باسم *The Great Catechism*:

"إذا سألونا عن برهان عن حلول اللاهوت عندما نطلبه في التقديس في طقوس التعميد ... فإننا نقدم البرهان على أن القوة التي قد أُعلنت لنا من خلال الجسد، هي القوة الإلهية، وهذا هو برهاننا. لأنه عندما أعلَن في الجسد، وبرهن على طبيعته بالمعجزات التي أكدت لنا أنه هو الله، فإن هذا هو ذاته الذي يتم بحضوره في الطقوس عندما ندعوه" (الفصل ٣٤ ص ٥٠١).

ويؤكد بعد ذلك مباشرة:

"لقد وعد أنه سيكون معنا دائماً، وحالٌّ في الذين يدعونه لأنه في وسط الذين[١] يؤمنون به، لأنه مع الجميع وله علاقة خاصة بكل واحد منهم .. والاستدعاء في الصلوات حسب التدبير الإلهي هو البرهان الكامل أن ما يتم، إنما يفعله الله" (٣٤ ص ٥٠١).

هنا نقـف وقفـةً قصيرة مع الـذين يمزقـون عمـل الله بالـدعوة الباطلـة بـأن علاقتنـا بـالروح القـدس هـي علاقـة بالمواهـب فقـط؛ **لأن اسـتدعاء الابـن أو الـروح القـدس فـي الصـلوات الطقسـية كلهـا هـو اسـتدعاء لأقـانيم الثـالوث، ولـيس لمواهـب؛ لأن التقـديس لا يـتم بواسـطة مواهـب، بـل بواسـطة الله الآب والابـن والـروح القـدس.** وصـلوات القداسـات بشـكلٍ خـاص، هـي الـدليل القـاطع الـذي يجـب أن يُخـرس ألسـنة

(١) لاحظ أن عبارة "في الوسط" هي من أهم العبارات الطقسية؛ لأنها تعود إلى العهد القديم عن حلول الله في وسط شعبه، لكن في العهد الجديد، هي خاصة بحلول الله المتجسد كرأس الجسد في الكنيسة.

الناطقين بالضلال، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن استدعاء المواهب بدون الأقانيم هو فصلٌ، لا يُقدِم عليه إلَّا جاهلٌ، أو من فقد الحس؛ لأن تمزيق الثالوث هو خدمة للشيطان نفسه.

ثانياً: لقد وعدنا الرب يسوع نفسه –وهو ليس موهبةً من مواهب الروح القدس، بل هو أقنوم الكلمة– أن يكون معنا (متى ٢٨: ١٩)، فإذا أصر هؤلاء على التعليم بالمواهب دون أقانيم الثالوث، وقعوا في شرك وفخ الشيطان بفصل الرب رأس الكنيسة عن جسده، لذلك السبب كانت مقاومة هذا التعليم الفاسد ضرورة لا يمكن التنازل عنها مهما كانت نتائج المقاومة.

المعمودية بداية الوجود الجديد الذي لا يبدأ ولا ينتهي[١]:

هذا الوجود الجديد يقول عنه القديس غريغوريوس النيسي:

"عندما نولد في هذه الحياة كمائتين، فهذا الميلاد الأول يؤدي إلى الوجود المائت. أما الميلاد الآخر الذي يجب أن نكتشفه، فهو ميلادٌ لا يبدأ ولا ينتهي بالفساد، بل هو ميلاد يعطي لمن يولَد الوجود غير المائت؛ لأن الذي وُلِدَ بميلاد مائت، لديه بالضرورة جوهر مائت؛ لأنه ميلاد يحتوي على الفساد. أما الميلاد الجديد، فهو يسمو على فساد الموت. هذا ما سمعتموه مني مع أمور أخرى تُعلِن ما يُعطى في الطقوس، أي أنه بالصلاة واستدعاء النعمة السماوية والماء والإيمان يتم سر الميلاد الجديد .... وعندما يسألون كيف تستطيع الصلاة واستدعاء القوة الإلهية على المياه أن يصبح هذا أساس الحياة للذين ينالون الانضمام (إلى الكنيسة) .... والجواب هو أن القوة

---

(١) "الوجود الجديد" لا يبدأ من "العدم"، ولا ينتهي "بالموت".

الإلهية تحول ما هو منظور لكي يُعطي لطبيعة الإنسان (الروحية) .... وعندما يسألون ما هي العلاقة بين الماء والحياة؟ ... والجواب أنه عندما يحل اللاهوت، يتحول ما هو مولود بالطبيعة الفاسدة إلى عدم الفساد" (المرجع السابق فصل ٣٣ ص ٥٠١).

وتحوُّل المولود المائت إلى عدم الموت والحياة يقول عنه النيسي:

"من المستحيل على الإنسان أن يقوم في القيامة بدون حميم عدم الفساد" (التعليم الكبير فصل ٣٥ ص ٥٠٤).

الإفخارستيا هي الخميرة التي تُخمِّر العجين الإنساني:

هذا العنوان أُخذ من الفصل ٣٦ من التعليم الكبير ص ٥٠٤ وهو مستوحى من كلمات الرسول بولس (١كو ٥: ٦). وكلمات القديس غريغوريوس قاطعة:

"الجسد الذي أخذ الخلود من اللاهوت، عندما يعطى لنا، ينقلنا ويحولنا إلى حياته" (المرجع السابق ص ٥٠٤-٥٠٥).

ولعل القارئ يكون قد لاحظ كلمة "ينقل"، فهي مستخدمة في تقديس مياه المعمودية، وفي تقديس الخبز والخمر.

والإفخارستيا كما يقول غريغوريوس النيسي وغيره من الآباء:

"عندما أعلن الله نفسه وبث *infused* حياته في الناسوت المائت من أجل هذا الهدف لكي بالشركة في اللاهوت يتألَّه البشر، ولأجل هذا القصد بالذات، وحسب تدبير نعمته، يوزِّع نفسه على كل مؤمن وبذات الجسد .. يمزج ذاته بأجساد المؤمنين لكي بالاتحاد يضمن خلود الإنسان وأيضاً لكي ينال نصيباً في عدم الفساد" (المرجع السابق الفصل ٣٧ ص ٥٠٦).

الفصل السادس

القوة والطاقة،

هذيانُ محمومٍ، أم غريقٍ يتعلق بقشةٍ؟

وصف القديس لوقا الطبيب الإنجيلي رد فعل الرسل على بشارة المريمات بالقيامة للرسل، بأنه بدا "كالهذيان ولم يصدقوهن" (لو ٢٤: ١١).

وعندما يستبدل شخصٌ ما القوة أو الطاقة بالروح القدس، فنحن هنا لسنا بصدد أقل من هذيان حقيقي بكل ما تحمله الكلمة من معان طبية. لأن هذا يعد اعتداء صارخ محموم على كلام الرب نفسه.

ماذا لو جرى إعادة ترتيب كلام الرب نفسه هكذا:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكم قوة أو طاقة أخرى تمكث معكم إلى الأبد. روح الطاقة أو القوة أو قوة أو طاقة الحق التي لا يستطيع العالم أن يراها .. أما أنتم فتعرفونها لأنها ماكثة معكم وتكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٦-١٧).

هنا لم يعد الكلام عن أقنوم، بل عن شيءٍ مجهول غير معرَّف. لم يعد الكلام عن "روح الحق"، وهذا ليس أقل من هذيان.

هذيان؛ لأن المسيح الرب لم يطلب طاقة أو قوة -وما أكثر قوة وتنوع قوة وطاقات الله- بل طلب "المعزِّي الآخر".

ماذا لو جرى إعادة ترتيب كلام الرب نفسه في استعلانٍ آخر هكذا:

"وأما الطاقة أو القوة التي سيرسلها الآب باسمي، فهي تعلمكم كل شيء وتذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤: ٦).

نحن هنا أمام النتيجة التالية:

– الطاقة أو القوة تعرف تعليم الرب. لديها عقلٌ وإدراك، بل وإرادة لكي تُعلِّم، بل تذكِّر التلاميذ بكل ما قاله الرب يسوع، فهي لها قدرة على أن تحفظ ما قيل.

لك عزيزي القارئ أن تتأمل هذا الهذيان.

لكن شكراً للرب لأنه أرسل المعزِّي الروح القدس.

ماذا لو جرى إعادة ترتيب كلام الرب نفسه في استعلانٍ آخر هكذا:

"ومتى جاءت الطاقة أو القوة التي سأرسلها أنا إليكم من الآب، طاقة أو قوة الحق التي من عند الآب تنبثق فهي تشهد لي". (يوحنا ١٥: ٢٦).

وبالطبع، لا تسمح لنا قواعد اللغة –التي يريد المطران أن يُلزم بها الثالوث نفسه– بأن تتحول صيغة المذكر إلى صيغة المؤنث، أي روح الحق إلى طاقة أو قوة، لكن هذا ليس هاماً بالمرة لأنه مجرد هذيان.

لكن كيف يمكن لطاقةٍ أو قوةٍ أن تشهد؟

* هل لديها إرادة؟

* هل لديها معرفة؟

* هل تعرف الابن، ولذلك هي تشهد له؟

أمرٌ غريبٌ وعجيب!!!

يقول رب المجد للرسل القديسين: "ومتى جاء المعزِّي ... فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" (يوحنا ١٥: ٢٧)، ذلك لأن الرسل شهدوا كيف مُسِحَ يسوع بالروح القدس (أع ١٠: ٣٨). وفي نص (أع ١٠: ٣٨ يقول رسول الرب: "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة لأن الله كان معه" (أع ١٠: ٣٨). فهو لم يُمسح بالقوة، بل بالروح القدس، وجاء استعلان هذه المسحة بالقوة، ولم تكن القوة معه، بل "الله كان معه". لذا أدعوك عزيزي القارئ أن تنتبه إلى كلمات الرب في (يوحنا ١٦: ١٢-١٤):

- ذاك يمجّدني
- يسمع
- يتكلم
- يخبر بأمور آتية،

بل

- يأخذ مما لي -وحسب قراءة الإسكندرية- ويعطيكم" (يو ١٦: ١٤)

هذيانُ محمومٍ، نرجو له الشفاء؛ لأن الطاقة لا يمكنها أن تفعل هذا.

غريقٌ يتعلق بقشة:

هذا مَثَلٌ قديم يُقال عن الذي يتعلق بوهمٍ، أو بحلم أن ينجو من الغرق. فما هي تلك القشة التي يتعلق بها المطران؟

هي كلمات العهد الجديد التي تذكر "القوة" في نفس السطر الذي تذكر فيه حلول الروح القدس. وأفضل مثال على ذلك هو قول الرب يسوع نفسه: "ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض" (أع ١: ٨). قشة الأنبا بيشوي هنا هي كلمة "القوة"، ولكن لا قوة بدون حلول الروح القدس، بدون الأقنوم.

أمَّا قمة هذا الهذيان ما قاله من أن الرسل –عندما نفخ الرب في وجوههم بعد القيامة– قد نالوا قوةً، وليس الأقنوم. وهنا يثور السؤال: كيف يقف الرسل ضد كل من:

- السنهدرين مجمع السلطة الدينية لليهود.

- السلطات الرومانية التي صلبت الرب يسوع.

- الشعب اليهودي الذي صرخ أصلبه.

- العادات والطقوس وقوة الهيكل.

كيف يمكن للرسل أن يتحدوا كل هؤلاء دون أن تكون القوة ليست هي روح الآب؟ وهو ما سبق الرب وأشار إليه في السطور السابقة: "وفيما هو مجتمعٌ معهم **أوصاهم** أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني (هذه إشارة إلى ما ذكره الرب قبل الآلام عن المعزّي مثل (يوحنا ١٤: ٢٦ – ١٥: ٢٦): "لأن يوحنا عمد بالماء فستعمدون (تنالون المعمودية) بالروح القدس" (أع ١: ٤–٥) وجاء موعد الآب في يوم الخمسين، وهو الامتلاء من الروح القدس (أع ٢: ١–٤).

ويشرح الرسول بطرس في عظته يوم الخمسين أن ما حدث هو ما سبق الله ووعد به على فم يوئيل النبي: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي على كل بشر" وعندما ينسكب الروح المعزّي: "فيتنبأ بنوكم وبناتكم .. وعلى عبيدي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون" (أع ٢: ١٦).

لم يأخذ يسوع قوةً، بل أخذ موعد الروح القدس من الآب. وهو لم يسكب قوة، بل "سكب الروح القدس" (أع ٢: ١٣)، والانسكاب هنا لا يختلف عن سكب دم الذبائح، ولذلك يقول بولس: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس" (رو ٥: ٥). ذلك؛ لأن الروح الكلي القداسة يسكب محبة الله في القلوب، دون أن تمنعه قداسته الكلية والتامة من العمل في الخطاة.

وأيُّ طاقةٍ أو قوة يمكنها أن تعطي البنوة؟ أليست هي عمل الروح القدس الذي يُعطى للنفس الإنسانية التي لا تملك أية قوة؟

وعندما هدد اليهود بطرس ويوحنا، واجتمع الرسل للصلاة لأنهم في مواجهة قوة الجماعة التي تملك القدرة على القتل، يطلبون: "والآن يا رب أنظر إلى تهديداتهم وأمنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة". ولاحظ ما لم يكن الرسل يملكونه بالمرة: "بمد يدك للشفاء ولتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع"، فماذا حدث؟ "تزعزع المكان"؛ لأن هذا يشبه الزلزال الذي يسبق استعلانات وحضور الله في العهد القديم (راجع مثلاً مزمور ٩٥: ٩ — ٩٧: ٤)، "وامتلأ الجميع من الروح القدس"، ولذلك: "كانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة" (أع ٤: ٢٩-٣١).

نرى هذه المجاهرة في (أع ٥: ٥ وما بعده). وبهذه المجاهرة يقولون عن الشهادة ليسوع وعن يسوع المخلص: "ونحن شهود له بهذه الأمور". ومَن يشهد أيضاً مع الرسل ليس طاقة ولا قوة، بل "الروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه" (أع ٥: ٣١-٣٢). وتأتي شهادة أول قربان المسيحية، اسطفانوس (أع ص ٧)؛ لأنه كان مملوءاً من الروح القدس (أع ٦: ٥)، وأمام الهجوم الذي كان يعرف اسطفانوس أنه سوف يؤدي إلى قتله: "رأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع ٦: ١٥)، فقد استنار بنور الروح القدس. ولذلك أيضاً بالروح القدس: "وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله (الشاكيناه) ويسوع قائماً عن يمين الله (في ذات المجد) (راجع فيلبي ٢: ٦) ورأى السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع ٧: ٥٥-٥٦).

المِسحة والقوة هي عمل الأقنوم

لقد عرضنا لمعمودية الرب في الأردن فيما سبق. وعندما يستعيد بطرس الرسول هذه الحقيقة يقول: "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس (وهذا هو استعلان القوة) لأن الله كان معه" (أع ١٠: ٣٨). ونحن شركاء للرب في مسحته التي قَبِلها لأجلنا، والتي بها صار "المسيح، ولذلك السبب يقول يوحنا الإنجيلي: "أنتم لكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء" (١يوحنا ٣: ٢٠)؛ ولأن هذه المسحة تثبِّت كل مَن مُسِحَ في الحياة الأبدية، يقول يوحنا: "أمَّا أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه (من يسوع المسيح) ثابتة فيكم ... بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق (لأنها مسحة روح الحق المنبثق من الآب (يوحنا ١٥: ٢٦) .. تثبتون فيه" (١يوحنا ٣: ٢٧)، فهل يمكن لقوة أن تعلِّم وأن تثبِّت وأن تعطي الحق؟ ولاحظ -عزيزي القارئ- أن المسحة، هي الروح نفسه، كما تسلمنا من القديس أثناسيوس: "الروح يُدعى مسحة وهو الختم لأن يوحنا يكتب أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم .." (سرابيون ١: ٢٣). ويضيف أثناسيوس العظيم أن المسحة هي الختم، وأن الختم له صورة المسيح الذي يختم، لا صورة قوة خلواً من أقنومه، أي ليست قوة غير شخصانية ***De-Personalized***.

هل يمكن لقوة أو طاقة بلا أقنوم أن تبقى معنا، وتدوم فينا وتثبت في الحياة الأبدية؟

إنه ذات الاستمرار في لاهوت الإله المجهول غير المستعلَن في أقانيم الثالوث، وغير الفاعل بأقانيمه، بل الذي يعمل من وراء الستار في خفاء من خلال قوة أو طاقة!!!

ذلك هو انعكاسٌ لحياة المطران النفسية والتي تملي عليه تصرفاته التي يعرفها كل آباء المجمع، أي تصرف القوة (من تحت لتحت)، تصرُّف التواري لا المواجهة، ومع ذلك تُظهِر هذه القوة حقيقة الشخص، أنه بلا محبة، بلا رعاية، يفتخر بأنه الرجل الحديدي، والرجل الثاني بعد البابا، واللاهوتي الأول .. وغير ذلك من ألقاب أخرى وصلت إلى ١٥ لقباً، بل ويجترئ على أن يصوِّره أحد الرسامين على أنه هو السامري الصالح، بل ويستبدل نفسه بالأنبا بيشوي حبيب المسيح في صورة أخرى تثير كل سخط وسخرية.

لكن السؤال يا سيادة المطران: هل قال الملاك إن قوة الله تحلّ عليكِ؟ ماذا أقول والنص واضح: "الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوة العلي تظللك، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥)، لا ابن قوة، ولا ابن طاقة؛ لأن بنوة الابن له المجد مزدوجة، فهو ابن الآب أزلياً، وابن العذراء حسب التدبير، وكلاهما من الآب الذي أرسل روحه، فحَلَّ على البتول لتلد الله الكلمة.

صحيح أن "قوة العلي" كانت تظلل البتول والفعل اليوناني المستخدم مشتق من سحابة المجد التي كانت تظلل خيمة الاجتماع (خروج ٤٠: ٣٤)، وهو ما تسلمناه من التسبحة السنوية التي أفاضت في الشرح السري *Mystical* لخيمة الاجتماع مؤكدة في الثيئوطوكيات أن القديسة مريم ولدت ابن الله؛ لأن جسده كوَّنه روح الله الخالق وليس طاقة أو قوة.

إن هذا الإله الغامض غير المعلَن ينتهي بنا إلى إله من خلق الأنبا بيشوي، وليس إلى ثالوث المحبة الذي يأتي إلينا وعندنا يصنع منزلاً (يوحنا ١٤: ٢٣).

الروح القدس قوة الثالوث:

يقول رسول الرب: "وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو ١: ٤)، ورغم أن الترجمة صُحِّحت في الترجمة الموحدة[١]. وكان العلامة أوريجينوس هو أول من لفت الأنظار إلى أن الكلمة اليونانية Á¹Ã¸ -½Ä¿Å؛ تُرجمت خطأ في اللاتينية إلى Predestined بينما يجب أن تكون designated أي رُسم أو صُمم. ويقول العلَّامة: "لأن ما يُصمَّم هي خاصة بمَن هو كائن، بينما مَن يُعيَّن خاصة بمن ليس له وجود"، ولذلك الكلمة خاصة بالتدبير؛ "لأن الذين يجدِّفون على ابن الله ينكرون ما هو خاصٌ به ولا يميِّزون بين ما هو كائن وبين ما هو مُستعلَن" (شرح رومية ٨: ٩).

ذلك؛ لأن الابن كائنٌ قبل القيامة، ولذلك "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم .. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله (وليسوا أبناء طاقة) .. أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله .. ورثةُ الله وارثون مع المسيح" (رو ٨: ١١-١٧). وهنا -عزيزي القارئ- حاول أن نضع الطاقة أو القوة عوضاً عن الروح القدس، لنرى مقدار الفوضى والتشويش، وهي من الفظاعة بحيث تؤدي بنا إلى القول بأن قيامة الرب ليست من عمل أقنوم الروح القدس، وبذلك نكون قد فصلنا الابن في عمل التدبير عن الروح الذي يعمل مع الابن في نفس التدبير لكي يعطي ذات قيامة المسيح؛ لأننا سنقوم على "صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١). وبالإضافة إلى ما تقدم، فإننا إذا اعتبرنا أن الروح هو قوة أو طاقة،

---

(١) أنظر الترجمة العربية الجديدة، دار الكتاب المقدس، ١٩٩٣: "وفي الروح القدس ثبتَ أنه ابن الله في القدرة بقيامته من بين الأموات، ربنا يسوع المسيح". (رو ١: ٤).

سقطت نعمة التبني التي تجعلنا أبناء الآب، بل ورثة الله الآب في ملكوته السماوي[١].

لا أريد أن أتوسع في بيان ضخامة الاعتداء على الإيمان بهذا الاستبدال السخيف، ويكفي أن أقول إن قوة الثالوث الواحدة قد تمزَّقت على يد الأنبا بيشوي.

ولأن الثالوث واحد، صارت الكرازة "ببرهان الروح القوة .. بقوة الله .. فأعلنه الله لنا بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله .. أمور الله لا يعرفها أحد إلَّا روح الله" (١كو ٢: ٤-١١). وطبعاً في زمان تقطيع العبارات من سياقها، لا يقرأ الذين استُعبدوا للمنهج البروتستانتي سوى سطراً أو سطرين، لكي -كما يقول أستاذ الوعظ السابق في كلية اللاهوت الإنجيلية- "يُقسِّم الآية"، وبذلك يخرج التعليم الرسولي عن السياق، ولكن لاحظ:

- برهان الروح هو حكمة الله (١كو ٢: ٧).
- أعلنه الله لنا بروحه (١كو ٢: ١٠).
- الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١كو ٢: ١٠).
- أمور الله لا يعرفها أحد إلَّا روح الله (١كو ٢: ١١).

ولم يقف الرسول عند هذه الحقائق، بل أكمل التعليم: "نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله". وهنا يسأل القارئ الحكيم لماذا نريد روح الله؟ والجواب: "لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله .. بما يُعلِّمه الروح القدس .. لأن الإنسان الطبيعي (الحي حسب قوانين الجسد) لا يقبل ما لروح الله لأن عنده جهالة". يا لروعة المسيحية

---

(١) من الهذيان الذي سجَّله الأنبا بيشوي على نفسه في عظاته، أو ما يسميها هو محاضراته، التمييز بين ملكوت الله وملكوت السموات. والتعبير الأول شائع في اليونانية، والثاني شائع في الآرامية التي كتب بها متى الرسول، ويكفي لأي قارئ أن يقارن عبارات الرب نفسه في متى ولوقا، حيث وردت ذات العبارة عند متى "ملكوت السموات"، وعند لوقا "ملكوت الله".

التي تقول عن استعلان روح الآب: "أمَّا نحن فلنا فكر المسيح" (١كو ٢: ١٦)؛ لأن فكر المسيح هو الروح القدس الذي يعلن لنا ما قد وُهِبَ لنا في المسيح حسب سياق الشرح نفسه.

الانتقال إلى مجال استعلان نعمة الثالوث القدوس

كانت هذه مسيرة طويلة، لكن الضرورة اقتضت تناول الموضوع من كل زواياه، سداً لأبواب الجهل، وصداً للهجوم على علاقة الشركة الأبدية التي لنا في الثالوث.

ولعله يكون قد اتضح أن الهجوم على شركتنا في الثالوث، هو هجوم على مصير الإنسان الأبدي الذي دُعيَ "للتبني"، والذي ينال هذه العطية هنا، لكي تكمُل في الدهر الآتي بالجلوس عن يمين الآب مع الابن وفي الابن بالروح القدس.

كنا نتمنى ألَّا يتخذ دفاع الأنبا بيشوي عن الأنبا شنودة شكل الهجوم على النعمة بإنكارها، والعبث بالإيمان بخداع الألفاظ، وخلق أفكار لا وجود لها، بل تتعارض مع الثالوث الكائن والحاضر والمالئ الكل بالنعمة والبقاء الأبدي.

إن هذا –بكل أمانة– ليس أقل من ردة عن المسيحية الأرثوذكسية.

إن حقيقة "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، والتي عبَّرت عن تقوى أُم الشهداء، هي حقيقة لا تقبل التزييف، مهما قيل من أن دم المسيح صار ثمناً يُدفع للآب عن خطايا البشر، ومهما صارت الخطية محوراً يفسِّر ويشرح كل شيء في المسيحية؛ لأن هذا هو التزييف الحقيقي الذي لا يمكن أن يصمد في وجه الكلمة الذي صار إنساناً.

وماذا بعد يا سيادة المطران؟ لقد هدمت أساس الإيمان بالثالوث .. فأي طاقة أو قوة تلك التي تفحص أعماق الله، وأي طاقة أو قوة تلك التي تعلن لنا ما وُهب لنا كأبناء الله؟

في النهايـة، لعلـه يكـون قـد ظهـر بكـل وضـوح أن المطـران لا يـؤمن بالثـالوث المستعلَن في الابن، والذي يعطي لنا شركة في حياته بالروح القدس "روح التبني" (غلا ٤: ٤-٦).

الفصل السابع

قواعد تمييز هرطقة

الفصل بين الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية

واضحٌ مما سبق ما ارتكبه الأنبا بيشوي من اعتداء على أقانيم الثالوث، وفصلها عن قوتها أو طاقتها، وقصر عملها في التدبير على الطاقة أو القوة بحجة الخوف من التأليه وشركة الطبيعة الإلهية، وهو بذلك يكون قد فرَّغ التعليم المسيحي من معناه، وحول الحياة المسيحية إلى دعوة أخلاقية لا مجال فيها لعمل النعمة، وهذا أسوأ ما يمكن أن يصل إليه أسقف، مهمته الأساسية هي التعليم.

عورة التعليم المعاصر

وعورة التعليم المعاصر ظاهرة للأسباب الآتية:

* لأن الطاقة والقوة ليس لها إرادة، بينما الأقنوم يعطي إرادياً.

* لأن الطاقة والقوة لا يمكنها أن تعطى لأنها ليست شخصاً أو أقنوماً، بل الأقنوم هو العاطي أو الواهب.

* لأن الطاقة والقوة، إذا كانت أبدية، فهي إلهية، وهو ما أكده بالاماس (١٢٩٦ - ١٣٥٩)، وبالتالي ليست هي طاقة أو قوة خارج الجوهر أو أقانيم الثالوث.

* لأن البنوة ليست طاقة ولا قوة، بل هي عطية من روح الآب، وهي ليست إلَّا

العلاقة الشخصية بين الإنسان كشخص، والله المستعلَن شخصياً أو أقنومياً في الابن بالروح.

لكن لماذا هذا الهجوم المريع على أقنوم الروح القدس؟

ليس هناك من جواب إلَّا لكي تبقى زعامة وسلطة الأسقف، وبالتالي تسقط الحياة الأبدية والقيامة وميراث الملكوت والتبني. في حين أنه لو كان التعليم المعاصر يؤكد على أن كل هذه العطايا، هي شركة شخصية في حياة الثالوث، لتغيَّرت العلاقة تماماً في كل ما نعرفه عن الحياة الكنسية، بل وتعذَّر أيضاً الاستبداد.

الإفراز أو التمييز:

الفعل اليوناني *krinw* يعني حَكَمَ على شيءٍ معيَّن. ومن الفعل جاءت الكلمة *kritikos* أي التمييز بين الخير والشر، ومن الكلمة اليونانية جاءت كلمة نقد *criticism*

أعمدة التمييز الأربعة:

١- التمييز بين الخير والشر، وهو أساساً يعتمد على الوصايا، وعلى حقيقة كيانية، وهي أن الإنسان صورة الله. فالشر هو نسيان هذه الحقيقة. يقول أول لاهوتي الكنيسة الجامعة العلَّامة أوريجينوس: "إن الإنسان خُلِقَ من أجل نمو كيانه، ولم يخلق من أجل كائناتٍ أخرى. الكائناتُ الأخرى خُلِقَت لكي تخدم الإنسان. الإنسان خُلِقَ من أجل أن ينمو كيانه ككائن حيٍّ عاقلٍ. لا يُخلق من أجل الحيوانات أو زروع الأرض، بل من أجل أن ينمو" (شرح مزمور ١ مجلد ١٢: ١٠٨٩).

الشرُّ إذن هو جهل الإنسان بالصورة الإلهية.

٢- يصاحب التمييز بين الخير والشر، تمييز خفايا القلب ورغباته الدفينة.

٣- تمييز الأرثوذكسية من الهرطقة.

٤- تمييز الملائكة من الشياطين.

يهمنا في هذا المجال بالذات تمييز الأرثوذكسية من الهرطقة (الهرطقات)[١] .. تقوم أساسات هذا التمييز على:

١- تمييز عبودية الحرف من الحياة حسب الروح؛ لأن عبودية الحرف هي عودة إلى الشريعة القديمة باعتبارها الوسيط بين الله والإنسان. أما في العهد الجديد، فإن الوسيط الواحد هو يسوع المسيح ربنا. والشفيع الذي يقود إلى إدراك والاستنارة لمعرفة سر المسيح، فهو روح الآب حسب (رو ٨: ١٥).

٢- العبودية للحرف لها هدفٌ واضح، ولذلك فإن تمييز هذا الهدف ضروري، وهو -حسب عبودية الحرف- الابتعاد، بل إنكار المحبة الإلهية كأساس لكل ما جاء به العهد الجديد، وهو الخلاص الأبدي.

٣- البحث عن الوسطاء الذين نضعهم بين المخلِّص الأبدي يسوع المسيح، والوسائل الوقتية التي تجعلنا نظن أن أفكارنا هي حقائق أبدية وعلى سبيل المثال:

أ- فكرة زمانية مثل الإدعاء بأن يسوع مجرد نبي، فهو لا يعطي الحياة الأبدية.

ب- نظرية عقلية تجعلنا نجد فيها الدائرة التي تحدد عمل الثالوث، وتحاصر عمل الثالوث في معتقدات معينة مثل اعتبار الآب أعظم من الابن، أو أن الروح القدس أقل من الابن. ليست هذه مسألة اعتراف بكرامة، وإنما المساوي هو الذي يُشركنا في مساوي مثله. أما الأعظم والأقل، فهي مقاييس زمانية واجتماعية لا علاقة لها بالثالوث.

٤- قبول الصيغ التي لا أساس لها في الأسفار المقدسة، مثل إنكار وحدانية جوهر الثالوث؛ لأن إنكار وحدانية جوهر الثالوث تعني في النهاية تحديد مصير الإنسان بالبقاء خارج شركة الحياة الإلهية؛ لأن "الواحد، أي الآب يقود إلى الواحد، أي الابن، والواحد أي الابن يقود إلى الواحد، إي الروح القدس". والثلاثة معاً هم واحد في تمايُز؛ لأننا نتحد كلٌّ مع الآخر على أساس التمايُز بيننا، وعلى أساس التمايز بين الأقانيم.

---

(١) راجع في ذلك تفصيلاً كتابنا: الأرثوذكسية والهرطقة، منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الأساس الرسولي لتمييز هرطقة فصل الأقنوم عن الطاقة والقوة، واعتبارهما غير الأقنوم:

يقوم الأساس الرسولي لتمييز هذه الهرطقة على عمل الثالوث. يقول الرسول بولس عن عمل الثالوث:

- أنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد.
- أنواع خدم موجودة، ولكن الرب واحد.
- أنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل" (١كو ١٢: ٤-٦).

إذن،

- تنوُّع المواهب لا يعني تنوع الروح.
- تنوُّع الخدم لا يعني تنوع الرب.
- وكذلك الأعمال أيضاً، والسبب: الله واحد، فهو عامل أو فاعل كل هذا في كل أحد، والأساس الرسولي هو أن "الله بالحقيقة فيكم" (١كو ١٤: ٢٥).

وثمة موضوع هو أساس المسيحية برمتها وهو المحبة الثالوثية:

- الآب يحب الابن، ولذلك يدعوه "الابن الحبيب"، فهل تُعد المحبة طاقة أم قوة، أم هي حياة الله الآب نفسه؟
- إنها محبة شخصية، أي أقنومية؛ لأن الرب هو "ابن محبة الآب"، والأهم: "الله محبة".

وإذا قال الرسول: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو ٥: ٨)، فهل يعقل بعد أن يعلن الآب نفسه، ثم الابن نفسه، ثم يعطي الآب محبته لنا بالروح القدس، أن يخرج علينا من يقول إن الروح القدس فينا هو طاقة وقوة؟

يقول الرسول يوحنا: "مَن لا يحب أخاه يبقى في الموت" (١يو ٣: ١٤). والانتقال من الموت إلى الحياة هو "لأننا نحب الأخوة" (١يوحنا ٣: ١٤). والموت هو "لا

حياة أبدية ثابتة" (١يوحنا ٣: ١٥).

فكيف نحب؟

– الإيمان باسم الابن (١يوحنا ٣: ٢٣).

– ونحب بعضنا بعضاً كما اعطانا وصية (١يوحنا ٣: ٢٣).

– ومَن يحفظ وصاياه يثبت **فيه** وهو **فيه**، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا (١يوحنا ٣: ١٤).

ضياع المحبة الإلهية إذا تحولت المحبة إلى مجرد طاقة:

يقول الرسول يوحنا: "المحبة هي من الله" (١يوحنا ٤: ٧)، والباقي هام: "وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" (١يوحنا ٤: ٧). أليس هذا هو الميلاد من فوق: "من الماء والروح" (يوحنا ٣: ٣)، ولذلك ظهرت محبة الله فينا، فقد ولدنا من جديد، وأرسل الله ابنه الوحيد لكي نحيا به لا لكي نحيا بطاقة أو قوة ليست هي الحضور والعمل المباشر لأقانيم الثالوث (١يوحنا ٤: ١٠).

ولاحظ دقة التعليم الرسولي: إن أحب بعضنا بعضاً، فالله يثبت فينا ومحبته قد تكمَّلت فينا (قد وصلت إلى غايتها). ثم يالدقة الرسول: "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا "وبهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا **من روحه**" (١يوحنا ٤: ١١-١٣).

فالروح هو الذي يجعلنا نحب الآب والابن (١يوحنا ٥: ١)، فاذا تحولت المحبة إلى طاقة أو قوة ولم تعد هي علاقة المحبة الشخصية أي الأقنومية، فماذا يحدث لنا؟

يصبح الله نفسه طاقة أو قوة، وليس ثلاثة أقانيم هي المحبة الثالوثية. وإذا صار الله الذي فينا، والذي أعطانا من روحه، طاقة، فقد انعدم الإيمان بالثالوث. وحقاً الثالوث حسب التسليم الكنسي، غائب من وعي الأنبا شنودة والأنبا بيشوي أيضاً، ورغم أنه –بصدق– عاد عن التعليم بأن الثالوث هو الوجود والعقل والحياة، وهو التعليم الذي ابتدعه الأنبا شنودة، إلّا أنه لم يتجاوز بعد هرطقة سابليوس الذي أنكر التمايز بين

الأقانيم، **والبرهان** على ذلك هو من كتابة "مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية" (طبعة ٢٠٠٤) وسوف نتجاوز عن تعريف الأقنوم (ص ١٢) ولكن تأمل إجابته عن السؤال الثاني: ما هم الأقانيم الثلاثة؟

الجواب:

الأقانيم الثلاثة هم الآب والابن والروح القدس.

- فالآب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم.
- والابن هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأقنوم.
- والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقنوم (ص ١٢).

وسوف نتجاوز عن عدم الدقة اللفظية، ولكن على ص ١٣ يكتب:

- الآب هو الله من حيث الجوهر
- الابن هو الله من حيث الجوهر
- الروح القدس هو الله من حيث الجوهر
- والثلاثة يتساوون في الجوهر، والجوهر نفسه الإلهي هو في الآب والابن والروح القدس. ولكن الآب ليس هو نفسه الابن، وليس هو نفسه الروح القدس، وكذلك الابن ليس نفسه هو الروح القدس، وليس نفسه هو الآب، وكذلك الروح القدس ليس نفسه هو الآب، وليس نفسه هو الابن (ص ١٣)

وهنا يسقط المطران دون أن يدري في ثلاثة جواهر:

- الآب جوهر
- الابن جوهر
- الروح القدس جوهر

هو الله

ويعود ليقول: ولكن الآب ليس هو الابن، أو -حسب تعبيره- ليس هو نفسه (أو ذاته). ويطبَّق نفس الكلام عن الابن وعلى الروح القدس. ولكن الأقانيم ليست جوهراً فقط، كما ذكر هو، ولا الأقنوم = جوهر + أقنوم، فالأقنوم ليس إضافةً للجوهر كما ذكر هو أيضاً، بل الأقنوم هو تمايزٌ في الجوهر لا يضاف على الجوهر، هو ما هو

"خاص"، أو "معيَّن" في الحياة الإلهية التي هي جوهر الثالوث، حسب رسالة القديس باسيليوس إلى أخيه غريغوريوس عن الفرق بين الجوهر والأقنوم (الرسالة ٣٨ والرسالة ٢٣٦ إلى أمفلوخيوس).

ولكن يبدو من الواضح أن غموضاً لدى المطران بهذا الشأن، وإن كان لا يرقى إلى هرطقة سابليوس، إلَّا أنه يظل في غموض يدفعه إلى التمييز بين الأقنوم والطاقة.

التمييز العقيدي الضروري:

عندما نصلي، هل نصلي إلى طاقة، أم إلى الثالوث؟

نحن نصلي للابن، ونصلي للروح القدس: "أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق .. هلم تفضل وحِل فينا". فلو كان الذي نخاطبه، طاقةً؛ لأصبحت الصلاة للابن في كل القداس الغريغوري صلاةً لطاقةٍ أو قوة، والنتيجة المنطقية لذلك هي إنكار تجسد ابن الله واستعلانه في الجسد؛ لأن الصلاة هي عن الذي تجسَّد ومات وقام وصعد، بل وسيأتي "ليدين المسكونة بالعدل".

هذه ليست عبارات موجَّهة لطاقة أو قوة؛ لأن الطاقة لا تدرِك ولا تسمع ولا تقبل الصلاة.

والصلاة الربانية أيضاً ليست صلاةً لطاقةٍ، بل إلى الله الآب الذي أرسل روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً أبًّا أيها الآب" (غلا ٤: ٦).

وإذا تهوَّر أحدهم وقال إننا نخاطب طاقاتٍ ثلاث أو ثلاث قوى .. لكان الرد الحاسم عليه هو أن ذلك إنكارٌ للثالوث، وأن هذا الإنكار هو النتيجة الطبيعية لتعليم من أنكره وظلَّ طوال ٤٠ عاماً يعلِّم بأن الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة، بينما الآب هو آبٌ لأن له وجوداً وعقلاً وحياةً في ذاته، وكذلك الابن. وأيضاً الروح؛ لأن الوجود والعقل والحياة هي صفات الأقنوم الواحد، وهي صفات الجوهر الإلهي، أما الأقنوم فهو يملك صفة البنوة في الابن، والأبوة في الآب، والانبثاق

والتقديس في الروح القدس[١].

فإذا كانت الصلاة للأقانيم .. فهل ترسل الأقانيم قوة أو طاقات؟

أنا أعلم مقدار التشويش الذي أصاب عقولٌ كثيرة.

والجواب الحاسم والقاطع –عند الذين يقولون بفصل القوة عن الأقنوم– والذي يحاول تجنُّبه بعض الإكليروس، هو أن أقانيم الثالوث لا تعطي من ذاتها، أي من كيانها، بل تعطي ما هو مخلوق، أو فكرة مثل فكرة النعمة في بعض المذاهب الإنجيلية، فهي لديهم "معروف – *Favor*"، حيث يكتفي بعض الإكليروس بما هو "مجرد" بفكرة، وليس بعلاقة شخصية مع الأقنوم نفسه، وحسب زعم هؤلاء العلاقة ليست هي حتى شركة، بل هي مجرد "موهبة"، ثم أخيراً أضاف الأنبا بيشوي القوة والطاقة .. ونسى هؤلاء ثلاثة حقائق أساسية في التعليم الأرثوذكسي:

الأولى: إن عطايا الثالوث هي عطايا أبدية، وبالتالي هي ليست عطايا تأتي من مصدر آخر أو ينبوع آخر غير الثالوث.

هكذا شرح القديس اثناسيوس عمل الثالوث في الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس.

> "الآب يدعى ينبوعاً ونور لأنه يقول تركوني أنا ينبوع المياه الحية (أر ٢: ١٣) (يوحنا ١يو ١: ٥).
>
> وأما الابن فمن جهة علاقته بالينبوع يُدعى نهراً "نهر الله ملآن ماء" (مز ٦٤: ٩) ومن جهة علاقته بالنور يدعى اشعاعاً – إذ يقول بولس "الذي هو شعاع مجده ورسم جوهره" (عب ١: ٣). ومن ثمَّ، حيث أن الآب نور والابن هو شعاعه فلا ينبغي أن نتحاشى تكرار نفس الأشياء ... يمكننا أن نرى في الابن "الروح الذي به نستنير "لكي يعطيكم روح الحكمة والاعلان في معرفته

---

(١) راجع بالتفصيل دراستنا بعنوان: الثالوث، هل هو صفات الوجود والعقل والحياة؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

مستنيرة عيون قلوبكم" (أفسس ١: ١٧-١٨) (١: ١٩).

هل توقف أثناسيوس العظيم عند مجرد شرح الثالوث. أبداً، بل هو يتابع الشرح: كيف يعطي المصدر – الينبوع للبشر؟

"حينما نستنير بالروح، فالمسيح هو الذي ينير فيه" (أي في الروح) لأنه يقول "كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً إلى العالم" (يوحنا ١: ٩)" (المرجع السابق، ١: ١٩ ص ٦٦ الترجمة العربية).

وهل توقف عند ذلك؟ أبداً:

"لذلك نقول إننا نشرب الروح (ولم نشرب الطاقة) لأنه مكتوب "جميعنا سقينا روحاً واحداً" (١كو ١٢: ١٣). وحينما نشرب الروح، فإننا نشرب المسيح "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١كو ١٠: ٤)" (المرجع السابق).

واضح أن التعليم ليس عن طاقة ولا عن قوة، بل عن الأقانيم. ويجب أن نضيف ما يذكره المعلم الرسولي حقاً:

"بالإضافة إلى ذلك، كما أن المسيح ابنٌ حقيقي، فإننا عندما نأخذ الروح نصير أبناء. لأن الكتاب يقول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني" (رو ٨: ١٥). وإن كنا قد صرنا بالروح أبناء، فواضح أننا في المسيح ندعى أولاد الله؛ لأن "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يوحنا ١: ١٢)" (المرجع السابق).

* الآب هو الحكيم – المسيح قوة الله وحكمة الله (١كو ١: ٥٤)، فكيف يشرح أثناسيوس صفة الحكمة في الآب والابن والروح القدس؟

"فإننا إذ نأخذ روح الحكمة؛ **نملك الابن** وبه نصير حكماء (مزمور ١٤٥: ٧-٨ س) وحينما يعطي لنا الروح القدس قال المخلص: "اقبلوا الروح القدس" يقيم (يسكن الله) الله فينا" (راجع ص ٦٦-٦٧ من المرجع السابق).

وبعد ذلك يقدم برهان المحبة الالهية عن سكنى أو إقامة الله فينا؛ لأننا لم نُحسب هيكلاً لقوة أو طاقة، بل الله. ولعل المطران يخجل من هذه الكلمات للمعلم الرسولي:

"إن أحب بعضنا بعضاً، فالله يقيم فينا، بهذا نعرف أننا نقيم فيه وهو فينا، لأنه أعطانا من روحه" (١يوحنا ٤: ١٢-١٣) وحيث أن الله كائن فينا، يكون الابن فينا "لأن الابن نفسه قال: "الآب وأنا نأتي إليه ونصنع عنده منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣)" (المرجع السابق ص ٦٧).

ولعلك تلاحظ يا سيادة اللاهوتي الكبير:

"الابن هو الحياة .. أنا هو الحياة" (يوحنا ١٤: ٦).

فإننا نحن أيضاً سنُحيا بالروح؛ لأنه يقول "الذي أقام المسيح من بين الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١) وحيث أننا نصبح أحياء بالروح، فالمسيح نفسه يحيا فينا لأنه يقول: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠) (المرجع السابق ص ٦٧).

ولعل هذه العبارات التالية تحل مشكلة المطران:

"قال الابن إن الأعمال التي عملها هو، عملها الآب؛ لأنه يقول: الآب الحال فيَّ (وليس الطاقة) هو يعمل أعماله. صدقوني أنا في الآب والآب فيَّ، وإلَّا فصدقوني بسبب أعماله" (يو ١٤: ١٠-١٢). وهكذا أيضاً قال بولس إن الأعمال التي عملها **بقوة** الروح هي أعمال المسيح (وقبل القفز على كلمة قوة، اقرأ كلمات الرسول بدقة إن كان لديك محبة للحق وللأرثوذكسية. يقول الرسول بولس): لأني (أنا بولس) لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما يفعله المسيح (وليس الطاقة، بل الرب نفسه) بواسطتي .. بقوة الروح القدس (رو ١٥: ١٨-١٩) (المرجع السابق ص ٦٧).

التمييز العقيدي حسب التسليم الآبائي المسلَّم لنا في رسائل أثناسيوس إلى سرابيون:

"١- حينما يوجد الروح فينا، يقال أن الابن فينا.

٢- حينما يقال إن الابن فينا .. فالآب فينا؛ لأن الثالوث واحد" (الرسالة الأولى إلى سرابيون ٢٠ ص ٦٨).

٣- قداسة واحدة مستمدة من الآب بالابن في الروح القدس (١: ٢٠ ص ٦٩).

٤- القوة الحيوية والعطية التي بها يقدس ويضيء الثالوث، هي واحدة كاملة وتامة وهي "تنبثق من الآب لأنها من الكلمة" ... وتعطى بالروح القدس (راجع صفحات ٦٩-٧٠).

٥- الروح هو روح القداسة والتجديد يقدِّس كل المخلوقات وتشترك المخلوقات في قداسته (١: ٢٢-٢٣ ص ٧٢-٧٣).

ولكي لا يدمر المطران سر مسحة الميرون، يقول أثناسيوس الرسولي:

٦- "الروح يدعى مسحة وهو الختم (١يوحنا ٢: ١٧) (الاسم الخاص بمسحة الميرون حسب طقس كل الكنائس الأرثوذكسية)، والمخلوقات تُختم وتُمسح بواسطته وتتعلم منه كل شيء" (١: ٢٢ ص ٧٤).

٧- "المسحة والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات، بل من طبيعة الابن الذي يوحِّدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه (١يوحنا ٤: ١٣)" (١: ٢٤ ص ٧٥).

عطية التبني:

عطيةُ التبني؛ لأن التبني ليس قوةً ولا طاقة، بل هو عمل الأقانيم الثلاثة، وليس عمل أقنوم واحد فقط. والتبني عطية لا تأتي من فراغ، بل من حياة الآب والابن والروح القدس.

يقول القديس كيرلس السكندري في شرح إنجيل يوحنا (١: ٩ -LF-43: 105-106):

"لماذا يقول إن الذين دُعُوا بسبب الإيمان بالمسيح "أبناء الله"، وهم الذين خلعوا طبيعتهم الضعيفة وتزيَّنوا بنعمة من أعطاهم هذه الكرامة، كما لو كانوا يلبسون رداءً فخماً، لأنهم يرتفعون إلى كرامة فوق طبيعتهم. هم ليسوا بعد أبناء الجسد، بل ذرية الله ***off spring*** بالتبني. ولاحظوا كيف -بدقةٍ بالغة- يعبِّر الإنجيلي المبارَك؛ لأنه عندما أراد أن يقول إن الذين "ولدوا من الله"، فقد احتاج أن يدقق ويحذِّر. لقد فعل ذلك حتى لا يأتي شخصٌ يقول مفترضاً أن الذين "ولدوا من الله" ولدوا من جوهر الله الآب، ويستنتج من ذلك أن هؤلاء هم مثل الابن الوحيد (مولودون من جوهر الآب)، أو يظنون خطأً أن "منه" أي الابن، لا تخصه هذه العبارة الخاصة به وحده "قبل كوكب الصبح ولدتك" (مزمور ١١٠: ٣ س). لأن الذين يتخيلون هذه المساواة التامة يحقرون الابن ويجعلونه أحد المخلوقات لأنهم يظنون أنه توجد ولادة واحدة للكل، لذلك احتاج الإنجيلي إلى هذا التحذير الزائد عندما قال "أعطاهم سلطاناً" منه، أي من الذي هو بالطبيعة الابن لكي "يصيروا أولاد الله". وقدم أولاً ما هو بالتبني وبالنعمة؛ لأنه بدون أي تشويش آخر أضاف: "ولدوا من الله". وقد فعل هذا لكي يعلن النعمة العظمى التي أُعطيت لهم لأنه (الابن) جمعهم فيه إلى ***oikeioteta physiken*** قرابة (قرابة العائلة الواحدة) الطبيعة التي هي غريبة على طبيعة الله الآب، ولكنها رُفعت إلى مكانة ربها من خلال محبته النارية للجنس البشري".

والتبني ليس ولادةً من جوهر الله. ويلاحظ القديس كيرلس الأورشليمي أن ولادة الابن من الآب هي ولادة حقيقية من ذات جوهر الآب. إنها ليست ولادة معنوية أو شرفية مثل انتساب ابن إلى أب روحي، بل هي ولادة حقيقية، أما ولادتنا نحن فهي بالتبني أو بالنعمة (تعليم الموعوظين ١١: ٩). وإذا أسقطنا النعمة إلى مجرد علاقة شرفية، فإن زئير أسد كبادوكية الناطق بالإلهيات يقول:

"لقد طهَّرنا لكي يجعلنا مثل الله؛ لكي إذا ما أصبحنا مثله آلهة (حرفياً الله) يستطيع الله – وهذه جسارة في التعبير – أن يخاطبنا نحن كآلهة.." (مقالة ٣٨: ٧).

حسب الأرثوذكسية – أي ارثوذكسية الآباء – يجب أن نقرأ عبارات القديس كيرلس السكندري التالية:

"أموت عن الجميع لكي أُحيي الجميع فيَّ. جعلتُ جسدي فديةً للكل؛ لأن الموت مات بموتي، ومعي سوف يقوم الكلُّ مرةً ثانيةً، أي الطبيعة الإنسانية الساقطة. لهذا السبب صرت مثلكم، أي إنساناً من ذرية إبراهيم لكي أكون مثل إخوتي في كل شيء (عب ٢: ١٧) .. لم تكن هناك وسيلةٌ لإبادة الموت ذاته، ما لم يكن المسيح قد قدم ذاته فديةً عن الكل. الواحد من أجل الكل. قدَّم المسيحُ جسده عن حياة الكل، وأيضاً لكي بهذا الجسد عينه، تحلُّ الحياةُ فينا جميعاً. الآن سوف أحاول أن أقول لكم كيف؟ الله الكلمة الواهب الحياة حلَّ في الجسد، وحوَّل جسده إلى صلاحه الذاتي، أي الحياة، وبواسطة اتحادٍ يفوق الإدراك، وفي جسده يأتي إلينا معطياً الحياة التي تخصه هو بالطبيعة. بهذا جسد المسيح يعطي الحياة لنا كلنا الذين نشترك فيه؛ لأنه يطرد الموت عندما يعطي للمائتين ويبيد الفساد؛ لأن (جسد المسيح) مملوءٌ تماماً من الكلمة الذي أباد الفساد" (شرح انجيل يوحنا ٤: ٢ المرجع السابق ٤٣: ٤٠٩–٤١٠).

روح الابن الذي أرسله الآب (غلا ٤: ٤-٦):

- الروح القدس هو الذي كوَّن إنسانية الابن في البتول.
- الروح القدس هو الذي مسح الابن المتجسد بعد صعوده من مياه الأردن.
- الروح القدس هو الذي به قدم الابن ذاته ذبيحة (عب ٩: ١٣-١٤).
- الروح القدس أقام يسوع من بين الأموات (رو ٨: ١١).

فالروح إذن شريكٌ للابن في تدبير الخلاص، ولذلك يكتب القديس كيرلس السكندري قائلاً:

> "عندما نقبل الروح، فإن هذا هو برهانٌ على أن لنا شركة، بل شركاء في الطبيعة الإلهية، وبالروح يأتي الآب إلى قلوبنا بواسطة الابن وبالابن، وبالإضافة إلى ذلك كتب يوحنا لنا عن الروح: "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا لأنه أعطانا روحه (راجع ١يوحنا ٤: ١٣). أليس هذا ما يقوله بولس أيضاً: "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبًّا ايها الآب" (غلا ٤: ٦)؟ ولو افترضنا أننا بدون شركة الروح، فإننا لن نعرف أن الله فينا. وإذا اغتنينا بالروح الذي يجعلنا في مرتبة الأبناء، فإننا بدون الروح لن نكون أبناء الله .. نحن نصبح هياكل الله لأن الابن الوحيد قدَّس نفسه لأجل خطايانا، أي أنه قدَّم ذاته ذبيحةً مقدسةً ورائحةً ذكيةً لله الآب (رو ١٢: ١) (شرح انجيل يوحنا ١٠ — ٤٨: ٣٧ - راجع أيضاً القديس أثناسيوس الرسالة الثالثة إلى سرابيون عن الروح القدس).

وفي العظة الأولى على العنصرة لذهبي الفم، يظهر أن عمل الروح القدس هو استعلان وإعطاء البنوة وكل ما يخص المسيح لنا. يقول ذهبي الفم:

> "إذا لم يكن للروح وجودٌ، لن نستطيع أن نقول إن يسوع هو الرب لأنه لا يقدر أحد أن يقول إن يسوع رب إلَّا بالروح القدس (١كو ١٢: ٣). إذا لم يكن للروح وجودٌ، فإننا نحن المؤمنين لن نستطيع أن نصلي إلى الله. ولكن في

> الحقيقة صرنا قادرين أن نقول: "أبانا الذي في السموات" (متى ٦: ١٩)، مثلما نستطيع أن ندعو يسوع ربنا، ولذلك نستطيع أن نقول لله أبانا. من الذي يبرهن على هذا؟ الرسول عندما يقول: "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبًّا ايها الآب" (غلا ٤: ٦) لهذا السبب عندما ندعو الله "أبانا"، فإننا نتذكر أن الروح لَمَسَ نفوسنا لكي نكون مستحقين أن ندعو الله بهذا الاسم "أبانا" (١: ٤ مجلد ٥٠: ٤٥٨).

ألا يذكرنا هذا بأن خاتمة صلوات القسمة في الكنيسة أم الشهداء، بل وقبل ذلك "أن نكون مستحقين أن نقول بشكر أبانا الذي في السموات"، هو شكرٌ على عطية التبني؟

وبعد،

هل الصلاة والشركة وتناول جسد الرب ودمه، ونداء الآب "أبانا"، وتحولنا إلى هياكل الله، لأن الروح القدس يسكن فينا، هل بعد هذا يصبح الأُقنوم هو غير الطاقة والقوة؟

في النهاية لا بُد وأن نسأل أنفسنا بعض أسئلة ضرورية لإقرار الإيمان:

- هل نحن هياكل للطاقة؟ عجبي ..

- هل نحن نأخذ طاقة المسيح، أم جسده ودمه وألوهيته؟

- هل نحن شركاء الطاقة، أم شركاء الروح (عب ٦: ٣).

- ألا يُعد هذا المطران هرطوقياً؟ فقد مزَّق الأقنوم، وفصله عن عمله، وقد جعل من الأقنوم طاقةً، وبالتالي لم يعد هو الأقنوم العامل.

لم يعُد الأقنوم هو الذي يوزع جسده ودمه، ولم يعد الأقنوم هو مانح المواهب،

ولم يعد لنا اتحادٌ شخصيٌّ بالثالوث، بل اتحاد بطاقة ليست هي الثالوث.

يا ليتك ترجع وتعود إلى الإيمان الأرثوذكسي؛ لأن خدمة السرائر هي خدمة أقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس.

الآب يعطي بالابن، والروح يوزِّع بذاته، أي بإرادته وبشخصه، أي بعمله المباشر. أما الطاقة والقوة بلا أقانيم، فهي تهدم الكهنوت.

ملحق الباب الثاني[١]

الخداع اللغوي،

السبيل إلى فقدان الإيمان والحياة الأبدية

"الرد على تُرَّهات الأنبا بيشوي مطران دمياط"

(١) مقال سبق نشره على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في مارس ٢٠١٤.

لماذا هذه الدراسة؟

في محاولته للدفاع عن المتنيح الأنبا شنودة الثالث، يستخدم الأنبا بيشوي مطران دمياط، براهين لغوية جوفاء بلا قيمة، من شأنها أن تخدع القارئ، وتؤدي –دون أن يدري– إلى فقدان الإيمان والحياة الأبدية، وهو ما غاب عنه في حمَّى العراك والصراع؛ لأننا إذا فقدنا الحياة الأبدية، لن يتبقَّ لنا شيءٌ يمكن أن يعطي لنا رجاءً في المثابرة. فقد نشر نيافته مقالاً بعنوان الرد على هجوم ضد مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث بخصوص مقال ورد في مجلة الكرازة في مايو ٢٠٠٧ بعنوان "عودة إلى موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية". وذلك رداً على هجوم –مَن قال إنهم يسمون أنفسهم بالشباب القبطي– على البابا شنودة الثالث معلم الأجيال والمدافع عن الإيمان الأرثوذكسي وأثناسيوس القرن العشرين والواحد و(عشرين) وثالث عشر الرسل، (هكذا وصف هو الراحل المتنيح البابا شنودة). وقال إن رسالتهم تتضمن أسلوب وشروحات لها اتجاه د. جورج بباوي في مهاجمة تعليم قداسته (يقصد البابا شنودة)، وفي تزييف ترجمة أقوال الآباء القديسين الأُوَل. وأنه أعد هذا الرد ونشره حمايةً للعقيدة الأرثوذكسية السليمة.

بدايةً، نحن لن نرد على ما هو موجَّه إلينا من اتهامات شخصية، بل نغفرها له كما غفر الرب لصالبيه؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. أمَّا ما جاء في المقال ومتعلق بالإيمان، فذلك شأنٌ آخر.

والمطلع على هذا المقال يجد أن الأنبا بيشوي يورد نصوصاً لبعض الآباء قال إن مَن يدعون أنفسهم بالشباب القبطي ترجموها، وأن هذه الترجمة ترجمة خاطئة، وأورد هو ما قال عنه إنه الترجمة السليمة التي تتفق مع تعاليم البابا شنودة الثالث في موضوع شركة الطبيعة الإلهية، وبالتالي يكون تعليم البابا شنودة الخاص بنص ٢ بط ١: ٤ "شركاء

الطبيعة الإلهية" متفقاً مع تعليم الآباء، وذلك من خلال ردود متعلقة بثلاث عبارات للبابا شنودة، يقول في أولها: "يدَّعي البعض أن علاقتنا بالروح القدس عبارة عن شركة في الطبيعة الإلهية". والعبارة الثانية ينتهي فيها البابا شنودة إلى القول: "إذن الروح القدس في حلوله علينا ليس لتأليهنا، بل لمساعدتنا". والعبارة الثالثة يقرر فيها البابا شنودة: "إن حلول الروح القدس علينا هو حلول نعمة وليس حلولاً أقنومياً".

وأول ملاحظة لنا على هذا المقال، هي أن ما ورد فيه هو -في الأساس- هجومٌ سافرٌ على الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس، أقنوم الروح القدس، وإنكارٌ لعمله في البشرية المفتداه في المسيح يسوع، وفي الكون، وأن ما وراء هذا الهجوم هو الجهل المطبق بأسس الإيمان المسيحي، وعمل الله الثالوث في التدبير، بل الأدهى والأمر هو الجهل المطبق بطبيعة العلاقة بين أقانيم الثالوث، وأن علاقة الآب والابن والروح القدس كأقانيم في الثالوث، تختلف جذرياً عن علاقة الثالوث بالإنسانية في التدبير.

والملاحظة الثانية على هذا المقال، هي المنطلق اللغوي الذي بنى عليه الأنبا بيشوي دفاعه عن المتنيح البابا شنودة. وكنا قد كتبنا فصلاً كاملاً في كتابنا "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"[١]، بعنوان: "الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي"، تعرضنا فيه لهذه القضية، وانتهينا فيه إلى أن فقه اللغة ليس قاعدةً لاهوتيةً تفسر العقيدة أو تشرح الإيمان، بل ونبهنا إلى خطورة هذا المنهج، ولكن يبدو أن الأنبا بيشوي لا يقرأ إلّا ما يتفق وما يهوى. فإذا ما أعاد الأنبا بيشوي تفسير نصوص الكتاب المقدس على أساس وجود حرف جر أو عدم وجوده في نصٍّ ما، دون الأخذ في الاعتبار أساسات الإيمان والمحتوى الشامل للإيمان المسيحي الأرثوذكسي، يكون قد خرج عن دائرة التسليم الرسولي، حتى لو كان تفسيره اللغوي صحيحاً، وهو افتراضٌ لا مكان له، ولكن مع الفرض الجدلي بصحته، فهو يصطدم بما هو ثابت ولا خلاف عليه، وهو أن الله -في

---

(١) راجع كتابنا، موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٣٤١ وما بعدها، منشور على موقع www.coptology.com

العهد الجديد- مُعلَنٌ في شخص الابن، لا في نصٍّ أو في كتاب يخضع للتحليل اللغوي.

إذن فالقضية ليست قضية لغة، وليست قضية حرف جر معين أو حرف جر آخر، وإنما هي التعبير الصحيح عن الإيمان حسبما هو ثابتٌ في التسليم الكنسي المدوَّن في كتب الكنيسة، وأولها كتب الخدمات الكنسية الخاصة بالسرائر. لذا، فالمطلع على مقال الأنبا بيشوي يلاحظ ولأول وهلة، أن تركيزه على عدم وجود حرف الجر "في" في نص معلمنا بطرس السابق الإشارة إليه، جرَّه إلى إنكار عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية، ونسبة هذا العمل إلى شبحٍ، أسماه مرةً "طاقةً"، ومرةً أخرى "قوة"، وثالثةً "نعمة"، وهو ما يُعتبَر من قبيل اختراع آلهة لا علاقة لها بالثالوث، فهي مجرد إحلال ألفاظ محل الأقانيم، الأمر الذي يترتب عليه تحوُّل العمل الإلهي إلى لفظ، وهذا أبشع ما يمكن أن يقع فيه إنسان ينتسب إلى المسيحية الأرثوذكسية.

على أن **ثالثة الأثافي** هي جنوحه إلى تطبيق هذا الخيال الجامح على علاقة أقانيم الثالوث ببعضها البعض، وجعله هذا ينسب إلى القديس كيرلس ما لم يقله، ولا يمكن لأحد أن يتخيل أن يقوله عمود الدين. ففي ص ١٦ من المقال المذكور، يقول الأنبا بيشوي: "ومن الواضح أن القديس كيرلس أيضاً يتكلم عن استقبال الروح القدس للطاقة من الآب والابن، وأشار إلى المعرفة والقدرة ... **وهذه ليست أنه يستقبل الجوهر الإلهي أو الطبيعة الإلهية من الآب والابن، لذلك نحن نؤمن بانبثاق الروح القدس من الآب وحده، ولكن نعلم أن القديسين قد تكلموا عن الطاقة الإلهية وليس الجوهر أنه صادر من الآب من خلال الابن في الروح القدس**، ولا يجوز الخلط بين الانبثاق الأزلي والنعمة الممنوحة في إرسال الروح القدس للكنيسة في الزمن بداية من يوم الخمسين".

ورغم تحذيره الوارد في نهاية عبارته التي أثبتناها بعاليه، إلَّا أن التشوُّش وعدم وضوح الرؤية في ذهن المطران سبب خللاً واضحاً في صياغة هذه العبارة بالذات، جعله يقع فيما حذَّر منه، أي الخلط الواضح بين عمل الأقانيم في علاقتها بالخليقة، وعلاقتها

بعضـها ببعض، فقـد تخيـل أنـه يـدافع عـن انبثـاق الـروح القـدس مـن الآب فقـط، ولكنـه عندما قال إن الروح يستقبل الطاقة من الآب والابن، أنكر في الحقيقة تمايُز الروح القدس بالتقديس، وهو الصفة الأقنومية الخاصة بالروح القدس، وهنا ظهر أنه لا يعرف كيف يميِّز بين عمل الثالوث في شركة أزلية، وعمل الثالوث في التدبير. كما تخيل أننا نؤمن بأن الروح القدس منبثقٌ من الآب فقط، لأن الروح القدس يستقبل الطاقة من الآب والابن، ولا يستقبل الجوهر الإلهي أو الطبيعة الإلهية منهما. وهو قولٌ يعني أن قائله لا فكرة لديه على الإطلاق عن عقيدة الثالوث والإيمان المسيحي بالثالوث القدوس.

إن القاعدة الشهيرة لدى الآباء، والتي وردت عند القديس أثناسيوس في رسائله إلى سرابيون: "كل شيء من الآب في الابن بالروح القدس"، هي القاعدة التي تلخص علاقة الثالوث بالخليقة في التدبير، وهي تعني أيضاً -وهو ما تاه تماماً عن ذهن المطران- وحدة عمل الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، في حين أن عبارة المطران تشي بأن هناك تراتبية غير موجودة في الثالوث القدوس والمساوي. وأن الروح القدس ليس له ذات طبيعة الآب؛ لأنه لو كان له هذه الطبيعة لتساوى مع الآب في القوة والطاقة، ولذلك هو يستقبل الطاقة من الآب والابن، وهو قولٌ يطرح التساؤل عن مدى صحة إيمان الأنبا بيشوي بعقيدة الثالوث.

على أننا فضَّلنا أن يجيء ردُّنا على هذا المقال في دائرة أكمل وأشمل، وهي دائرة التدبير الذي تُظهِر حماقة ما يقال، دون الالتجاء إلى إثبات أيُّنا أصحُ ترجمةً -رغم أنه لا علاقة لنا بما قال إن الشباب القبطي، وليس نحن، قاموا به، وبالتالي يكون الزَّجُ بنا في هذا المعترك، يكشف عما يكنه لنا المطران من مشاعر- لأن الاختلاف على ترجمة نص من هنا ومن هناك، هو إضاعة للوقت والجهد، ولا طائل من وراءه؛ لأن عدد الذين يعرفون اللغة اليونانية وسط شعبنا عدد قليل، وهؤلاء يعرفون -بالتأكيد- أخطاء المطران. إضافةً إلى أن المسيحية -وهذا هو الأهم- ليست ديانة شريعة ونصوص، بل هي بشارة حياة، فلا يجب أن نسقط في الفخ الذي نصبه الأنبا بيشوي، فنُخضِع الإيمان المسيحي إلى فقه اللغة، لا لعلاقة شخص ربنا يسوع بالإنسانية.

القسم الأول

ما هو جوهر الخلاف،

ولماذا ترك هو وغيره عقيدة الثالوث؟

أولاً: ما هو جوهر الخلاف؟

لا ينحصر الموضوع في وجود حرف الجر "في"، أو عدم وجوده في نص الرسالة الثانية لمعلمنا بطرس الرسول ١: ٤، بل جوهر الخلاف هو:

عطية الخلود – الحياة الأبدية – القيامة من الأموات

* الخلود خاصٌ بالله بنصٍ واحدٍ صريح في (١ تيمو ٦: ١٦ "الذي له وحده عدم الموت").

* والحياة الأبدية: ليست صفةً ولا هي قدرة في الإنسان، بل "تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١).

* "إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم (من أجل حياة العالم)" (يو ٦: ٥١).

* أمَّا القيامة من الأموات، فيقول عنها رسول الرب: "إن روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١).

- هل هذا عمل طاقة؟

- هل التبني الذي يُعطى في سر المعمودية هو طاقة؟

إذا أجبتَ بنعم، تكون قد قضيت على الخلود — الحياة الأبدية — القيامة من الأموات.

لأن هذه هي هبات الابن في الروح القدس.

وأمَّا عن القوة والطاقة —يا باشمهندس- فيقول الرب يسوع نفسه بفمه الإلهي: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فهل يمكن إذن فصل الطاقة أو القوة عن الروح القدس؟

كنت أرجو ألَّا تقع في هذا الخطأ الشنيع، فتكون بهذا قد جعلتَ من الطاقة إلهاً يعطي الخلود — الحياة الأبدية — القيامة من الأموات. وجعلت للطاقة إرادةً، وهو ما سقط فيه من قبلك أستاذك الأنبا شنودة الثالث عندما حوَّل أقانيم الثالوث إلى صفات: الوجود — العقل — الحياة، فصار الوجود يُرسِل، وصار العقل يُحِب، وصارت الحياة تقدس السرائر!! وهكذا يكون لدينا ثلاثة آلهة أخرى، أو بالحري صورة حديثة من بدعة سابيليوس؛ لأن الوجود والعقل والحياة هي بدعة سابيليوس وقد عادت إلينا في ثوب جديد، حيث الآب هو الوجود والابن هو العقل والروح هو الحياة، وهذه الصفات الثلاثة هي صفات شخص واحد، يجب أن يكون موجوداً وحياً وعاقلاً، وبالتالي ليس هذا إلَّا ثالوث سابيليوس (سابيليوس أنكر أقانيم الثالوث).

ثانياً: ما هي نتيجة الغرام بفقه اللغة؟

أرجو من الأنبا بيشوي أن يدرس كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس ليرى أن غرامه بحروف الجر سوف يجر عليه كثيراً من المآسي، سبق أن وصفها القديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس، فقال:

"إن تطرف هؤلاء الناس يظهر في التدقيق حول الألفاظ والكلمات ... فهو ينطوي على قصد مظلم وماكر موجَّه ضد الإيمان الصحيح" (ف٢: ٤).

وفي ذات الفصل، وعن ذات الاهتمام بالحروف والكلمات، يقول:

"إنهم يثرثرون كثيراً حول الحروف لكي يدعِّموا رأيهم الخَرِف".

وعن المعنى الحرفي يقول معلمنا القديس باسيليوس:

"لأن كل من يقف عند المعنى الحرفي، ويشغل نفسه بحفظ الشريعة، يصبح كمن صار قلبه مغلقاً بالمعنى الحرفي اليهودي" (ف ٢١: ٥٢).

التقديس:

إذا لم يكن التقديس شركةً في الله، وإذا كان حرف الجر (في) الذي سبب لك ولكل الفقهاء الذي أسلموا اللاهوت المسيحي، وطبقوا عليه قواعد فقه اللغة، فهل غاب حرف الجر (في) عن الشركة **في** قداسة الله؟

يقول القديس بولس عن تأديب الله إنه من أجل المنفعة "لكي نشترك **في** قداسته" (عب ١٢: ١٠). وإذا كان حرف الجر "في½-" غاب هنا؛ فلأن حرف الجر "ÄRÂ" هو أقوى في التعبير عن الفعل السابق، وهو حرفياً يعني يأخذ أو ينال:

¼µÄ±»±² µ¯½Ä®Â±³¹Ì Ä Ä¿ Â±ÅÄ¿Í

ولعلك، إن كنت تعرف اللغة اليونانية، أقول لعلك تدرك من اليونانية أن العبارة خاصة بقداسة الله الذاتية ±ÅÄ¿Í أي الأقنومية أو الشخصية. وإذا قلنا الأقنومية، فهذا حقٌ لا يجب أن يُحارَب؛ لأننا نريد عودتك إلى الإيمان، نريد لك الحياة لا الدينونة؛ لأنه ليس منا من يفتخر بأنه حديدي، أو أنه جزار يشوي الآخرين، نريدك أن تدرك قداسة الروح القدس؛ لأن الرب في كلامه للرسل قال: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢)، وهو نفس الفعل السابق في (عب ١٢: ١٠).

أمَّا ما يذكره القديس باسيليوس، فهو ما يجب أن يُكتب بغض النظر عن اتهامات الأنبا بيشوي؛ لأننا لا نكتب له، بل لكل الإخوة. وحسب ترتيب فصول كتاب الروح القدس، يقول المعلم الكنسي (بالفعل) لكل الكنيسة الجامعة، لا معلم الأجيال الذي لم ينل هذا اللقب إلَّا من قناة فضائية ومن مذيع واحد بعينه لم يدرس اللاهوت ولا التاريخ:

> "اتحاد الروح بالنفس (لاحظ حرف **ب**) يحدث عندما تختفي الأهواء التي تنمو في النفس بسبب اتحادها ومحبتها للجسد ... أمَّا الذين يتقدمون فهو يكللهم. يشرق على الذين تطهروا ... هكذا النفوس التي يسكن **فيها** الروح القدس وتستنير به" (ف ٩: ٢٣).

استعادة حياتنا السابقة في الفردوس

> "بالروح القدس استعدنا سُكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى رتبة أو مكانة البنوة، وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب (غلا ٤: ٤ – ٦)، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور، وميراثنا في المجد الأبدي ..." (ف ١٥: ٣٦).

فهل لدينا من يريد أن نخرج من الفردوس مرة ثانية، ونُطرد مثل آدم ولا نلحق حتى باللص الذي آمن؟ لماذا هذا الهدم المريع؟!

تقديس القوات السماوية

يتكلم ق باسيليوس في فصل ١٦ كله عن تقديس القوات السماوية:

"فالقوات النقية العاقلة التي تفوق الخليقة الظاهرة هي مقدسة وتظل كذلك لأنها تنال نعمة التقديس بواسطة الروح القدس" (ف ٣٨).

"وعليك أن تعتقد بثلاثة: الرب الذي يعطي الأوامر، والكلمة الذي يخلق، والروح الذي يثبِّت. وما هو التثبيت سوى التكميل بالتقديس. والتكميل بالتقديس يعني الثبات وعدم التغير والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القدس، وقوات السماوات ليست مقدسة بطبيعتها، فلو كانت مقدسة بطبيعتها فلا يصبح بينها وبين الروح القدس فرق" (ف ٣٨).

والتقديس يا سيادة المطران العلامة، يقول عنه باسيليوس الكبير حقاً في نفس الفصل:

"يأتي إليهم من خارج طبيعتهم، ويُبَثُّ فيهم كمالهم بشركة الروح القدس"

ولذلك يضيف:

"لو افترضت أنك أزلت الروح القدس، تنحل قوات الملائكة، وتهلك الكراسي ورؤساء الملائكة، وكل شيء يسقط في الفوضى، وتصبح حياتهم بلا شريعة، ولا طقس يميز خدمتهم ..." (ف ٣٨).

سقوط الشياطين هو فقدان شركة الروح القدس

فإذا فقدنا شركة الروح القدس، عدنا إلى رتبة الأرواح النجسة فاقدة التقديس، وفاقدة العلاقة مع الله. الأمر جد خطير، وليس تمريناً على فقه اللغة وقواعد الإعراب.

"ما يمكن أن تقوله الأرواح الشريرة: (ملعون يسوع ١ كور ١٢: ٣) المعادية، وسقوطهم يؤكد أن القوات غير المنظورة هي حرة وأن القوات الساقطة في حالة اختيار بين الفضيلة والرذيلة، ولذلك تظل بحاجة إلى معونة الروح القدس لكي تثبت في التقديس، ولأنها لا تنال هذه المعونة تفقد حريتها" (ف ٣٨).

رؤية الله

نحن نرى مع القوات السماوية وجه الآب بالروح القدس، ولذلك يسأل باسيليوس الكبير حقاً:

"كيف يمكن أن ترى القوات السماوية وجه الآب بدون الروح القدس؟ ... لا يمكن أن تستمر الحياة العقلية الفائقة وفق قانونها (رتبتها) بدون الروح القدس؟ إن ثبات العالم الروحي بالروح القدس هو مثل ثبات الجيش وقيامه وفق نظامه العسكري ولا يمكن أن يتحقق إذا غاب قائده، أو مثل انسجام الخورس الذي يتداعى إذا أهمل مديره القيادة ... وكيف يقول السارافيم قدوس قدوس قدوس، إذا لم يعلمهم الروح القدس الوقفات اللازمة" (ف ٣٨، راجع أيضاً ف ١٨: ٤٧).

لأننا نعاين صورة الله فينا بالروح القدس، وهكذا بدون الروح القدس نصبح عمياناً إلى الأبد ونعود إلى خاصة الشيطان.

الروح القدس هو روح الآب، وهو روح التقديس

يقول القديس باسيليوس:

"الروح القدس أقنومٌ حيٌّ متميزٌ بطبيعة التقديس الفائقة" (ف ١٨: ٤٦).

وعلى هذا الأساس يُسلِّم القديس باسيليوس لنا الفرق بين المخلوقات والثالوث القدوس، فيقول:

"قداسة الخليقة ليست كامنة في كيان الخليقة، بل توهب من الخارج من الله. أمَّا قداسة الروح القدس، فهي تملأ طبيعته، ولذلك السبب ذاته لا يُوصَف بأنه تقدس، بل بالحري هو الذي يقدس ويدعى أيضاً الصالح" (مز ١٤٣: ١٠).

وعندما تنال القوات السماوية تقديس الروح القدس يقول باسيليوس:

"القوات السمائية قد ثبَّتها الروح، وهذا التثبيت بكل يقين هو عدم الابتعاد عن الصلاح" (ف ١٩: ٤٩).

فصل القوة عن الأقنوم

في فصل ٢٤ يضع القديس باسيليوس أساسات التعليم الصحيح عن الروح القدس:

"١- المخلوقات تنال إعلان أسرار الله بواسطة الروح القدس. فلا يوجد آخر يعلن الله، بل الله هو الذي يعلن ذاته.

٢- والقيامة من الأموات وعطية الحياة الأبدية من الروح القدس وبالروح

القدس؛ لأنه "الروح حياة" (رو ٨: ١٠)، والرب نفسه يشهد بأن الروح هو الذي يحيي (يو ٦: ٦٣)" (ف ٢٤: ٥٦).

والسؤال الموجه للأنبا بيشوي هو ذات السؤال الذي سأله القديس باسيليوس: كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن قوته الإلهية المحيية وتنسبه إلى الخليقة (إلى مخلوق) المحتاجة إلى الحياة؟ (ف ٢٤: ٥٦).

ولماذا لا يجب أن نفصل؟ يقول باسيليوس:

"حقاً إن الروح هو عطية الله؛ لأن شريعة روح الحياة هي التي جعلتنا أحراراً (رو ٨: ٢)، وعطية القوة "لأنكم ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، **فهل لذلك السبب نستهين به؟**" (المرجع السابق).

أليست نهاية هذه الفقرة تحذير لك يا أنبا بيشوي، ولكل من يريد أن يخلق آلهة متعددة اسمها القوة والنعمة والطاقة؟ ولذلك يكمل القديس باسيليوس نوع الاستهانة بالروح القدس، ويقول:

"ألم يُعطِنا الله الآب نحن البشر ابنه الوحيد عطيةً، ولذلك قيل: "الذي لم يضن (يبخل)، بل بذله لأجلنا فكيف لا يهب لنا معه كل شيء (رو ٨: ٣٢)[١]".

ثم يحذر القديس باسيليوس كل الذين أصابهم تهور الفقه:

"الذين يتخذون من محبة الله العظيمة وشفقته فرصةً للتجديف، يصبح هؤلاء

---

(١) سبق للأنبا بيشوي أن اعتمد على ترجمة فان ديك "الذي لم يشفق على ابنه"، ووصل منها إلى غضب الآب على الابن، وكان عليه أن يرجع إلى الأصل اليوناني، حتى وإن كان لا يعرف اليونانية، وإن استعصى عليه الأمر عليه أن يرجع إلى الترجمة الكاثوليكية التي نشرتها دار المشرق، أو حتى طبعة العيد المئوي التي أصدرتها دار الكتاب المقدس.

أشد نكراناً من اليهود، هؤلاء يقاومون الروح لأنه أعطانا الحرية أن ندعو الله أبانا "أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً: "أبًا أيها الآب" (غلا ٤: ٤ – ٦)، وبسبب هذه العطية يصبح صوت الروح القدس نفسه هو صوت الذين نالوه" (ف ٢٤: ٥٧).

الروح القدس هو مكان التقديس "شرحٌ لحرف الجر (في)"

"حقاً إن الروح القدس هو مكان القديسين، وكل قديس هو حقاً مكان الروح القدس؛ لأنه يقدم ذاته ذبيحةً وهيكلاً لسكنى الله. ولذلك قيل أنتم هيكل الله" (ف ٢٦: ١٢).

فهل نقدم حياتنا وذبائحنا لقوة؟ أم أن رؤيتنا ومعرفتنا هي بالله نفسه، أي الثالوث كما سبق وقلنا؟ وهنا يجد الأنبا بيشوي حرف الجر "في" الذي سبب المشاكل الفقهية حسب علم أصول الفقه وعلم الكلام الإسلامي:

"واستعمال حرف الجر "في"، فكما أننا نقول إننا نرى الآب في الابن، فإننا نرى الابن في الروح، هذا نعرفه من السجود بالروح لأن الروح يعمل فينا ونستنير بالنور" (ف ٢٧: ٦٨).

وعندما يشرح القديس باسيليوس حرف الجر "في"، يقول:

"حرف الجر (في) يعلن لما ما يخصنا نحن البشر، بينما (مع) يؤكد شركة الروح القدس في جوهر الله. ولذلك يمكن استخدام الحرفين؛ لأن (مع) تؤكد كرامة الروح الإلهية، و(في) تعلن النعمة التي فينا" (ف ٢٧: ٦٨).

القديس الأنبا مقار اللابس الروح

هكذا قال الأنبا بيمن عن الأنبا مقار: "كل مرة تقابلت فيها مع أبَّا مقار، لم أنطق بكلمة واحدة إلَّا وقد عَرِفَ هذه الكلمة لأنه كان لابساً الروح، وامتلك روح النبوة مثل إيليا وباقي الأنبياء".

شركة الروح القدس

يكتب القديس بولس: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كور ١٣: ١٤). وإذا كان في إمكان الأنبا بيشوي فصل القوة أو الطاقة عن الروح القدس، أو عن أيٍّ من أقانيم الثالوث، فهل يمكن فصل المحبة عن الثالوث؟ هل يمكن أن تصدر إجابة بنعم من مسيحي أياً كان؟ طبعاً لا يمكن فصل الله عن محبته؛ لأن الإنجيلي يوحنا يقول: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله". وحرف الجر "من" هنا في هذا النص لا يمكن أن يفصل المحبة عن الله لأننا لسنا فقهاء في اللغة ولا تلاميذ للفلسفة اليونانية؛ لأن مأساة ٤٠ سنة من التعليم في كنيسة مصر تظهر في أنه أنكر أن اللاهوت هو استعلان أشخاص أو أقانيم الثالوث، وأن هذا الإعلان ليس رسالة لفظية أو كلامية تخضع للسفسطة اللغوية وخداع الألفاظ والكذب.

يقول الرسول يوحنا: "كل من يحب فقد وُلِدَ من الله، ويعرف الله"، ويردف ذلك بتحذير من الموت الأبدي، فيقول: "من لا يحب لم يعرف الله؛ لأن الله محبة" (١ يو ٤: ٧ – ٨).

وقد برهن الرسول عن استعلان محبة الله، هكذا: "بهذا أُظهِرت محبة الله فينا، أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به".

والباحث عن حرف الجر "في½-"، سوف يجده في كلمات الرسول: "محبة الله

أُظهِرت فينا½¼®½ -". أمَّا "نحيا به"، فهي: "Í¡Ä Í± ¹´". هذه المحبة قد أُظهِرت فينا؛ لأن روح الله قد سُكِبَ في قلوبنا (راجع رو ٥: ٥).

وبما أن المطران يعرف اللغة اليونانية، فليقل لنا إن كان حرف الجر "في" قد ورد في عبارة "في قلوبنا" (رو ٥: ٥)، أم أن المحبة، وهي الله نفسه ينسكب خارج كياننا؟

ويبقى سؤالٌ هام: ما هو المقصود بشركة الروح القدس؟

إن صيغة المضاف ليست فقط هي صيغة الملكية، بل هي التعبير القوي عن شركتنا نحن التي وُهِبَت لنا؛ لأن سياق الكلام واضح:

نعمة ربنا يسوع

محبة الله

شركة الروح القدس

مع جميعكم.

وهذه كما رأينا، ليست شركة من الخارج.

يردد القديس أمبروسيوس ذات عبارات القديس أثناسيوس، إذ يقول:

> "إذا كانت النعمة واحدة، والسلام واحد، والمحبة واحدة، والشركة واحدة من الآب والابن" والروح القدس، فحقاً وبكل يقين، العمل واحد ***One operation*** وإذا كان العملُ واحداً، فحقاً لا يمكن تقسيم القوة، ولا يمكن تقسيم الجوهر" (الروح القدس ١: ١٢ ٣٠).

ولنعد إلى الرسول بولس نفسه، فهو يتحدث عن الشركة في الروح (فيلبي ٢: ١). وعن الشركة يقول الرسول: "الله الذي <u>به</u> دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا"

(١ كور ١: ٩)، وأيضاً: "شركة خدمة القديسين" (٢كور ٨: ٤). ويحق لنا أن نتساءل: هل كان تيطس "شريك" بولس وعامل معه (٢كور ٨: ٢٣)، بلا شركة **في** ذات الخدمة؟

الشركة الواحدة للعمل الواحد للثالوث

في شرح (٢كو ١٣: ١٤)، في العظة ٣٠ على رسالة كورنثوس الثانية للقديس يوحنا ذهبي الفم، يظهر لنا بوضوح ما سبق أن حذَّرنا منه القديس باسيليوس، وهو منهج الفصل والتقسيم، وهو هنا يرد على الذين كانوا يحاربون الروح القدس في أيامه، وهي ذات الحرب الدائرة الآن.

في الفقرة ٣ من العظة ٣٣ يسأل ذهبي الفم رداً على غباوة حكم النص:

"أين الذين يقولون إن الروح لم يُذكَر في مقدمة الرسالة. فهل هو من ذات الجوهر؟ ألا ترى أنه لم يُحسب مع الآب والابن؟ وبالإضافة إلى هذا يمكن لمن يلاحظ أنه عندما كتب إلى كولوسي قائلاً: "نعمة لكم وسلام من الله الآب"، وصمت عن ذِكر الابن الذي لم يُضَف إلى ما ذكره بعكس ما ورد هنا في هذه الرسالة، حيث يقول: "ومن الرب يسوع المسيح"، فهل يعني هذا أن الابن ليس من ذات الجوهر؟ كلا. هذه البراهين هي غباوة فائقة".

أمَّا عن وحدانية الجوهر بسبب وحدانية عمل الثالوث، فهو يقول:

"يكتب إلى الكورنثيين: "لكنكم قد اغتسلتم وتقدستم وتبررتم باسم ربنا يسوع المسيح (حرفياً: في اسم ربنا يسوع)، و**في** روح إلهنا"[1]، (١ كور ٦: ١١)، فهل لم ينل أولئك المعمودية واعتمدوا باسم الآب؟ فإذا لم يكن ذلك

(١) ربما يعالج حرف الجر هنا صداع المطران.

باسم الآب، فهؤلاء لم يغتسلوا ولم يتقدسوا ... فلماذا لم يقل: "اغتسلتم باسم الآب"؟ لا يوجد فرق عنده أن يذكر أقنوماً ولا يذكر الآخر، وربما لاحظتم هذه العادة في الرسائل لأنه يكتب إلى الرومانيين ويقول: "أتوسل إليكم برحمة الله" (رو ١٢: ١)، رغم أن هذه الرحمة هي رحمة الابن، وأيضاً أتوسل إليكم بمحبة الروح (رو ١٥: ٣٠)، مع أن المحبة هي محبة الآب أيضاً".

ويقول بعد ذلك:

"إن أعمال الثالوث لا تنقسم، وحيث شركة الروح فهي في الابن، وحيث نعمة الابن فهي للآب والروح القدس".

فقدان عمل المسيح فينا؛ إذا لم يحل فينا الروح القدس

يقول القديس كيرلس عمود الدين:

"المسيح فينا بالروح القدس، محولاً ما هو طبيعي وقابل للفساد ناقلاً إياه من حالة الموت إلى الحياة. وأيضاً بولس يقول: "الذي أقام يسوع من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بالروح الساكن (أو الحال) فيكم"(حرف الجر ورد في النص رو ٨: ١١). وعلى الرغم من أن الروح ينبثق من الآب، إلَّا أنه يأتي إلينا بواسطة الابن ومن (الابن)؛ لأن كل الأشياء هي بواسطة الابن ومن الآب" (شرح يوحنا ٩: ١ – ٤٨: ٣٢١ - ٣٢٢).

ويتحدث عن سقوط آدم ويقول:

"إن معصية آدم أعادته إلى التراب، ولكن عندما أرسل الله روحه، جعلنا شركاء طبيعته، وبواسطته جدد وجه الأرض (مز ١٠٤: ٢٩ - ٣٠)، ونحن

نتغيَّر إلى حياةٍ جديدة ونطرح الفساد الذي جاء مع الخطية، ومرةً ثانية ننال الحياة الأبدية بواسطة نعمة ومحبة البشر لربنا يسوع المسيح" (المرجع السابق).

وفي فقرة نرجو أن تدخل إلى قلب الأنبا بيشوي، يقول القديس هيلايون أسقف بواتييه، في كتابه عن الثالوث ١: ١٣:

"لقد محا بالموت حكم الموت، حتى بالخلقة الجديدة التي فيه (المسيح) يبيد العقوبة التي أقامها الناموس القديم ضدنا. فقد جعلهم (الرومان) يسمروه في الصليب لكي يسمِّر اللعنة في الصليب، ويمحو كل اللعنات التي جلبها الموت".

والخلقة الجديدة يقول عنها القديس الأنبا مقار:

"هي مثل الرسام الذي يرسم وجه الملك، فهو يشاهد وجه الملك أولاً، وبعد ذلك يقف أمام الملك لكي يرسم الوجه الذي يراه ... كذلك يفعل المسيح -الفنان الصالح- في أولئك الذين يؤمنون به ويتطلعون إليه ويثبّتون نظرهم فيه دائماً، فإنه حالاً يرسم إنساناً سماوياً على صورته، فمن روحه ومن جوهر النور نفسه، النور غير الموصوف يرسم صورةً سماويةً" (عظة ٣: ٤).

خطورة فقدان الشركة

يقول القديس إيرينيئوس:

"كيف يجيء إنسانٌ إلى الله إن لم يكن الله قد جاء إليه؟ وكيف يهرب من الولادة التي تخضع للموت إن لم يولد مرةً ثانيةً؟ وكيف ينالون التبني من الله إذا ظلوا مولودين ولادةً طبيعيةً بواسطة الوالدين في العالم؟" (ضد الهرطقات ٤: ٤٠٣٣).

ويقول القديس أثناسيوس إننا بدون الروح القدس لن نكون **في الله**:

"بسبب نعمة الروح القدس المعطاة لنا، نصير نحن فيه هو، وهو فينا ½- ½¼4½ · وحيث أنه هو روح الله، فلأنه فينا، نُعتبَر بحق أننا قد **اقتنينا الروح**، إننا **في** الله، وكذلك الله فينا ... نحن بدون الروح غرباء وبعيدين عن الله، ولكن بشركة الروح نتحد بالإلوهة" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٤).

"لأن الذين فيهم الروح القدس يؤلَّهون، ولأنه يؤلِّه البشر بالله، فلا شك أن طبيعته هي طبيعة الله" (الرسالة الأولى إلى سرابيون ٢٤: مجلد ٢٥: ٥٨٨).

بالروح نحن في الله

يقول القديس أثناسيوس في المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين، وهو يشرح بعض كلمات الرب في يو ١٧: ٢١، وبالذات "ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا":

"هو لا يعني أننا سنكون مساويين له ... ولكنها طلبة مقدمة للآب –كما كتب يوحنا– لكي يعطي الروح للمؤمنين بواسطته (يسوع) ذلك الروح الذي بواسطته نحن كائنون في الله (والكينونة هنا حسب النص اليوناني ½-Â¡Ä½¿ ÄÁ±À ÄÎ)" (ضد الأريوسيين ٣: ٢٥ مجلد ٢٦: ٣٧٦).

بالمسيح وبالروح ننال عدم الفساد

هل شرحُ كلمات عبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٣) على أنه شركة في الطبيعة الإلهية هو تحريف؟ إن كان شرحُ أي نصٍّ من الكتاب المقدس يعد تحريفاً، إذن فقد أصبح الاتهام موجهاً لكل الآباء. ويبدو أن الأمر صار هكذا عند فقهاء اللغة الذين صاروا أساتذة اللاهوت عند الأنبا شنودة الثالث بدلاً من آباء الكنيسة؛ لأنه هو الذي قال –في كتابه تأليه الإنسان– إن عبارة الشركة في الطبيعة الإلهية "هي جريمة الشرك التي

يحاربها الإسلام"، ومع ذلك يقول القديس كيرلس السكندري:

"إني أنا حيٌّ (يسوع) لأني الحياة حسب الطبيعة، وقد أظهرتُ هيكل جسدي حيًّا، ولكن حينما ترون أنكم من ذوي طبيعة فاسدة، قد صرتم أحياء على مثال ما أنا حي؛ عندئذٍ تعرفون بكل وضوح أنه بسبب كوني أنا الحياة بالطبيعة، قد وصَّلتُكم من خلالي بالله الآب الذي هو نفسه الحياة بالطبيعة، وهذا جعلكم شركاء ومشتركين في صفة عدم الفساد الخاصة بي؛ لأنني أنا بطبيعتي في الآب، وقد جعلتكم شركاء الطبيعة الإلهية لما وضعتُ روحي فيكم. فالمسيح فينا بواسطة الروح القدس، وقد استرجع ما هو فاسد إلى عدم فساد، وغيَّره من الموت إلى عدم الموت؛ لأنه حينما أرسل الله روحه جعلنا شركاء طبيعته، وبه جدد وجه الأرض (مز ١٠٤: ٣٠)، فقد تغيرنا إلى الحياة الجديدة جداً ناقضين الفساد النابع من الخطية ومتقبلين نعمة الحياة الأبدية فيما بعد (القيامة من الأموات) بنعمة ربنا يسوع المسيح وبمحبته للبشر" (شرح يوحنا ١٤: ٢٠ مجلد ٢: ٤٨٧ – ٤٨٨).

بدون الروح القدس لا علاقة لنا بالمسيح ربًّاً ومخلِّصاً

يقول القديس بولس عن الحياة حسب أهواء الجسد: "الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضُوا الله" (رو ٨: ٨)، ولكن بالنسبة لنا نحن فلسنا في الجسد، بل كما يقول الرسول بولس: "**في** الروح إن كان روح الله ساكناً **فيكم**" (رو ٨: ٩). ولعلنا نكون قد لاحظنا هنا حرف الجر (**في**) الذي يضايق الأنبا بيشوي "**في** الروح"، أي "في روح الله"، وهو "ساكن **فينا**"، دون أية إشارة إلى طاقة أو قوة؛ لأن بولس الرسول هو تلميذ الرب وليس مهندساً. ولا يكتفي بولس بذلك، فالروح فينا، والروح الساكن فينا يعني أيضاً أن المسيح فينا، ولذلك يقول: "ولكن إن كان أحدٌ ليس له روح المسيح، فذلك ليس له (المسيح)" (رو ٨: ٩).. ووضعُ كلمة (المسيح) بين قوسين يؤكدها باقي النص: "إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية (لأنه صُلِبَ مع المسيح، ولأن الخطية

حُكِمَ عليها بالموت)". ويكمل الرسول شرح التعليم: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١). هل لاحظ القارئ أن اسم الفاعل "الساكن فيكم" ورد مرتين في (رو ٨: ١١)؟ فالروح الساكن لا يعطي طاقة، بل يعطي حياة المسيح، وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

آدم والمسيح والفرق الجوهري فيما بينهما

المسيح روحاً محيياً: آدم الأخير (١ كور ١٥: ٤٥)

من آدم الأول أخذنا الموت والدينونة، هو "آدم الحي" الذي مات، لكن آدم الأخير "روحاً محيياً"، فقد وهب الروح بذاته، أي بأقنومه للتلاميذ في العلية بعد القيامة (يو ٢٠: ٢١). وفي نفس الرسالة الأولى إلى كورنثوس نجد أن الاعتراف بإلوهية الرب يسوع هو بالروح القدس، وهو ذات الروح، أي روح الآب الذي وُهِبَ لنا في الابن، وهو الذي يجعلنا نقول: "أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٢، غلا ٤: ٦)، بل نذكر كلمات الرسول نفسه، وهي ليست كلمات الأب متى المسكين:

* "الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤).

ومن يحارب روح الله بهذا الشكل الخطير، ويحول الروح إلى طاقة تعمل بدون الروح، ويخلق بديلاً للروح القدس، يُظهِر معدن حياته، فهو منقاد بروحٍ آخر.

* "الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أبناء الله" (رو ٨: ١٦).

والشهادة هنا هي استعلان ما لنا في المسيح أن نكون أولاد أو أبناء الله لأننا وُلدنا من الله (يوحنا ١: ١٣)، مثل المسيح، نعم مثله، ولذلك نحن "إخوة الرب" (رو ٨: ٢٩)، فقد صرنا على صورة ابنه ليكون هو "بكراً بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩).

* "فإن كنا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧).

فكيف نرث مع المسيح إن لم نتغير إلى تلك "الصورة ذاتها" (٢كور ٣: ١٨)، صورة المجد (فيلبي ٣: ٢١)، أي عدم الفساد والخلود والتبني؛ لأننا بدون هذا التحول في كياننا، لن ندخل ملكوت السموات، ولا وجود لنا في الملكوت كورثة الله ذاته ... ألا ترى قارئي العزيز -إذا كان لديك وعيٌّ وإحساسٌ حيٌّ بالمسيح- إلى أيةِ حفرةٍ سقط فيها التعليم الذي يلقيه بعض أساقفة الكنيسة القبطية من على المنابر أو بواسطة شبكة المعلومات الدولية، في الوقت الذي يصفون فيه تعليم الآباء بالتعليم الفاسد؟!!

آدم الثاني واهب الروح القدس

فقد استُعلِن ابن الله "بقوة"، وحسب ترجمة فانديك "من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات"، وهو ما أعلنه الرب نفسه عندما وهَبَ الروح للتلاميذ، بل هو ذاته الذي سكب الروح في يوم العنصرة:

"إذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعونه" (أع ٢: ٣٢).

والذي يمنحنا الثبات في المسيح والبقاء فيه رغم كل ما نتعرض له هو الروح القدس، فالقوة لا يمكن أن تنفصل عن مصدرها -حسبما أشار القديس باسيليوس- ولذلك تنوع المواهب والخدم والأعمال، حسب شرح الرسول في ١ كور ١٣ ليست قوات منفصلة ولا هي مواهب انفصلت عن "الواهب"؛ لأن الرسول يقول: "الله واحد يعمل الكل في الكل" (١كور ١٣: ٦). وتعدد المواهب الموزعة على أعضاء متعددة هو في النهاية "بروحٍ واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد" (١كور ١٣: ١٣). لأن الذي يجمعنا ويجعلنا واحداً في جسد المسيح الواحد هو الروح القدس، ذات الروح الذي كوَّن *formed* جسد يسوع في أحشاء البتول.

القديس أثناسيوس في الرسالة الأولى إلى سرابيون

"الآبُ نورٌ والابن هو شعاعه ... ويمكننا أن نرى في الابن "الروح" الذي بواسطته نستنير (أف ١: ١٧ – ١٨)، ولكن حينما نستنير بالروح، فالمسيح هو الذي ينير فيه (أي في الروح)؛ لأنه يقول: "كان هو النور الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو ١: ٣) ... الآب ينبوع، والابن يُسمى نهرٌ؛ لذلك نقول إننا نشرب الروح؛ لأنه مكتوب: "جميعنا سُقينا روحاً واحداً" (١كور ٢: ١٣)، ولكن حينما نشرب الروح، فإننا نشرب المسيح "لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيةٍ .. كانت المسيح" (١ كور ١٠: ٤)، وبالإضافة إلى ذلك، كما أن المسيح **ابنٌ حقيقيٌّ**، فإننا عندما نأخذ الروح، نصير أبناء لأن الكتاب يقول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني" (رو ٨: ١٥)، وإن كنا بالروح قد صرنا أبناء، فواضحٌ أننا في المسيح نُدعى أولاد الله لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو ١: ١٢)" (مجلد ٢٦، الآباء اليونانيين، عامود ٥٧٣ – ٥٧٦).

ويتكلم القديس أثناسيوس عن سكنى وإقامة الله فينا، فيقول:

"لأنه عندما يعطي لنا المسيح الروح القدس، يقيم الله فينا؛ لأنه هكذا كتب يوحنا: إن أحب بعضنا بعضاً فالله يقيم فيه، بهذا نعرف أننا نقيم فيه وهو فينا لأنه قد أعطانا من روحه (١ يو ٤: ١٢ – ١٣). وحيث أن الله كائنٌ فينا، يكون الابن أيضاً فينا ... الابن هو الحياة؛ لأنه يقول أنا هو الحياة (يو ١٤: ٦)، فإننا سنحيا بالروح لأنه يقول: "الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، وحيث أننا مُحيَونَ بالروح، فالمسيح نفسه يحيا فينا لأنه يقول: "مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠)" (المرجع السابق، راجع الترجمة العربية ص ٦٧).

المسيح واهب الروح القدس الذي يوحِّدنا معاً

يقول القديس كيرلس السكندري بمناسبة شرحه لكلام الرب مع السامرية:

"نحن متحدين كلٌّ مع الآخر، وصرنا أعضاء ذات الجسد الواحد في المسيح (أف ٣: ٦)؛ لأنه أقامنا وجمعنا معاً برباط الروح الواحد الذي هو فينا جميعاً، والذي (نشربه) ككأس واهب الحياة. بالإضافة إلى ذلك، فإن المسيح في حواره مع المرأة عند بئر يعقوب يقول: "كل من يشرب من هذا الماء (ماء البئر) يعطش، ولكن الذي يشرب من الماء الذي أنا أعطيه ... فهو يصبح فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياةٍ أبدية" (يو ٤: ١٢ – ١٣). وفي موضعٍ آخر قال لليهود: "من آمن بي —كما قال الكتاب- يجري من قلبه[١] أنهار ماء حي"، ويكمل الإنجيلي: "قال هذا عن الروح الذي كان الذين يؤمنون به سوف يأخذونه[٢]" (يو ٧: ٣٨ – ٣٩). وهذا غير مفاجئ لأنه حسب كلمات المزمور، المسيح هو "أنهار الله" (مز ٦٥: ٩) الملآنة ماء التي تفيض مثل فيضان الشتاء التي قال الله الآب إنه سوف يعطيها لمن يحبه لكي يشرب من هذا الماء. ولماذا إذن روحه لا يوصَف بأنه كأس ماء واهب الحياة؟ لأننا نحن دُعينا إلى وحدة بواسطة الروح وصرنا أعضاء ذات الجسد، جسد المسيح، فلنحفظ رباط المحبة غير منفصل (مكسور)" (شرح إنجيل يوحنا، مجلد ١: ٢٩٠ – ٢٩١).

عندما يُغيَّب الروح القدس أو يُحذف، فإننا نكتفي بكلمات القديس باسيليوس، وهو يشرح سر المعمودية في الفصل ١٢ من كتاب الروح القدس، يقول:

---

(١) "قلبه"، كما في كل النصوص القديمة، وليس بطنه كما وردت في ترجمة فانديك.

(٢) الفعل "يأخذ" ترجمة صحيحة، وعلى الأنبا بيشوي أن يعارض في هذه الترجمة لكي نرد عليه من كل النصوص اليونانية.

"أحياناً ترى في الأسفار المقدسة الإشارة إلى الروح القدس وحده دون الآب والابن في الكلام عن المعمودية مثل: "لأننا بروح واحد اعتمدنا لجسد واحد" (١ كور ١٢: ١٣) والمعنى نفسه في: "أنتم سوف تتعمدون بالروح القدس" (أع ١: ٥)، أو: "هو سوف يعمدكم بالروح القدس" (لو ٣: ١٦)، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يقول إن المعمودية التي استُدعيَ فيها الروح القدس وحده هي معمودية كاملة. لأن التسليم الذي قبلناه بواسطة النعمة المحيية (أي التعميد باسم الآب والابن والروح القدس) يجب أن يظل كما هو بدون تعدٍّ" (الروح القدس ف ١٢: ٢٨).

فقدان الحياة الأبدية بدون الروح القدس

ويكمل القديس باسيليوس الشرح في نفس الفصل، فيقول:

"لأن الثالوث الذي فدى حياتنا من الهلاك، أعطانا قوة التجديد الكامنة في السر، والذي يعطي لنفوسنا الخلاص العظيم، ولذلك، فإن الإضافة أو الحذف تعني فقدان الحياة الأبدية ذاتها. وإذا كان فصل الروح القدس عن الآب والابن ضاراً بالمعمد، ويجعل الذي يعتمد لا ينال شيئاً، فكيف لا يصبح فصل الروح القدس عن الآب والابن ضاراً أيضاً؟! الإيمان والمعمودية هما طريقا الخلاص لا يمكن فصلهما؛ لأن الإيمان يكمل المعمودية، والمعمودية مؤسَّسة على الإيمان، وكلاهما مؤسَّسٌ على الأقانيم الثلاثة ... نحن نعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، أولاً بالاعتراف بالإيمان الذي يقودنا إلى الخلاص، ويتبع الاعتراف، المعمودية التي هي الختم الذي يختم قلوبنا" (المرجع السابق).

الآلهة الغريبة التي اخترعها الأنبا بيشوي

لعل القارئ يكون أدرك -من مقال الأنبا بيشوي الذي يدافع فيه عن معلم الأجيال البابا شنودة الثالث- كيف أن القوة حلَّت محل الروح القدس، أو أن النعمة حلَّت محل الابن، فأصبحت القوة والنعمة هي الآلهة أو الإلهين الذين خلَّصا الإنسانية، وأعطيانا الغفرن – التجديد – التبني – البنوة – الانضمام إلى جسد المسيح الواحد الكنيسة – ميراث ملكوت السموات – القيامة من الأموات – الحياة الأبدية. هذه العطايا -في تحليل الأنبا بيشوي- ليست من الله نفسه، ولا يعملها الله نفسه، بل تعملها طاقة أو قوة أو نعمة؛ فيصبح الله نفسه لا علاقة له بأيٍّ من عطاياه حتى التبني ولا وراثة الله في الخلود وعدم الفساد.

وقد يدافع الأنبا بيشوي عن نفسه ويقول إنه لم يقصد، وإنما كان يعني أن الحلول أو السكنى هو حلول أو سكنى طاقة كما قال. ولكن هذا الرد لا يعفي الأنبا بيشوي من الوقوع في براثن الوثنية، أي الإيمان بآلهة أو إلهين وربما ثلاثة: القوة – الطاقة – النعمة، وهي تلك التي تمنح الشركة وتمنح عدم الفساد، وتؤلِّه الناسوت، تماماً كما تألَّه ناسوت الرب الذي نأخذه في الإفخارستيا. هكذا نكون قد وصلنا إلى حفرة الموت لأن الكراهية والبغضة تخلق لاهوتاً شيطانياً هو ذات التعليم السابق الذي علَّمت به كل الهرطقات، وهو إنكار شركتنا المباشرة والحقيقية في حياة الثالوث بواسطة الابن المتجسد في الروح القدس لكي نكون في الآب.

القسم الثاني

يسوع والروح القدس

الابن والروح القدس:

يبدأ الإنجيل ببشارة تجسد أو ميلاد الرب من البتول القديسة مريم التي حلَّ عليها روح "الله العلي — إل (إيل) عيلون — إله شعوب الأرض" (لوقا ١: ٣٥).

ثم يُستعلَن الروح القدس مع الابن أيضاً في معمودية يسوع.

البشارة المفرحة ليست في تجسد الابن وحده، بل بمجيء الروح القدس في بداية تكوين آدم الجديد أو الأخير في الحَبَل بيسوع؛ لأنه جاء لكي ينقل الأصل الإنساني أو بدايته من آدم إلى أقنومه الإلهي المتجسِّد (راجع القديس أثناسيوس، الرسالة إلى أدلفوس: ٤، وضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، ثم يستعلن ابن الله في المعمودية في الأردن.

وحلول الروح في "شكل حمامة"، لم يكن معروفاً في العهد القديم ولكنها إشارة إلى الذي استُعلِن وما سوف يُستعلَن: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧)، والابن الحبيب الذي سُرَّ به الله الآب ليس هو ذلك الابن الذي احترق في نار العدل الإلهي -بحسب تعليم الأنبا شنودة[١]- أو الذي يتلقى غضب الآب على

---

(١) راجع كتابه ٥ تأملات في أسبوع الآلام، عدة طبعات، القاهرة.

الصليب –حسب تعليم الأنبا بيشوي[١]– (فهذه خرافات وأضاليل عقول لا تعرف المحبة الإلهية). وصوت الآب السماوي هو تحقيق لنبوة اشعياء (٤٢: ١)[٢]، وهو ما يؤكِّده الرب نفسه بلسانه في مجمع كفر ناحوم (لوقا ٤: ١٧ – ٢١). ومسرة الآب تجعل الرب نفسه يقول عن ذاته: "الذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم" (يوحنا ١٠: ٣٦)، فهو قد جاء من عند الآب إلينا مقدَّساً (مخصَّصَاً)، وعندما اعتمد يسوع، يقول القديس ايريناوس:

> "حلَّ عليه روح الله، وهو نفس الروح الذي قَبِلَه الأنبياء، وهو يعطي له المسحة لكي نقبل نحن هذه المسحة الفائقة ونخلص" (ضد الهرطقات ٣: ٩-٣ SC ٢١١ ص ١١٣ – راجع أيضاً القديس أثناسيوس، ضد الأريوسيين ٢: ٦١، ٧٠- ٣: ٣٤- ١: ٥٠).

فقد امتلأ يسوع من الروح القدس. ويقول كيرلس السكندري عن هذا الامتلاء:

> "ملأ يسوع كل جسده بالروح الواهب الحياة والقوة .. لأنه ليس الجسد هو الذي يعطي الحياة للروح ولكن قوة الروح تعطي الحياة للجسد" (شرح انجيل يوحنا ٦: ٦٤ مجلد ٧٣: ٦٠٤ وأيضاً شرح العبرانيين ١: ١٣ في مجلد ٧٤: ٩٦١)[٣].

---

(١) راجع كتابه عن عقيدة الكفارة.

(٢) "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ".

(٣) راجع مقالنا: لماذا اعتمد يسوع؟ منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

البشارة التي قدَّمها بولس للأمم:

القارئ المدقق في قراءة كلمة الله سوف يرى أن يسوع الذي مُسِحَ بالروح القدس هو الذي "تعيَّن بقوة بواسطة أو من جهة روح القداسة (روح التقديس)" (رو ١: ٣ - ٤) الذي أقامه من الأموات، لكي يُخصَّص لإقامة الإنسانية المائتة، ولذلك -حسب التسليم الرسولي- كان قبول الروح القدس هو قبولٌ للقيامة، تلك التي تُوهَب هنا في هذا الدهر في المعمودية، وفي كمال استعلانها يوم القيامة. وحلول الروح القدس فينا هو الذي يؤهِّلنا للقيامة من الأموات لأنه "ساكن فينا" (رو ٨: ١١).

والوعد بخلاص الأمم الذي يذكره الرسول في غلاطية، هو أُطروحة ذات وقع خاص تحتاج إلى تدقيق في الترجمة، وإلى حسٍّ روحيٍّ في القراءة؛ لأنها المِفصَل الذي يُظهِر نعمة العهد الجديد. الفصل الثالث من غلاطية هو جزء ذو دلالة في هذه الأطروحة.

* قبول الروح القدس بالإيمان (غل ٣: ٣).

* بركة الله لإبراهيم والوعد ليس من الشريعة أي شريعة موسى (لا زالت كلمات رسول المسيح تدوّي في آذان الذين يقبلون العهد الجديد)، وإنما كان الوعد سابقاً على الشريعة (غل ٣: ١٥-٢٨) لأن الشريعة جاءت بعد إبراهيم بـ ٤٣٠ سنة، وهي لم تنسخ عهداً "قد سبق وأسَّسه الله عن المسيح" (غل ٣: ١٧).

* فالروح الذي لم يُعطَ في الشريعة حسب الشريعة، وهو ما يؤكده الرسول بولس: "فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم ..."، هل يعمل هذا بحفظ أعمال الشريعة، أم بقبول بشارة أو خبر الإيمان؟ (راجع ٣: ٥).

* البركة هي عطية الروح القدس، تلك التي تُوهَب في المعمودية (٣: ٢٥-٢٩).

ماذا ورثنا حسب الموعد؟ والإجابة هي: "الروح القدس"؛ لأن الرسول يؤكد أن

البشارة ليست بالكلام، "بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس" (أفسس ١: ٥-٦)، ولم تكن هذه عبارة حماسية وانفعالية، بل هي ما أكَّده: "كلامي وبشارتي لم يكونا بكلام الحكمة .. بل ببرهان الروح القدس والقوة ..." (١كو ٢: ٤-٥).

"أيها الغلاطيون الأغبياء" (غلا ٣: ١):

لماذا اعتبر الرسول هؤلاء "أغبياء"؟ والجواب يجيء في الأعدد من ١: ٥. الغباوة هي في رفض عطية أو منحة الروح القدس، ويكاد بولس يصرخ من الوجع: هل كانت أتعابه في الخدمة "عبثاً" (غل ٣: ٤)؟ فما هو الفرق الصارخ بين العهدين؟ الجواب هو: "الروح القدس"؛ لأنه في خدمة العهد الجديد نحن نخدم (نعبد) بروح الحياة لا بعبودية الحرف (رو ٧: ٦)، وما يوصَف "بجدة الروح" شرحها نفس الكاتب في (رو ٨: ٢)؛ لأن هذا هو اختيار الله من البدء حسب كلمات بولس نفسه: "أيها الأخوة المحبوبون من الرب إن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح، وتصديق الحق الأمر الذي دعاكم إليه بالبشارة (إنجيلنا) لاقتناء مجد يسوع المسيح" (٢تس ٢: ١٣).

تأمَّل:

- تقديس الروح للخلاص.
- اقتناء مجد يسوع المسيح.

وتقديس الروح القدس هو تقديس الثالوث كما يقول امبروسيوس في شرحه لنص (٢تس ٢: ١٣):

> "الآب يقدِّس، والابن يقدِّس، والروح القدس يقدِّس، ولكن التقديس واحد لأن النعمة والسر واحد" الروح القدس ٣: ٤ — ٢٧ - ٢٨).

ولذلك، فإن رفض تقديس الروح القدس، يظهَر في السلوك في النجاسة، ويحذِّرنا

رسول المسيح: "لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة، وإذاً من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس" (أفسس ٤: ٦-٧).

أمَّا عن اقتناء مجد يسوع المسيح، وهو صدى لكلمات الرب في (يوحنا ١٧: ٢٢) فسوف نعود إليه في القسم الثالث.

روح المسيح أو روح يسوع

لا يجب أن ينزعج القارئ؛ إذ لا يوجد تعليم في العهد الجديد برمته على انبثاق الروح القدس من الآب والابن، فهذا تعليم متأخِّر لم يعرفه الآباء الذين بالروح القدس اجتمعوا في القسطنطينية في ٣٨١م وأكملوا الفقرة الخاصة بالروح القدس، ولو كان هذا التعليم، أي انبثاق الروح القدس من الآب والابن معروفاً، لدوَّنه الآباء في قانون الايمان.

المسيح	الروح القدس
في المسيح لنا بر وفداء (٢كو ٥: ٢١)	بر وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧)
تبررنا في المسيح (غلا ٢: ١٧)	تبررنا باسم الرب يسوع المسيح وبروح الهنا (١كو ٦: ١١)
الذين هم في المسيح إذا كان المسيح فيكم (رو ٨: ١ – ١٠)	انتم لستم من الجسد بل في الروح إذا كان روح الله ساكناً فيكم *Dwells* (رو ٨: ٩)
افرحوا بالرب (حرفياً في الرب) (فيلبي ٣: ١)	فرحٌ بالروح القدس (رو ١٤: ١٧).

وســــلام الله .. يحفـــظ قلـــوبكم وأفكـــاركم (عقـــولكم) في المســـيح يسوع (فيلبي ٤: ٧)	بر وسلام وفرح في الروح القـدس (رو ١٤: ١٧).
تقدستم في المسيح يسوع (١كو ١: ٢-٣)	مقدسين بالروح القدس (رو ١٥: ١٦ – ٢تس ٢: ١٣).
أتكلم في المسيح (٢كو ٢: ١٧)	أتكلـم في الـروح القـدس أو بـالروح القدس (١كو ١٢: ٢٣).

روح المسيح هو روح القوة، ولكن ما هي هذه القوة، ولمن هي؟

كان جدول المقارنة السابق من أجل تثبيت وحدانية عمل الثالوث، وأن كل ما هو للابن فهو للروح؛ لأن التعليم الرسولي الذي سلَّمه الرب إلينا هو أن الروح القدس يأخذ من الابن. فلماذا؟ والجواب هو حسب ترتيب التدبير: لأن الابن هو مؤسِّس الخِلقة الجديدة، فهو الذي جاء بالتجديد، ولذلك كل ما يفعله في تجديد الطبيعة الانسانية، يُنقل إلينا نحن بواسطة الروح القدس، إذ ينقل الروح القدس: الفداء – التبني – الغفران، أي التحرير وفك الرباطات – عدم الفساد – القيامة من الأموات – الحياة الأبدية، وأخيراً ميراث الملكوت. هذه كلها في المسيح يسوع.

حسب الأصل اليوناني وردت كلمة القوةÍ¼±¼Â ´ ١٣ مرة في متى - ١٠ مرات في مرقس - ١٥ مرة في لوقا، ولم ترد في إنجيل يوحنا، بل وردت ١٠ مرات في الأعمال - ٨ مرات في رومية - ١٥ مرة في ١كور - ١٠ مرات في ٢كور - مرة واحدة في غلاطية - ٥ مرات في أفسس - مرة واحدة في فيلبي - مرتين في كولوسي ... كما وردت في باقي الرسائل الأخرى ليصل المجموع إلى ١٢٠ مرة.

ما هي قصة القوة؟

الأصل اللغوي *Stem* هو Å¼± ´ ومعناه القدرة على عمل شيء. والقوي اسم الفعل Å½±ÄÏ Â ´ ورد في الترجمة السبعينية LXX والكلمة العبرانية لا تختلف أصلاً عن القدرة أو القدير (٢ أخبار ٢٣: ٢٠). ومن الترجمة السبعينية وصلت الكلمة إلى يهود الشتات. لكن الكلمة كانت معروفة بشكل عام في كتابات فلاسفة اليونان وفي الميثولوجيا اليونانية القديمة السابقة على استعلان ربنا يسوع المسيح.

في العالم الهلليني Hellenistic

كانت دراسة أستاذ الأدب الكلاسيكي في جامعة تيوبنجن *W. F. Otto* "آلهة اليونان" التي صدرت عام ١٩٢٩ هي أول نقلة للتمييز بين الثقافة والأدب العبراني، والثقافة الأدب الهلليني، وبالذات في موضوع الله – الكون في الفكر والثقافة اليونانية القديمة الكلاسيكية السابقة على ظهور المسيحية. يقول *Otto* "الخط الفاصل هو قدرات الآلهة اليونانية التي تملك قدرات هي ذات القدرات الموجودة في الطبيعة، أو بدقة أكثر في الكون. فلم يفصل حتى الفلاسفة مثل أفلاطون بين الله والكون، كلاهما في نظام كوني مغلق تحكمه القوانين والكونية[١] فالقوة أو القدرة هي جزء من النظام الكوني الذي يخضع له الله. فالله **قوة طبيعية**، أمَّا إذا درسنا الكتاب المقدس والعهد القديم كبداية، فالله إلهٌ شخصي *Personal* يتكلم ويتحرك مع البطاركة ويسمع ويقدم المواعيد ويقود .. الخ هو ليس من النظام الطبيعي لأنه خالق الكون. ولا يميِّز أساتذة الحضارات القديمة بين الحضارات المصرية – البابلية – الأشورية – اليونانية .. هذه كلها تجد قوة إلهية في الكون، أمَّا في العهد القديم، وعلى سبيل المثال، فالقوة هي يد الله، يمينك يا رب ممجدة

(١) راجع الفصل الأول من "الوجود شركة" للمطران يوحنا زيزولاس، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، مركز دراسات الآباء، القاهرة، عدة طبعات.

بالقوة (معتزة بالقدرة حسب ترجمة فان ديك)" (خروج ١٥: ٦). واستخدام اليد هو تأكيد الحضور الشخصي، فهي ليست قوة أو قدرة عمياء، بل قوة شخصية ضربت آلهة أخرى. "ترشد برحمتك (رأفتك) الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك" (خر ١٥: ١٣)؛ لأن الشعب خرج من مصر "بقوة عظيمة ويد شديدة" (خروج ٣٢: ١١) هي القوة الشخصية. ولاحظ بعد ذلك كيف سوف يعبر موسى بطريقة أخرى يقول فيها للرب: "لا تهلك شعبك الذي فديته بعظمتك والذي أخرجته من أرض مصر بيد قوية (أو شديدة)" (تث ٩: ٢٦).

ولذلك يُوصَف الله بالقدير أو القوي؛ لأن القدرة أو القوة شخصية "عندما شتَّت القدير ملوكاً" (مزمور ٩٨: ١٤)، هذا المزمور بالذات يقال في تسبحة نص الليل في شهر كيهك؛ لأن الرب جاء وسكن إلى الأبد في صهيون، لكي يبقى متجسداً إلى الأبد. هذا أحد أسباب تمجيد والدة الإله القديسة مريم. "يد الله القادرة أو الشديدة لا تنفصل عنه" (تث ٣: ٢٣ – ٢٤)؛ لأن الصلاة إلى إله السماء الذي هو على الأرض أيضاً "يعمل أعمالاً بجبروت" (تث ٣: ٢٤) فالقوة استُعلِنت بالحضور الإلهي نفسه بالله وبالقوة (يشوع ٥: ٣)، ولذلك يرتل المزمور: "أبصرتك المياه فخافت يا الله أبصرتك المياه ففزعت. ارتعدت اللجج" (مز ٧٧: ١٦)، والمجد الإلهي المستعلَن سوف نراه بعد ذلك على جبل طابور: "ليعرفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك" (مزمور ١٤٥: ١١). وعندما عاد إسرائيل إلى الوثنية مع باقي الشعوب، يصرخ أرميا: "يارب قوتي (عزِّي) وحصني وملجأي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون إنما ورث أباؤنا كذباً وأباطيل ولا منفعة فيه. هل يصنع الانسان لنفسه آلهة ليست آلهة، لذلك هانذا أعرفهم هذه المرة أعرفهم يدي وقوتي (جبروتي) فيعرفون إنني أنا يهوه" (أر ١٦: ١٩ – ٢١) والله القدير، أو إله القوة، أو حسب الترجمة العربية "ضابط الكل" هو حسب السبعينية ºÍÁ¹¿Â À±½Ä¿ºÁ¬ÄÉÁ وقد احتفظت لغتنا القبطية في كل الأواشي بذات الاسم القديم "الإله القدير"، وذكصولوجية الملك داود هي أصل ذكصولوجية أسبوع الآلام، مع تغيير في ترتيب الكلمات: "لك يا رب العظمة والقوة

(الجبروت) والجلال والبهاء والمجد" (١ أخبار ٢٩: ١٠) ولاحظ:

لك القوة والمجد والبركة والعظمة ... عمانوئيل إلهنا ومخلصنا

وعلى نفس النغمة النبوية يقول داود: "أنا أغني بقوتك وأرنم بالغداة برحمتك" (مزمور ٥٩: ١٦). وأيضاً: "يا رب من مثلك يا رب إله الجنود قوي" (مزمور ٨٥: ٨). والفرح بقوة الله يقول عنه النبي صفنيا: "الرب إلهك في وسطك جبار يخلص. يبتهج بك فرحاً يسكت في محبته يبتهج بك بترنم" (٣: ١٧)، هو حديث الله لأورشليم الذي يفرح بالمدينة في يوم خلاصها.

بشارة الخلاص بالقوة:

الصلاة الوحيدة التي علَّمنا إياها الرب يسوع، لها خاتمة، هي الذكصولوجية: "لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين" (متى ٦: ١٢) وهي جزء لا يمكن فصله عن تسبحة البصخة. وعدم ذكر كلمة "الملك"؛ لأن الرب لم يكن قد أكمل ملكه بالقيامة – هكذا قال أستاذنا يسى عبد المسيح.

وعن قوة الله في إقامة الموتى، يقول الرب موبخاً الصدوقيين: "لا تعرفوا الكتب ولا قوة الله" (متى ٢٢: ٢٩)، وهي ذات القوة الشخصية؛ لأنه في الظهور الثاني المملوء مجداً –حسب عبارة الليتورجية– سيأتي "بقوة ومجد كثير" (متى ٢٤: ٢٩–٣٠)، بل إن اسم الله هو (القوة) حسب اعتراف الرب يسوع المسيح نفسه في المحاكمة: "تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة (عن يمين الله)" (متى ٢٦: ٦٤)؛ لأنه لم ينطق باسم يهوه حسب العادة السارية عند اليهود بعدم نطق الاسم، ولا حتى استخدم اسم "أدوناي"، بل "القوة"؛ لأنه أعلن هذه القوة، لأنه "وبَّخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته" (متى ١١: ٢٠–٢١)، وحتى اليهود "بُهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات" (متى ١٣: ٥٤) ولذلك وُصِفت معجزات الرب يسوع بهذا الاسم الشخصي "ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم" (متى ١٣: ٥٨ راجع مرقس ٦: ٥ "لم يصنع قوة واحدة".

ملكوت الله قد أتى بقوة (مرقس ٩: ١)

الكلمات هي بداية الإصحاح التاسع في إنجيل مار مرقس، وهي عن تجلي الرب على جبل طابور – ذلك العيد الذي يأتي أثناء صوم العذراء، ويضيع الجانب اللاهوتي، بينما الاحتفال بالعيد أثناء الصوم يعيد للصوم مكانته اللاهوتية. فقد تجلى جسد يسوع بقوة – نعرف بعد ذلك من شرح الآباء أن السحابة والنور هما حلول المجد الإلهي "الشاكيناه" معلناً التجلي حياة الدهر الآتي لنا في القيامة.

وقوة الله هي قوة الروح القدس، أو روح الرب الذي حلَّ على إيليا، ولذلك قيل عن يوحنا المعمدان: "ويتقدم أمامه بروح إيليا؛ لأنه امتلأ من بطن أمه بالروح القدس (لوقا ١: ١٥ – ١٩). أليس الروح القدس هو نفسه قوة الله: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك .. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥)، وعندما امتلأ يسوع من الروح القدس وحارب العدو في البرية (لوقا ٤: ١)، رجع يسوع "بقوة الروح إلى الجليل" (لوقا ٤: ١ – ٤: ١٤). هذه القوة هي التي كانت تطرد الشياطين "لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة" (٤: ٣٦)، وكانت "قوة الرب لشفاهم" (لوقا ٥: ١٧)، بل هذه القوة أُعطيت للتلاميذ (لوقا ٩: ١)، وهي هبة الرب لنا لأنها عطية الروح القدس (لوقا ١٠: ١٩). ويؤكد نفس الإنجيل أن قوة الرب هي قوة الروح في وعد الرب "اقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي" (لوقا ٢٤: ٤٩)، هي ذات قوة العلي (لوقا ١: ٣٥). وكما ذكر متى ومرقس أن معجزات الرب هي قوات الرب، كذلك لوقا أيضاً (١٠: ٣).

كيف يمكن لمن له عينين أن يغفَل عن قراءة دقيقة هامة لكلمات الرب يسوع: "ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فالقوة لن تأتِ ولن توجد إلَّا "متى حلَّ الروح القدس"، ولذلك ينكر بطرس ويوحنا أنه بقوتهما أقاما المقعد عند باب الهيكل (أع ٣: ١٢)، وكان الامتلاء بالروح القدس تماماً مثل امتلاء يسوع، ولا داع للخرافات "لأننا نحن نأخذ من ملئه (يوحنا ١: ١٦) نعمة فوق نعمة"، فهو آدم الأخير،

واهب الروح القدس. وهكذا، لاحظ "امتلأ الجميع من الروح القدس (أع ٥: ٣١)، وبعدها "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة" (٥: ٣٣). والامتلاء العائد أصلاً ليسوع يقول عنه بطرس الرسول: "يسوع الناصري كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة أع ١٠: ٣٨).

القدرة الأزلية أو السرمدية هي القوة الإلهية الخالقة للعالم حسب (رو ١: ٢٠) ولا فرق بين قوة يسوع وقوة الروح القدس: "ليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو ١٥: ١٣)، والمعجزات هي قوة الله (بقوة روح الله ١٥: ١٩).

القوة المستعلَنة في يسوع وبالروح القدس:

عندما مُسح يسوع بالروح القدس قال إنه يُخرِج الشياطين بأُصبُع الله، وهو عملٌ من أعمال الله (لوقا ١١: ٢٠)، وعاد وأكَّد أن طرد الشياطين، أنما هو بالروح القدس. فالروح يُعلِن يسوع (١كو ١٣: ١-٣)، والروح هو الذي يُعلِّمنا عن يسوع لأنه يشهد ليسوع (يوحنا ١٥: ٢٦) بل "يأخذ مما لي ويخبركم"، وهذا يُمجد الابن "ذاك (الروح) يمجدني" (يوحنا ١٦: ١٤).

استعلان الروح القدس في العنصرة:

كان صعود الرب بالجسد هو أحد معالم التدبير، ولكنه وهو يصعد إلى السماء قال بعد قيامته: "ها أنا معكم حتى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ١٩). يقول ذهبي الفم:

> "بدون الروح لا يمكن أن ندعو الله أبانا عندما نصلي" (عظة ٢ على العنصرة مجلد ٥٠: ٤٥٨).

وعامود الدين يقول أيضاً:

"لأن الابن يحل فينا بروحه؛ نقول إننا دُعينا إلى التبني الإلهي" (حوار ٣ عن الثالوث مجلد ٧٥: ٨٥٣).

وفي نفس المرجع يقول عامود الدين:

"أرسل المسيح المعزِّي من السماء الذي بواسطته وفيه (المسيحُ) معنا، ويسكن فينا" (حوار ٧: مجلد ٧٥: ١٠٩٣).

ولم تـأتِ قـوةٌ يـوم العنصـرة، بـل جـاء الـروح، ومـنح القـوة حسـب قـول الـرب: "ستنالون قـوة متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨). وفي تعبير فريد يقـول رسـول المسيح عن اجتماع الكنيسة: "باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح" (١كو ٥: ٤)، أي قوة يسوع أي الروح القدس.

يقول أسد كبادوكية عن مزمور "الله قائم في مجمع الآلهة" (مزمور ٨٢: ١):

"إنه يطهرنا ويجعلنا مثل الله وعندما نصبح مثل الله – وأنا هنا استعمل كلمات جريئة – يمكن أن يتحدث معنا كآلهة" (مقالة ٣٨: ٧).

الروح دائماً مع يسوع:

"انظروا هذه الحقائق: المسيحُ وُلِدَ، الروحُ سابقٌ على ولادته (بالحلول على مريم) المسيح اعتمد، الروح يشهد له، المسيح يجرَّب، الروح يقوده (لوقا ١: ٣٥) المسيح يعمل المعجزات والروح يشترك معه. هو يصعد والروح يأخذ مكانه .. هو يُدعى روح الله، روح المسيح، فكر المسيح، روح الرب، وهو نفسه، أي الروح، هو الرب وروح التبني، روح الحق، والحرية وروح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة، روح المعرفة، روح التقوى، روح مخافة الله؛ لأنه هو خالق كل هذه، ويملأ الكل بجوهره *his essence*.ويحتوي كل الأشياء،

ويملأ الكون بجوهره، ولا يمكن فهم قوته .. هو صالح، مستقيم، ملوكي بالطبيعة، وليس حسب التبني، يقدِّس ولا يتقدَّس، يقيس كل الأشياء (يحتوي) ولا يُقاس، يُشتَرَك فيه وهو لا يشتَرِك، يملأ ولا يمتلئ .. مع الآب والابن" (مقالة ٣١: ٢٩-٣٠ مختصرة).

وبعد، هل حلَّت طاقة أو قوة، أم حلَّ روح الرب؟ هل عدنا إلى الوثنية وآلهة اليونان القديمة التي تأخذ قوة من الكون، والتي تجد في الكون قوتها، أم أن الله، الإله الشخصي يعطي قوته الفاعلة بمسرة -حسب تعبير صلاة استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي- لكي يعطي، ليس طاقة، بل جسد ودم ربنا يسوع له المجد؟

إن عمل الروح القدس في السرائر ليس طاقةً، بل تقديم يسوع نفسه إلينا في سر الانضمام إلى الكنيسة.

القسم الثالث

الجوهر – الأقنوم – القوة والطاقة

فصل من فصول اللاهوت البيزنطي الأرثوذكسي

ملفٌ لن يُغلق:

لعل الذين يحاربون شركتنا في الله، ويجرِّمون الاتحاد بالثالوث، وحلول الرب يسوع فينا بالروح القدس، يتراجعون؛ لأن حساب الأمور والمسائل العقائدية لا يمكن أن يغلقه أحد، بل إن مرور الزمان يعدُّ إضافةً للمشكلة؛ إذ يصبح الزمان نفسه جزءاً من السؤال؛ لأن تعاقُب الشهور والسنوات ليس إجابةً، بل هو ذاته علامة استفهام كبرى يقف عندها كل إنسان مهما كانت المدرسة والتشيُّع الذي ينتمي إليه.

في الوقت الحاضر ليس لدينا مدارس فكرية؛ لأن المدرسة تعني: منهج – كتب دراسية – أساتذة. صحيحٌ أن لدينا جيلٌ من المتخصصين يواجه بعض أساقفة الجهل والشموخ بالسلطان، وهؤلاء، أي الذين درسوا في معاهد لاهوت عالمية أرثوذكسية أو غيرها، يعرفون تراث الأرثوذكسية جيداً، ولكنهم لم يؤسِّسوا مدرسةً بعد؛ إذ لا زالت الكتب الدراسية والمنهج غائب، رغم وجود الأساتذة؛ لأن هؤلاء الأساتذة وُضِعوا قسراً تحت حزام الفقر لكي تسكت الألسنة، ويكتفي هؤلاء بالترجمة، وهو عملٌ شاق ونبيل

ومطلوب، دون الدخول في مهاترات مع الجهل.

هرطقة أنوميوس:

خرج علينا الأنبا بيشوي -في مقاله الذي أشرنا إليه قبلاً- بالتمييز بين الجوهر – الأقنوم – الطاقة – القوة، وهو ينكر حلول الثالوث فينا، كأن قول الرب نفسه: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣)، هو نوعٌ من المزاح، وليس عدالة الحق المتجسد.

لا يجب أن يقود التراجع عن إنكار حلول الثالوث فينا إلى الوقوع في هرطقة أخرى، وهي هرطقة أنوميوس الذي فصل بين الأقانيم والجوهر والقوة، واعتبر أن الأقنوم الإلهي الوحيد هو الآب، بينما الابن والروح هما قوة الآب، وليس لهما كيان في جوهر الله، فخلق لنفسه ثالوثاً مكوَّناً من آبٍ خالق، وابن وروح قدس هما قوة أو قوتين فقط للآب.

وعندما يتحول الأقنوم إلى طاقة أو قوة، يصير الحلول فينا حلولاً غير إلهي، تماماً -كما يريد مطران دمياط- لأن حلول الثالوث فينا يُرعب عشاق السلطة، فهو حاجزٌ ضد كل أنواع التطرف في ممارسة نعمة الكهنوت التي تحوَّلت إلى سلطان، بينما صلاة التحليل الكبرى تقول: "أنعمت على الذين يعملون في الكهنوت"، فهم يعملون مع الثالوث؛ لأن الثالوث هو العامل فيهم: "ليكن عبيدك آبائي وأخوتي محاللين من فمي بروحك القدوس". وعندما لا يحرر أو يحل الروح القدس هؤلاء الخطاة من فم خادم الأسرار سواء كان قساً أو أسقفاً، بل تحرره قوة أو طاقة، فقد غاب -إذن- الروح القدس نفسه، أي أقنومه حتى من صلاة التحليل، وأصبح الاستعلان في (يوحنا ٢٠: ٢١-٢٢) "ونفخ ... وقال اقبلوا الروح القدس" هو مسرحية هزلية ليس لها علاقة بالله.

غريغوريوس بالاماس:

عندما نسير في نفق الجهل بتراث كنيسة عريقة، يدفعنا الجهل إلى الشتائم والهجوم على اللاهوت البيزنطي، رغم عدم وجود مَن تخصص في تاريخ اللاهوت البيزنطي إلَّا ثلاثة -لا داع لذكر الأسماء- ولا يوجد لدينا كتاب عربي واحد عن بالاماس إلَّا الثلاثية التي صدرت من دير الحرف في الرد الدفاعي عن الهدوئيين، ولم ينل بالاماس أي اهتمام منا سوى بعض ما يصفه غير الدارسين بأنه هرطوقي، رغم أن كنيسته تعيِّد له في الأحد الثاني من الصوم الكبير، وترتل وتقول إنه "منارة الأرثوذكسية، معلم الكنيسة، زينة الرهبنة، بطل اللاهوتيين الذي لا يقهر" (مديح تسالونيكي، التريودي، الأحد الثاني من الصوم الكبير).

ولد بالاماس في عام ١٢٩٦ ودرس الفلسفة والآداب القديمة، وبالذات أرسطو، ثم ذهب إلى جبل آثوس حيث تتلمذ على شيخ هو الأب نيكافورس، وله كتاب ضخم يجب ترجمته: "تطهُّر القلب وحفظه".

رُسم قساً أثناء وجوده في تسالونيكي في ١٣٢٥، وبسبب غارات العثمانيين الأتراك عاد إلى جبل أثوس، وصار رئيس دير حيث عاد إلى ممارسة حياة الهدوء والتأمل *Hesychastic Life* وأثناء وجوده في أثوس دعاه رهبان الجبل إلى العودة إلى تسالونيكي لمقاومة الفكر الفلسفي الذي كان ينشره برلعام *Barlaam* ومرَّ بالأسر في يد الأتراك وداوم على الكتابة بعد أن فُدي من الأسر(١).

يعود الفضل الأول لإعادة اكتشاف بالاماس للمؤرخ الأرثوذكسي الأب مايندروف الذي نشر أول دراسة بالفرنسية عن لاهوت وتاريخ بالاماس، ونُشرت مختصرة في طبعة إنجليزية عام ١٩٦٤ ثم دراسة أخرى بعنوان القديس غريغوريوس بالاماس

---

(1) George Papademetriou, Introduction of St. Gregory Palamas.

والروحانية الأرثوذكسية — معهد فلاديمير ١٩٧٤.

لكن الفضل الأكبر هو لأستاذ الآبائيات *Chrestou* الذي نشر المجموعة الكاملة في خمس مجلدات، نُشرت تباعاً ١٩٦٢-١٩٦٦-١٩٧٢-١٩٨٨-١٩٩٢ فجعل مراجعة ما يُكتب ويُنشر سهلاً ميسوراً، بل صدر في سلسلة الروحانيات الغربية الكلاسيكية مختارات من دفاع بالاماس عن حياة الهدوء والتأمل (١٩٨٣) ترجمة *N. Gendle* تم نشر دير مار جرجس الحرف — منشورات التراث الآبائي في ثلاث مجلدات ١٩٩٥-١٩٩٦ بعنوان — الدفاع عن القديسين الهدوئيين — الثلاثية الأولى — الثانية — الثالثة).

النقد الكاثوليكي والهجوم على بالاماس:

الفكرة العامة السائدة في اللاهوت الغربي عند الكاثوليك والانجيليين هو أن النعمة الإلهية هي نعمة مخلوقة، هي عطية يخلقها الله فعلاً، بينما تمسَّك الشرق الأرثوذكسي دون أدنى تردد بأن النعمة الإلهية غير مخلوقة *Uncreated* لأنها عملٌ إلهي خاصٌ من الله الثالوث؛ لأن أهم جوانب ألوهية النعمة هي:

* التبني ومعرفة الله بالنور الالهي غير المخلوق.

* الحياة الأبدية والقيامة من الأموات.

* ميراث الملكوت الأبدي وحياة الدهر الآتي.

هذه الجوانب لا تُحسب ضمن الخليقة ولا علاقة بين هذه العطايا وما خُلِقَ من العدم؛ لأن التبني ليس -كما يدَّعي الأنبا شنودة الثالث- علاقة شرفيَّة، بل هو علاقة كيانية يتحرر فيها الكيان الإنساني من العبودية للطبيعة الساقطة لكي يكون له ذات حياة المسيح الإله المتجسد، الذي تألَّهت إنسانيته بالخلود ومجد اللاهوت بسبب الاتحاد

الأقنومي، وهو ما يُعطى من الآب بالابن في الروح القدس، إذ تتجلى الطبيعة الإنسانية بذات المجد الذي استُعلِن على جبل طابور أمام التلاميذ. لأن تحوُّلنا إلى جسد مجد الابن الوحيد (فيلبي ٣: ٢١) هو غاية الحياة الأبدية، وهو سبب قيامتنا من الأموات، وتأهيل كل مؤمن بالمسيح للحياة في الدهر الآتي.

لا أريد أن أُثقل على القارئ القبطي الذي حُرم من دراسة التاريخ الكنسي واللاهوت والكتاب المقدس، وتسلَّمته أفواهُ قياداتٍ جاهلة لا تعرف إلَّا الزعامة السياسية والملابس المزركشة، وكأن هذه هي مصادر التسليم الكنسي والحياة الأرثوذكسية. ولذلك يحمل الأخوة الذين درسوا في اليونان -بشكلٍ خاص- مسئولية ثقيلة جداً، وهي نقل أهم الكتب اللاهوتية الحديثة مثل كتاب *John Demetrakopoulos* عن الفرق بين أوغسطينوس وبالاماس، صدر باليونانية عام ١٩٩٧ وغيرها من دراسات علماء التاريخ واللاهوت في كنيسة حافظت على تاريخها؛ لأنها حفظت لغتها الأصلية، ولذلك لم ينقطع التواصل مع التراث الأرثوذكسي.

أعود فأقول إن العلامة الفاصلة في اللاهوت الأرثوذكسي هي:

*** النعمة غير المخلوقة.**

وقد كان فرحي الذي لا يُعبِّر عنه اللفظ، بما ورد في كتب كنيستنا القبطية أم الشهداء: "إذ أن اليد الإلهية تقدس المجامر" (ترتيب قسمة الكهنوت — مطرانية بني سويف ص ١٥٤) وحلول الروح القدس على الأواني المقدسة (ص ١٥٦)، فالرب يضع يده الإلهية، ولاحظ قوة الصلاة:

> "أيها السيد الرب يسوع المسيح الحقيقي الذي بغير عيب الإله والإنسان معاً،
>
> **Ⲫϯ ⲟⲩⲟ̅ ⲫ̇ⲣⲱⲙⲓ ⲫⲏⲉⲧⲉ ⲟⲩⲁⲧϥⲱϫ ⲧⲉ ⲉⲧⲉϥⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ**
>
> الذي لاهوته غير مفترق عن ناسوته، الذي أهرق دمه بإرادته وحده عن خليقته، ضَع يدك الإلهية الآن على هذه الكأس".

وعن الملعقة يقول:

"امنحها قوة ومجد الملقط الذي كان في يمين السارافيم".

كما يلاحظ القارئ أن كل أقداس المذبح تُرشم بالميرون.

وصلوات تكريس الكنيسة الجديدة التي تبدأ من سفر التكوين، وتصل إلى سفر الرؤيا في تجليات وظهورات الله إلى المدينة التي فيها شجرة الحياة ونور الرب يُستعلَن بقوة إلى أن تصل القراءات إلى:

"أضيئي ونوِّري يا بيعة الله؛

لأن نورك قد حضر، ومجد الرب أشرق عليك.

هذا هو البيت الذي بني على السماويات

هذا البيت الذي بناه الروح القدس".

(الطبعة الدولية للمستشرق *George Herner* طبعة ١٩٠٢ ص ٣٢٠-٣٢١).

ثم ظهور الرب في التجلي على جبل طابور في قراءة الإنجيل؛ لأن الكنيسة هي مكان تجلي رب القوات (التجلي يُقرأ من متى ومرقس ولوقا)، ولكن أهم ما يقال شرحاً لإنجيل يوحنا الذي يُقرأ في نفس الخدمة:

"أنت العاضد والطبيب والمنجِّي والسور القوي ورجاء الذين التجئوا إليه" (ص ٣٥٠).

ولا تقف الصلاة عند ذلك، بل تقول عن الرب يسوع نفسه:

"أنت النعمة والارتقاء،

والرجاء والحياة والقيامة" (المرجع السابق، ص ٣٥١).

وذلك مثلما نصلي في أوشية الانجيل. لكن الجدير بالملاحظة هو ما تصف به الصلاة الرب يسوع:

"أنت هو النعمة"،

ولذلك يصبح الادعاء بأن النعمة مخلوقة = الأريوسية.

وكل صلوات استدعاء الروح القدس ليست استدعاءً لمخلوق؛ لأن هذه هرطقة صريحة لا جدل عليها. وفي صلاة استدعاء الروح القدس على المبنى، وعلى المؤمنين معاً، تقول الصلاة: "وليمتلئوا بروح قدسك" (ص ٣٦٦). ثم: "ولتكمل مواعيد روح قدسك ليحل هاهنا ويتعهد ويفعل ويطرد ويعتني بكل كلام وبكل شيء" (ص ٣٦٨)، ثم تلي ذلك صلاة استدعاء مع صراخ الشعب يا رب ارحم (ص ٣٧٤)، بل لاحظ:

"اقبل إليك طلباتنا على هذا البيت المقدس .. ارسل عليه شعاعات نورك. قدِّسه واملأه من روح قدسك .. وفعل قوتك غير المرئية. املأه من مجد لاهوتك" (ص ٣٧٦).

ليت الذي يتصدى للعقيدة وشرحها، يقرأ كتب خدمة أم الشهداء لكي يتعلم كيف يتقن وكيف يختار كلماته بعناية لأن الصلاة السابقة لا تفصل:

- الروح القدس

عن

- شعاعات النور

- فعل القوة غير المرئية.

و"القوة" هي الكلمة اليونانية القبطية كما وردت في الصلاة ϯⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ

لكن بعد ذلك:

"أملأه من مجد لاهوتك ...".

وهنا نقول إن الهروب من الباب الخلفي على حساب تدمير العقيدة هو هروبٌ لا ينفع مطران دمياط؛ لأن فصل القوة عن الإلوهة هو عودة إلى هرطقة أنوميوس.

وكما انفصلنا لغوياً عن تراثنا الأرثوذكسي بسبب الجهل بلغة الكنيسة، فإن صلاة استدعاء الروح القدس، وهي ذات صلاة استدعاء الروح القدس في القداس المرقسي: "ارسل لنا من علوك المقدس ... البارقليط روح القدس ذو الأقنوم القوي المحيي الناطق في الأنبياء المالئ الكل الفاعل الكل"، وهنا نلفت النظر إلى أن معنى الكلمة القبطية الواردة في هذه الصلاة قد ضاع باستخدام كلمة "الفاعل"؛ لأن الكلمة القبطية هي ⲫⲏ ⲉⲧⲉⲣⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲛ وهي تعني يعطي ويفعل؛ لأن القوة أو الفعل هو عمله الأقنومي الذي لا وجود له بدون الأقنوم ولا يُعطى بغير الأقنوم، ولذلك تقول الصلاة:

"الفاعل الكل بسلطانه في طبيعته،

ينبوع المواهب الإلهية،

المساوي معك،

المنبثق منك،

المشارِك كرسي مُلك مجدك" (ص ٣٧٩-٣٨٠).

وفي تقديس الهيكل تقول الصلاة:

"يا من أرسل على رسله القديسين روح قدسه المعزّي المنبثق من الآب. أنت الآن أيضاً أرسله على عبيدك" (٤٢٦-٤٢٧).

وبتوسل نطلب البارقليط (ص٤٣٥-٤٣٦)، بل الروح القدس هو الشريك الذي يخدم مع الكلمة (٤٤٣) والبارقليط هو "النعمة التي أفضتها على رسلك القديسين الأبرار، لم تنزعها منا" (ص ٤٥٥).

وفي صلوات الرسامات نجد كلمات لا تتغير:

"املأنا من قوتك الإلهية

ونعمة ابنك الوحيد

وفعل روحك القدوس" (ص ١١٩-١٢١).

فهل القوة الإلهية هي غير النعمة، وغير ϯⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ؟

* القوة الإلهية، بسبب ضعف الإنسان وعدم قدرته أن يقترب من الله.

* نعمة الابن الوحيد، لأنه الوسيط الواهب الشركة في الحياة الإلهية.

* وفعل الروح القدس؛ لأنه هو العامل؛ لأن بقية الصلاة تقول:

"لنكن مستوجبين لهذه الخدمة لعهدك الجديد باستحقاق أن نحمل اسمك القدوس، ونخدم كهنوت أسرارك الإلهية" (راجع ص ١٢١).

لأن الخدمة هي وضع اليد "بحلول الروح القدس" (راجع ص ١٠٤)؛ لأن الذي يقام للخدمة لا يخدم بقوته، بل لأنه دُعِيَ لأن "يكمل خدمة كهنوت الرب يسوع نفسه" (ص ٣٩).

وأخيراً ماذا نقول وقد وجدنا ذات المصطلح اللاهوتي في صلاة إقامة القس:

"نعم يا رب اسمعنا. نطلب إليك أن تحفظ فينا أيضاً الروح القدس الذي لنعمتك غير المصنوعة" (ص ٢٩٧ وتكرر ذات المصطلح في ص٩٦).

"هؤلاء الذين ملأتهم من الروح القدس غير المصنوع المنبثق منك".

غير المصنوع أو غير المخلوق **Ⲛⲁⲑⲙⲟⲩⲛⲕ**

غريغوريوس بالاماس والدفاع عن الأرثوذكسية:

كان هجوم برلعام *Barlaam* يستند على أساس فلسفي واحد، وهو أن المعرفة واحدة، وأن أعلى درجة للمعرفة هي المعرفة العملية والفلسفية، وأن للحق مرجعية واحدة، وهي معرفة الإنسان، وأن لدى الإنسان حكمة واحدة.

ضد هذا كتب بالاماس في الجزء الثاني من الثلاثية رداً على برلعام مؤكداً أنه توجد حكمتان؛ لأن الحكمة الأولى نافعة، وهي معرفة العلوم الدنيوية (راجع ترجمة دير الحرف ٢، ص ١٩، فقرة ٥). ولكن الحكمة الأخرى هي أعظم؛ لأنها ليست معرفة الكائنات (المرجع السابق فقرة ٧ ص ٢١)، بل هي كما يقول بالاماس: "حكمة يمنحها الروح القدس لمعرفة الله، وأنه توجد في الواقع طريقتان للتفكير: الأولى دنيوية، والثانية هي رؤية µ⊢ ٍ معرفة الله بواسطة الروح القدس. بل إن الهبات الإلهية نوعان: الأولى هبات خاصة بالطبيعة: "أنعم بها الله علينا بالطبيعة ونحن قادرون على أن ننميها بالتدريب. إنه لا يتلقاها أحد بدون تدريب". لكن الهبة الأخرى هي: "حكمتنا الإلهية، فهي هبة من الله بالحقيقة قد منحها الروح القدس، وهي ليست هبة طبيعية .. فالله يعطي المعرفة للإنسان، ولكن قليلون هم الذين اقتنوا حكمة الروح القدس .." (٢: ١٢ ص ٢٥).

هذا هو ثقب القارب الذي تسبب في غرق الكثيرين من الذين ركبوا قارب

الفكر العقلاني غير المستنير بنور الروح الإلهي. فالفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية أنها خاصة بالفطرة، بل "تنتقل بالوراثة ابتداء من الأبوين" (٢: ٢٨ ص ٣٩). ولكن هذه المعرفة الذاتية لا تفيد بالمرة؛ لأن النور العقلي الطبيعي له مصدر طبيعي وهو الإدراك، وهو بلا شك أحد قوى العقل، ولكن هذا لا يفيد؛ لأن الإنسان عليه أن يتفوق على ذاته وأن يتجاوز ذاته (الإدراك) ويتحد بالله" (٢: ٢٩ ص ٤٠). لأن الفلسفة تظن أنها قادرة على استيعاب وإدراك جوهر الله ذاته، وكأن الله هو أحد المخلوقات. فالخطأ هو حسب عبارات بالاماس نفسه هو: المساواة "بين المواهب الطبيعية والمواهب الفائقة الطبيعية" (٢: ٣٠ ص ٤١).

ومن هنا نشأت المشكلة، وهي ليست فلسفية كما يبدو على السطح، بل هي أحد مكونات اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي التي تصطدم بمنهج الفلسفة اليونانية للأسباب الآتية:

أولاً: اللاهوت السلبي ***Apophatic*** يرفض تحديد الله بألفاظ تُستخدم للكائنات والموجودات المادية؛ لأن الله فوق الإدراك العقلي، ولا يمكن إدراكه بأي لفظ مهما كان.

ثانياً: أمَّا اللاهوت الايجابي ***Cataphatic*** فهو لاهوت استعلان الله نفسه بالروح القدس، بالنور الإلهي غير المخلوق، وبالنعمة غير المخلوقة؛ لأن الابن له المجد مُعلِن الآب، هو "حكمة الآب الأقنومية"، والروح القدس الذي يؤهلنا لكي يستعلن فينا معرفة الله... أمَّا الإنسان الدنيوي، فهو عديم النور الإلهي، ولا يمكنه أن يقبل ما هو فائق الطبيعة ويعلو على إدراك الماديات؛ لأنه عندما يحاول أن يعرف، يهبط إلى الدرجة الأدنى للمعرفة، وهي المعرفة الحسيِّة. وعندما تُقدَّم إليه المعرفة الروحية الفائقة لكل ما هو مادي، فهو يرفضها لأن إدراكه العقلي متكبر" (عظة ٣٤ في مجلد مختارات من عظات الآباء – اثينا – ***Foe press*** ص ١٩٧).

الحكمتان والجوهر والقوة الإلهية:

الجوهر، أو الحياة الإلهية غير قابلة للتعريف؛ لأنه رغم تجسد الابن وحلول الروح القدس فينا، إلَّا أن الحياة الإلهية فوق التعريف. وحسب بالاماس، لا يمكن الوصول إلى معرفة الله بواسطة أي وسيلة مخلوقة أو بواسطة الدراسة؛ لأن الله ليس موضوعاً فلسفياً يخضع للحكمة الأولى، أي القدرات الطبيعية العقلية الإنسانية، ولذلك يقول بالاماس: "مَن يتكلم عن الله ليس كَمَن يشترك في الله". وقد شرح هذا بوفرة في مقال جيد جداً عن الصلاة (مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ١٥٠ عامود ١١١٧ B)؛ لأن الدراسة هي انشغال العقل والإدراك، بينما الصلاة والتأمل هي التي ترفع الإدراك لقبول "النعمة غير المخلوقة"، أي قوة الإدراك التي يغرسها الروح القدس بشكل مباشر في العقل.

القوة الالهية أو الأعمال الالهية أو حتى الطاقة أو الطاقات *energies* ليست من هذه الخليقة، هي تدخُّل إلهي وعمل إلهي يقوم به الثالوث نفسه. إذن، فالمعرفة الدنيوية *Kosmike Gnosis* ليست طريقاً للخلاص، فهي ليست معرفة الله *Theognosia* التي يعطيها الروح القدس بتدخُّلٍ مباشر واستعلان استنارة بالنور غير المخلوق؛ لأن النور الإلهي نفسه هو الذي يعطي للإنسان الإدراك. ويقدم بالاماس يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء (متى ١١: ١١) مثالاً لذلك، ويقول إنه لم يكن لديه ثقافة دنيوية "تلك التي يقولون إنها تعود إلى الله، لأنه لم يكن قد طالع الأسفار"، ولكن المسيح جاء إلينا لكي يجدد الصورة، ويعيد تلك الصورة إلى المثال الأصلي، ليس بالثقافة الدنيوية .. لأنه جاء لكي يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة؛ "لأن كلمة الله الذي أتى إلينا بالجسد هو الذي صار لنا حكمةً من الله" (١كو ١: ٣٠)، وهو النور الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم (يوحنا ١: ٩) وطلع الفجر وأشرق كوكب الصبح في قلوبنا (٢بطرس ١: ١٩) نحن المؤمنين، وهؤلاء الذين آمنوا هم بحاجة إلى "فتيلٍ خاصٍ يأتي بهم إلى معرفة الله بعيداً عن الفلاسفة؛ لأنهم ينصحون الآخرين أن يدركوا ضرورة الابتعاد عن المصباح المدخن" (الثلاثية الأولى ١: ٥ طبعة *Chrestou* ص ٣٦٥-٣٦٦ – راجع

طبعة دير الحرف ص ٣٢، وراجع أيضاً دراسة الأب مايندروف السابق الإشارة اليها ص ١١٧).

المعرفة الإلهية هي استنارة بالنور غير المخلوق؛ لأن الله لا يُعتَلَن بالعقل فقط، بل كما يقول غريغوريوس النزينزي: "الإلهي يطهِّر مَن يريد أن يتطهَّر، وهو بهذا التطهير يخلق البشر الذين لهم هيئة الله ... لأنهم في الله يعرفون الله، ولأنهم باتحادهم بالله منذ الآن قد اكتسبوا هيئة الله، ويدركون بقدرة إلهية، عطايا الروح القدس (نِعَم الروح القدس الإلهية) التي لا يقدر أن يشخص إليها (يعاينها) مَن ليس له هيئة الله ويبحثون فقط عما حول الله" (راجع الثلاثية الثالثة، دير الحرف، ص ١٠٢ - ١٠٣).

وقد تضايق بالاماس جداً من برلعام لأنه كان يعتقد بأن "نعمة الروح القدس المؤلِّهة هي مخلوقة، لم يكن ذلك عن جهل، بل عن سوء نية" (المرجع السابق، فقرة ٥، ص ٢٣)، ولذلك يقول بالاماس: أن هذه النعمة "ليست ضمن الطبيعة" (المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣).

فما هو النور الإلهي؟

في الثلاثية الأولى، البحث الثالث، ابتداءً من الفقرة الخامسة (ص ٧٨ وما بعدها طبعة دير الحرف) يؤكد بالاماس ما يلي:

> - "عندما يعاين القديسون هذا النور الإلهي في داخلهم، فإنهم يعاينونه حيث يقتنون شركة الروح القدس المؤلِّهة .. فهم يعاينون رداء تأليههم، إذ يكون ذهنهم ممجَّداً بنعمة الكلمة وممتلئاً بهاءاً عجيباً في جماله. مثلما مُجِّدت إلوهة الكلمة -بنورٍ إلهيٍّ على الجبل (طابور)- الجسدَ الذي كان ملازماً له. لأن المجد الذي وهبه الآب إياه، وَهَبَه هو (المسيح) لمن أطاعوه" (يوحنا ١٧: ٢٢)، وشاء أن يكونوا معه ويعاينوا مجده (يوحنا ١٧: ٤) (ذات المرجع ص ٧٨). هو "معاينة نور المسيح ذاك الذي كُشِفَ للتلاميذ على جبل طابور ..

ولذا مكاريوس المغبوط فعلاً (العظات الروحية ١٢: ١٤) يسمي هذا النور "غذاء الكائنات الفائقة السماوية" (المرجع السابق ص ٧٩).

"ذلك النور لم يكن مجرد (نور حسي) وإن كان قد ظهر على وجه النبي (موسى) فالقديسين اليوم، حسب القديس مكاريوس، يتقبلون في نفوسهم المجد البادي على وجه موسى. وهذا الأب (مكاريوس) يدعو هذا النور: "مجد المسيح"، ويعتبره فوق الحواس، وإن كان ظهوره يُدرَك بالحواس، إنه يبرز قول الرسول التالي مع إضافة صغيرة عليه: "نحن جميعاً الذين نعاين صورة مجد الرب بوجوهٍ مكشوفة كما في مرآة، أي نوره العقلي، نتحول إلى تلك الصورة ونزداد مجداً على مجد، أعني من خلال مزيد النور الذي فينا والذي بفعل النور الإلهي يزداد وضوحاً على الدوام (٢كو ٢: ١٨) ... هل تفهم جلياً أيها الأخ أن الذهن المتحرر من الأهواء يعاين ذاته كنور أثناء الصلاة ويستضيء بنورٍ إلهيٍّ؟ مقاريوس المغبوط حقاً الذي يسميه نيلوس الالهي "إناءاً مختاراً"، ... يقول إن استنارة الروح الكاملة ليست فقط مثل كشف أفكار، بل هي استنارة **نور أقنومي** مستمرة وثابتة في النفس ... الذي قال ليشرق نور من الظلمة هو اشرق في قلوبنا (٢كو ٤: ٦) وأنر عيني لئلا أنام موت الموت (مز ١٢: ٣) ... قال "**أقنومياً**" لكي يسكت الذين يحسبون المعرفة وحدها استنارةً، ويبلبلون عقل الكثيرين وعقلهم هم أولاً بتفسيرهم الكاذب لكل ما قيل عن ذلك النور ونسبهم إياه للمعرفة .. لم يسمِّ أحدٌ يوماً المعرفةَ الناتجةَ عن الحواس نوراً ... الله نفسه يعلو على كل نور عقلي ويتسامى على كل جوهر بصورة فائقة الجوهر، يدعوه اللاهوتيون "ناراً". إنه يمتلك في ذاته هذا الطابع السري غير المنظور .. ولكنه عندما يستخدم مادة مناسبة .. مثل أي طبيعة عقلية نقية لا تختفي تحت حجاب الشر، حينذاك يظهر هو كنورٍ عقلي" (الثلاثية الأولى، البحث الثالث، فقرات من ٥-٩ ص ٨٠-٨٢).

النور الإلهي يُستعلن بالمحبة:

ويقول بالاماس:

"يتراءى الله اليوم لمن تطهروا بالحب، ولكن سيأتي يوم سيتراءى فيه لهم وجهاً لوجه كما قيل (١كو ٢٣: ١٢) ... إن الله لفائض محبته لنا، وهو الذي يفوق (المتعالي) على كل شيء وغير المدرَك، والفائق الوصف، يرضى بأن يُشرِك عقلنا به، وأن يُرى بنحو غير مرئي في عزَّته الفائقة الجوهر والممتنعة الانفصال (غير قابلة للانفصال)" (الثلاثية الأولى، البحث الثالث: ١٠ ص ٨٣).

النور الإلهي هو ما يُوهَب في المعمودية:

أحد أسماء المعمودية القديمة جداً هو "النور". والذين اعتمدوا يوصَفون باسم "المستنيرين". وفي صلاة خاصة بالموعوظين تطلب الكنيسة أن "يضيء الآب عليهم بنور المعرفة. لأن البشر دُعُوا من "الظلمة إلى النور". والمعمودية هي "النور الطاهر .. أضيء عيون أفهامهم بنور المعرفة"، بل هي "النور وخاتم المسيح".

وفي صلوات القداسات يوصَف الرب يسوع المسيح بأنه هو:

- ضياء نفوسنا
- الذي أظهر لنا نور الآب
- النور الحقيقي الذي أشرق للضالين

وفي قداس مارمرقس

– خلقت كل الأشياء بحكمتك، نورك الحقيقي ابنك الوحيد

لأننا عندما نقتبل هذا النور الحقيقي الذي أنعم به الرب يسوع علينا، لا سيما بقيامته المقدسة، "أَنعمَ علينا بنور قيامته من قبل تجسده الطاهر، فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

أنوميوس ومطران دمياط:

عندما اتهم بالاماس برلعام بأنه "هرطوقي حقيقي" (الثلاثية الثالثة ص ٩٠ طبعة دير الحرف)، وقبل ذلك اتهمه بأنه مشركٌ بالله (الثلاثية الثالثة: ١٩، ص ٧٩ طبعة دير الحرف)؛ لأنه يؤمن بأن القوة الفاعلة هي غير الله، وتعطي ما هو إلهي وهو الحياة الأبدية غير المخلوقة. وتعدد القوى الإلهية يعني –حسب اعتقاد برلعام– "كثرة آلهة"؛ لأن هذه القوى الإلهية انفصلت عن الله، وصار لها قوة إلهية فاعلة في حياة البشر وهي ليست الله" (المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠) ولكن كل قوة إلهية هي أعمال جوهر الله؛ لأن الكائنات المخلوقة من العدم تنال هذه القوة الإلهية لكي تشترك في حياة الله نفسه، فهي ليست قوة منفصلة عن الله، بل هي قوة غير مخلوقة لأنها قوة إلهية من جوهر الله، وهذا يقودنا إلى:

السؤال الأرثوذكسي:

هل القوة المؤلِّهة هي إلهية أم هي قوة مخلوقة؟

يقدِّم بالاماس اقتباساً هاماً من ديونيسوس الأريوباغي يؤكد ألوهية العطية، وأن مصدرها الحقيقي هو الله نفسه:

"حسب عبارة ديونيسوس العظيم، إن لم تكن العطية المؤلِّهة تُدعي ألوهة آتية أزلياً من الله الكائن الأزلي حسب مكسيموس (المعترف)، إذا لم يكن الأمر

كذلك (أي إذا لم تكن النعمة غير مخلوقة وإلهية)، فالمؤلَّهون يكونون مشاركين لطبيعة الله ويكونون الله بالطبع ... كيف للإنسان، إن لم تكن النعمة بلا بداية، أن يصير دون بداية، بمشاركته للنعمة، ويصبح كل إنسان مثل ملكي صادق بلا بداءة أيام ولا نهاية حياة (عب ٧: ٣) (أي مثل الرب نفسه عندما يأخذ الحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية لها). ومثل كل إنسان يحيا على غرار بولس، من الحياة الإلهية الأبدية التي للكلمة الساكن فيه. (المرجع السابق ص ٩٧ – ٩٨). فهناك إذن إله واحد وإن قيل إن النعمة الصادرة من الله هي نعمة مؤلِّهة "النعمة الصادرة عن الله هي الله" (المرجع السابق ص ١٠١).

والإجابة على السؤال الأرثوذكسي ذات دلالة بالغة الأهمية والخطورة:

أولاً: إذا كانت النعمة مخلوقة، تنتمي إلى الطبائع المخلوقة من العدم؛ صار الخلاص هو بواسطة كائن مخلوق من العدم رَدَّ إلينا نعمة طبيعية تصل إلينا بوسائل طبيعية وليست من الله، وهذه هي الأريوسية.

ثانياً: إذا كانت النعمة هي قوة أو طاقة –مع أن الكلمة اليونانية تعني أكثر من ذلك، فهي كلمة معروفة في علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها، ودخلت كأحد مكونات *Quantum Mechanics*- لكن عمل الروح القدس أو الابن المتجسد ليس مجرد µ¼µÁ³µ¹± بل هي العمل الأقنومي الذي يرد الإنسان إلى حياة أقنومية (شخصية) في الحياة الأبدية لكي يعلو على الطبيعة؛ لأن السقوط هو خضوع الأقنوم أو الشخص للطبيعة، أي طبيعة آدم الفاسدة، والفداء هو تحرير الشخص أو الأقنوم من سلطان الطبيعة الفاسدة، والطبيعة الجديدة هي طبيعة شخصية متأقنمة بالاتحاد بالله، وهو اتحاد لا يمكن أن يتم بواسطة طاقة أو قوة عمياء تعمل كطاقة بدون الأقنوم، بل هي عمل الأقنوم نفسه؛ لأن أثناسيوس العظيم يقول:

"لأنه صار إنساناً لكي يؤلهنا نحن فيه وولد من امرأة عذراء لكي يحول إلى

كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح فيما بعد جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية كما كتب بطرس المبارك" (الرسالة إلى أدلفوس ٤، راجع ص ٥٧٦ من الترجمة الإنجليزية).

وهكذا يكون الأنبا بيشوي قد وضعنا خارج أقنوم الله الكلمة المتجسد لأجلنا!

ثالثاً وأخيراً: جاء تمييز بالاماس في وقتٍ كادت الفلسفة اليونانية أن تصبح فيه البديل لمعرفة الله اللاهوتية في اللاهوت كاستعلان في المسيح رب المجد. وكادت معرفة الله تصبح معرفة فلسفية خاضعة لعقل الانسان وحده، وللتحليل الفلسفي، وهذا ما دعى بالاماس أن يكتب عن "حكمتين" وعن أنواع المعرفة، وأن المعرفة التي تشرق في الكيان الإنساني هي النور الإلهي غير المخلوق، وأن معرفة الإنسان بالله لا تصل إلى معرفة حقيقة جوهر الله أي كيانه الإلهي؛ لأن هذا يجعل الإنسان مساوياً لله وقد تألَّه بالمعرفة لا بالشركة التي تُعطى حسب المحبة، وحسب تدبير الخلاص. وعطاء الله هو عطاءٌ إلهي من الأقانيم لشركتنا في الحياة الأقنومية للثالوث. وهذه الشركة هي شركة معلَنة؛ لأن جوهر الله ليس مستباحاً أمام عقل الإنسان ورغبة في الاكتشاف. لقد أراد بالاماس بلغة العصر أن يقول إن الشركة في:

- النعمة،

القوة الفاعلة،

لا تجعلنا قادرين على استيعاب حقيقة الله،

ولكن هذه الشركة تجعلنا في شركة ما هو غير مخلوق، وهو الحياة الأبدية الخاصة بالله نفسه، والتي وُهبَت لنا في أقنوم الابن بالروح القدس، ولا وجود لها خارج الله.

نحن لا نطلب عثرةً أو سقوطاً لأحد؛ لأن محبتنا المسيحية لا تسمح لنا بأن نفرح بمن يسقط، بل بالحري نحزن، ولذلك نرجو من مطران دمياط الابتعاد عن هرطقة

أنوميوس لأن هذه الهرطقة تنفي عمل الله الثالوث المباشر.

فصل القوة أو الطاقة أو العمل الإلهي يهدم الحياة الليتورجية:

الجيل الذي لم يستلم الحياة الكنسية من شيوخ ذاقوا حلاوة النعمة وعاشوا في الكنيسة وصاروا شيوخاً بالخبرة وليس بنعمة الكهنوت وحدها ... هذا الجيل رحل عنا وترك المسئولية لجيل آخر ظن أن المسيحية تؤخذُ من تعليم شخص واحد ومن عظاته ومقالاته، وأنها مجموعة افكار ينظِّمها هذا أو ذاك ليصبح "المعلِّم"، بينما التعليم الكنسي الذي لا يؤخذ من الممارسات الكنسية هو تعليم غير أرثوذكسي، والممارسات الكنسية فيها الدقة الرسولية، وهي التطابق التام بين الصلاة أي العبارات التي تُقال وبين أسلوب أو طريقة قبول النعم الإلهية في السرائر الكنسية.

لا أريد أن اشرح ممارسات الكنيسة ابتداءً من المعمودية حتى نعمة الكهنوت، ولكن سوف اكتفي بالإفخارستيا لأنها:

* ممارسة أسبوعية أو يومية.

* ولأن ما لدينا من صلوات يكفي لتأكيد ما أريد أن أحذِّر منه. وسوف أكتفي هنا بصلاة استدعاء الروح القدس حسبما وردت في القداس السكندري لمار مرقس بعد أن يصلي الشعب: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل". يقول الكاهن:

- وأرسل إلى أسفل (التنازل الإلهي)

- مِن عُلوِّك المقدس (الألوهة الفائقة)

- ومن مسكنك المستعد (الابن المتجسد الذي حلَّ فيه ملء اللاهوت).

- ومن حضنك غير المحصور (حيث الابن كوسيط ورأس الكنيسة).

- ومن كرسي مملكة مجدك (ما استُعلِن في العهد الجديد من مُلك الثالوث علينا؛ لأن ملكوت الله قد جاء بقوة).

هذا هو المستوى الإلهي للثالوث.

ولكن بعد ذلك الاستدعاء الذي يسبقه طلب الرحمة:

- البارقليط روحك القدوس

- الكائن بأقنوم

- غير المستحيل ولا متغير

- الرب المحيي (ذات عبارة قانون الايمان)

- الناطق في الأنبياء والرسل

- الحال في كل مكان

- المالئ الكل

- ولا يحويه مكان

هذه هي صفات الأقنوم. أمَّا عن عمل الأقنوم، فإن النص القبطي نقلاً عن اليوناني يقول عن البارقليط:

- الفاعل ⲉϥⲉⲣⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲛ (وهنا جاءت ترجمة ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ إلى فعل أو عمل)

- بسلطة

- بمسرتك الطهر على الذين أحبهم، وليس كالخادم

- البسيط في طبيعته (لا تركيب في الطبيعة الإلهية)

- الكثير الأنواع في فعله ⲧⲉϥⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ

- ينبوع النعم الإلهية.

وهذه العبارات الأخيرة، لا سيما كلمة "الينبوع"، تؤكد أن ما يُعطى، هو ما يملكه الأقنوم ويوزِّعه

- المساوي لك

- المنبثق منك

- شريك كرسي مملكة مجدك

- وابنك الوحيد ... ربنا وملكنا كلنا يسوع المسيح

بعد كل هذا، أين هو الروح القدس البارقليط؟

- علينا نحن عبيدك

- وعلى هذه القرابين

- التي لك ....

- على هذا الخبز وعلى هذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا.

وانتقال الخبز والخمر إلى جسد ودم الرب جسد المسيح ودم العهد الجديد الذي للرب يسوع، ليس عملاً لقوةٍ عمياء، بل هو عمل الأقنوم الذي ينقل المؤمنين والكنيسة

كلها والقربان على المذبح إلى الحياة الإلهية، فلا يظل الخبزُ خبزاً ولا الخمر خمراً[١] وتنسكب حياة الابن بالروح فينا، ونصبح نحن جسد المسيح؛ لأن صلاة القسمة من ذات القداس تقول:

> "أعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي هي الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحك ... بل انعم لنا بروحك القدوس لكي بقلب طاهر وسريرة مستنيرة بوجه غير مخزي..".

لأننا بهذا "نُدعى أبناء الله **ونحن وهم** وارثون لك يا الله الآب وشركاء في ميراث مسيحك". وعندما سألت الأستاذ يسى عبد المسيح: مَن هؤلاء الذين تشير لهم الصلاة بعبارة: "**نحن وهم**"؟ نظر إليَّ طويلاً وقال: ليس قديسي الكنيسة وحدهم، ولكن حسب قول الرسول بولس: "ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧)، فإن "**هم**" تعني الكنيسة كلها مع الابن؛ لأن بقية العبارة "نحن وهم وارثون لله يا الله الآب وشركاء ميراث مسيحك".

هل يسمع المطران والذين يصفقون له ولغيره، صوت التسليم الكنسي؟ لأننا بعد ذلك نسمع صوت الكنيسة:

– "نصير شركاء الجسد،

– وشركاء في الشكل (أي شكل آدم الجديد الذي تجلى على جبل طابور)، وهو ما تقدمه صلوات خدمة المعمودية في كل الكنائس الأرثوذكسية لا سيما في رشومات الميرون، وقبل ذلك في تقديس المياه:

---

(١) أقول للأخوة الذين يتطاولون على هذا السر أن عدم الشركة في جسد الرب ودمه الحقيقي يحولكم إلى موعوظين وينزع عنكم صفة المؤمنين، وقبولك للمسيح في اجتماعات نهضة هو قبول موعوظٍ، لا قبول مؤمن، أي من ليس له علاقة شركة كيانية بالرب يسوع، وله علاقة عقلية فكرية شعورية فقط.

– حياة أبدية،

– لُباس غير فاسد،

– نعمة البنوة،

– تجديد الروح القدس (وليس تجديد طاقة أو قوة).

– وشركاء في خلافة مسيحك (أي ميراث الملكوت السماوي).

هل بعد هذا، يمكن لأي إنسان يريد أن يسلك الطريق المستقيم، أي الطريق الأرثوذكسي، أن يدَّعي أننا ننال قوةً بدون شركة في الأقانيم، وأن هناك طاقة تعمل بدون الأقنوم؟

إن ما يهدم الحياة الليتورجية هو ذلك الغموض، عندما تتحول العلاقات الشخصية، أي الأقنومية بيننا وبين الله الثالوث إلى علاقة بقوة أو طاقة وننسى المحبة الفعالة التي لا يمكن أن يكون لها وجود أو كيان خارج الله؛ لأنه في نهاية المطاف "الله محبة". وعندما يسكب الآب الروح القدس فينا، فإننا بهذا الانسكاب نحب، وبهذا الانسكاب نجد العلاقة الشخصية (الأقنومية) التي ترفعنا فوق تسلط الطبيعة إلى حرية مجد أولاد الله.